المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقه تعريفيه بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الممتحنة"،

أولا ً: التعريف بالكتاب

اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة الممتحنة.

موضوع الكتاب: استخلاص وتفسير المفاهيم القرآنية الأساسية من سورة الممتحنة، وتحويلها إلى طاقة فكرية وسلوكية في حياة المسلم .يركز على استنباط المعاني العقدية والأخلاقية والتشريعية من آيات السورة.

طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري موضوعي، يندرج ضمن سلسلة "المفاهيم القرآنية" التي يخصص المؤلف لكل سورة منها كتاباً مستقلا ً .يهدف إلى تقديم رسالة خاصة في تفسير مفاهيم السورة .وتحويلها إلى طاقه بناء الانسان والمجتمع والحضاره الاسلاميه

تأليف: الأستاذ أحمد عبد الرزاق مربوش العامري.

نبذة عن المؤلف: كاتب ومؤلف يمني، من مواليد عام1973 م في الأعمور - حيفان - تعز - اليمن . حاصل على ليسانس شريعة وقانون، مهتم بالفكر الإسلامي ودراسة القرآن الكريم وعلومه .له ما يقار ب 93كتاباً ضمن سلسلة "المفاهيم القرآنية".

مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى.

ثانياً: محاور الكتاب ومحتواه

بناءً على طبيعة السلسلة ومحتوى سورة الممتحنة، يتناول الكتاب المحاور التالية:

.١تقرير مبدأ "الولاء والبراء" كقاعدة عقدية وسلوكية في حياة المؤمن.

.٢النهي عن موالاة أعداء الله) الآيات١ -(٣، مع عرض قصة حاطب بن أبي بلتعة كتطبيق عملي.

.٣القدوة الحسنة بإبراهيم عليه السلام) الآيات٤ -(٦، وبيان استثناء استغفاره لأبيه.

.٤ضوابط العلاقة مع غير المسلمين) الآيات٧ -(٩، والتفريق بين المحارب والمسالم.

.٥أحكام المهاجرات والمؤمنات) الآيات١٠ -(١١، من امتحان إلى زواج ومهور.

.٦بيعة النساء) الآية(١٢ ، وشروطها السبعة.

.٧الخاتمة والتحذير من موالاة المغضوب عليهم) الآية.(١٣

ثالثاً: منهجية الكتاب

يتبع الكتاب المنهج الموضوعي في التفسير، حيث يركز على استخلاص المفاهيم المركزية من السورة بدلا ً من التفسير التفصيلي آية آية .وتتمثل منهجيته في:

.١التركيز على المفاهيم بدلا ً من الألفاظ فقط.

.٢الربط بين المفاهيم لتكوين صورة متكاملة عن رؤية السورة.

.٣استخلاص الدروس العملية من كل مفهوم، وتحويلها إلى طاقة سلوكية.

.٤التطبيق على واقع الحياة، لجعل المفاهيم القرآنية حية ومؤثرة.

رابعاً: أسلوب المؤلف وأهميته

.١أسلوب تأسيسي شامل، يضع القارئ أمام صورة كاملة للمفاهيم القرآنية في السورة.

.٢التدرج المنطقي في العرض، من المفهوم إلى الدليل إلى التطبيق.

.٣الوضوح والسهولة في التعبير، مع عمق في التحليل.

.٤الربط بين الآيات داخل السورة الواحدة، لتكوين رؤية متكاملة.

.٥أهميته في تقديم تفسير موضوعي يلامس حاجة العصر، حيث ينتشر الفهم الخاطئ للمفاهيم القرآنية.

خامساً: ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

.١التخصص في مفهوم واحد لكل سورة: يركز كل كتاب من السلسلة على سورة واحدة فقط، مما يتيح تعمقاً أكبر.

.٢المنهج الموضوعي لا التحليلي: يختلف عن التفاسير التقليدية التي تسير مع الآيات ترتيباً، إذ يعالج المفاهيم كموضوعات متكاملة.

.٣تحويل المفاهيم إلى طاقة عملية، مما يجعله كتاباً تربوياً وسلوكياً وليس مجرد تفسير علمي.

.٤تغطية شاملة لسلسلة كاملة من السور القرآنية) أكثر من 70 كتاباً(، مما يجعله موسوعة مفهومية للقرآن الكريم.

سادساً: الجمهور المستهدف بالكتاب

.١طلاب العلم الشرعي الذين يريدون فهماً موضوعياً للسور القرآنية.

.٢الدعاة والمربون الذين يحتاجون إلى استخلاص المفاهيم التربوية من القرآن.

.٣المفكرون والباحثون في مجال التفسير الموضوعي.

.٤عموم المسلمين الراغبين في فهم أعمق لمعاني القرآن وتطبيقاتها في حياتهم.

سابعاً: أهداف وأغراض المؤلف

.١استخلاص المفاهيم القرآنية الأساسية من كل سورة على حدة.

.٢تصحيح المفاهيم الخاطئة حول معاني القرآن.

.٣تحويل المفاهيم النظرية إلى طاقة عملية وسلوكية في حياة المسلم.

.٤تقديم تفسير موضوعي يلبي احتياجات العصر.

.٥بناء موسوعة مفهومية للقرآن الكريم تغطي معظم سوره.

ثامناً: المفاهيم المستخلصة من الكتاب

.١مفهوم الولاء والبراء، وأثره في هوية المسلم.

.٢مفهوم المودة القلبية، والفرق بينها وبين البر والقسط.

.٣مفهوم العدو الحقيقي، وصفاته) القتال، الإخراج، المظاهرة.(

.٤مفهوم الأسوة الحسنة، وموقف إبراهيم من قومه.

.٥مفهوم الفتنة، والخوف من أن يكون المؤمن سبباً في فتنة الكفار.

.٦مفهوم الهجرة، وأحكام المهاجرين والمهاجرات.

.٧مفهوم البيعة، وشروطها للنساء.

.٨مفهوم اليأس من الآخرة، وكونه صفة ذميمة.

تاسعاً: لماذا يجب أن تقرأ الكتاب

.١الفهم أعمق لسورة الممتحنة، التي تؤسس لمبدأ عظيم في العقيدة الإسلامية.

.٢لتصحيح مفاهيمك عن الولاء والبراء والمودة والعداوة في الإسلام.

.٣لتتعلم كيف تتعامل مع المخالفين لك في العقيدة، بضوابط شرعية واضحة.

.٤لتربي نفسك على مراقبة الله في السر والعلن، وتطهير قلبك من المودة الخفية لأعداء الدين.

.٥لتكون على بصيرة من أمرك في علاقاتك الاجتماعية والدولية.

عاشراً: مخرجات الكتاب

.١فهم متكامل لمفاهيم سورة الممتحنة.

.٢قدرة على التمييز بين أنواع المخالفين وكيفية التعامل مع كل فئة.

.٣تربية نفسية وعقدية على حب الله وبغض أعدائه.

.٤تطبيقات عملية في العلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية.

.٥وعي بخطورة المودة القلبية لأعداء الله، وأثرها في إضعاف الهوية الإسلامية.

الحادي عشر: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

.١في بيان طبيعة الخطاب القرآني:

"القرآن ليس كتاب تاريخ، بل هو كتاب حي، يتحدث إليك الآن، في هذا الوقت، في هذا المكان."

.٢في سر النداء الإيماني:

"عندما تقرأ 'يا أيها الذين آمنوا'، قل في نفسك: 'ها أنا ذا يا رب، لبيك وسعديك، ماذا تريد مني؟'."

.٣في مفهوم الإيمان الحقيقي:

"الإيمان ليس اعتقاداً مجرداً، بل هو حالة استعلائية .الإيمان هو 'نظارة' ترى بها العالم."

.٤في الحب والبغض لله:

"المؤمن الحق لا يبني علاقاته على المصالح اللحظية أو العواطف العشوائية، بل يبنيها على ميزان العقيدة."

.٥في خطورة العاطفة:

"العاطفة نعمة إن وجهت في طريق الله، ولكنها نقمة إن انفردت عن العقل والدين .لا تندفع وراء مشاعرك دون تمييز ومحاسبة."

.٦في العزة الإيمانية:

"لا تطلب مكانتك عند أعداء المنهج، فمكانتك محفورة عند ربك .الوالء لله يورثك كرامة وعزة لا تدرك بغيرها."

.٧في الطمأنينة النفسية:

"عندما تخلص والءك لله، تسكن نفسك .عندما تحاول إرضاء الله والناس معاً، تعيش في صراع دائم . الآية تريحك: اختر طريقاً واحداً، طريق الله."

.٨في التحرر من الخوف:

"الخوف من أعداء الله يولد الذلة والتنازلات .لماذا تخافهم؟ وهم يخافون الله إن كانوا عقلاء .ومن لا يخاف الله فهو أهون من أن تخافه."

.٩في الاستقامة:

"الاستقامة ...الاستقامة ...الاستقامة .استقم في قلبك، استقم في علاقاتك، استقم في مواقفك."

.١٠في قراءة القرآن كرسالة شخصية:

"تخيل أن الآية نزلت لتويها عليك .اقرأها كأن الله يناديك الآن."

.١١في جوهر سورة الممتحنة:

"سورة الممتحنة تمتحن القلوب وتختبر حقيقة الإيمان من خلال تحديد موقفها من أعداء الله وأوليائه."

.١٢في الفهم العميق للآية الأولى:

"لفهم الآية الأولى من سورة الممتحنة فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليها بوصفها 'دستور الهوية الإيمانية' و'ميزان الاستقامة'."

.١٣في المودة كفعل قلبي:

"المودة الخفية هي التي تجعلك تبرر للباطل، وتتأثر بظروفه، وتجد في نفسك حرجاً من إعلان الحق."

.١٤في التحرر من 'رهاب القبول الاجتماعي':

"استحسان من لا يعظم الله ليس غاية، بل هو في كثير من الأحيان دليل على 'مبوعة' الموقف الإ يماني وضعف الشخصية."

.١٥في الرقابة الذاتية:

"استحضر أن 'الله يعلم' .هذا الاستحضار هو الذي يُحيد 'النفاق الخفي' الذي قد يتسرب لنفس المسلم."

.١٦في الطريق المستقيم:

"الموالي لغير الله يعيش في 'تشتت'؛ فهو يحاول إرضاء الخلق وإرضاء الخالق، وهذا مستحيل .أما من والى الله، فقد اختصر المسافة .هو يعيش بقلب واحد، ووجهة واحدة، ومبدأ واحد، وهذا هو قمة الطمأنينة النفسية."

.١٧في خاتمة السورة:

"الموالي لغير الله يعيش في 'تشتت'؛ فهو يحاول إرضاء الخلق وإرضاء الخالق، وهذا مستحيل .أما من والى الله، فقد اختصر المسافة."

.١٨في خلاصة رسالة السورة:

"الإيمان عقدة قلبية تتطلب ولاءً كاملا ً لله، وبراءة تامة من أعدائه، مع عدل ورحمة للمسالمين، ومراقبة دائمة لله في السر والعلن."

.١٩في التوحيد العملي:

"من عرف الله حق المعرفة بأسمائه وصفاته، استلزمت تلك المعرفة محبة خاصة ووالءً تاماً، واستحال معها أن يصرف القلب التعظيم والمحبة لمن يعاديه."

.٢٠في الهدف التربوي للآيات:

"الآيات تريد منك أن تعيش عزيزاً بدينك: لا تذل نفسك باستجداء ود أعداء الله، ولا تطلب رضاهم على حساب كرامتك، ولا تخشى بطشهم فالله ناصرك."

.٢١في اليأس من الآخرة:

"من لا يرجو الآخرة لا يبالي بما يفعل."

الخلاصة

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الممتحنة" للأستاذ أحمد عبد الرزاق مربوش العامري، هو كتاب تفسيري موضوعي يندرج ضمن سلسلة موسوعية تغطى السور القرآنية يركز الكتاب على استخلاص المفاهيم الأساسية من سورة الممتحنة وتحويلها إلى طاقة عملية في حياة المسلم، مع منهجية واضحة تجمع بين العمق والوضوح .يخاطب طلاب العلم والدعاة والمفكرين وعموم المسلمين، ويهدف إلى تصحيح المفاهيم وتقديم تفسير موضوعي يلبي احتياجات العصر .من أبرز مخرجاته: فهم متكامل لمبدأ الولاء والبراء، وتربية نفسية وعقدية، وتطبيقات عملية في العلاقات المختلفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

١/ عدد آيات السورة:
عدد آيات سورة الممتحنة ثلاث عشرة آية (١٣) باتفاق عَدّاء المصاحف، وهي آياتٌ محكمة البناء شديدة السبك، تتناسب مع موضوعها التشريعي والعقدي الدقيق.

٢/ مكان نزول السورة:
سورة الممتحنة مدنيّة بالاتفاق، نزلت في المدينة المنورة في مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية وقيام المجتمع المسلم .والدلالة التربوية في كونها مدنيّة أنها جاءت لترسيخ قواعد التعامل مع المخالفين في مرحلة القوة والتمكين، لا في مرحلة الضعف والاستضعاف، مما يعني أن مبدأ "الولاء والبراء" منهج حياة دائم للأمة في كل أحوالها.

٣/ ترتيب السورة:
أولا ً: ترتيبها في المصحف الإمام هو السورة رقم(٦٠) ، وقد وُضعت بين سورة الحشر التي تُعرّف بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وسورة الصف التي تحض على الجهاد والتضحية، وهذا الترتيب يُشير إلى أن معرفة الله بأسمائه وصفاته هي الدافع الحقيقي لموقف المؤمن من أعدائه، وأن الجهاد لا ينفصل عن العقيدة الصافية.

ثانياً: ترتيبها من حيث النزول أنها نزلت بعد سورة التحريم، وهذا يدلّ على أنها نزلت في المرحلة المتأخرة من الدعوة المدنية، حيث تشعبت العلاقات بين المسلمين والكفار، وكانت الحاجة ماسة إلى تشريعات دقيقة تنظم المودة والعداوة على ضوء العقيدة، لا على ضوء المصالح الشخصية أو العاطفية.

٤/ أسماء السورة وسبب التسمية:
تُعرف السورة باسم "الممتحنة" – بفتح الميم وكسرها معاً – وقد سُمّيت بذلك لاشتمالها على أمر الله تعالى بامتحان النساء المؤمنات المهاجرات، حيث قال:) يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن(، وهذا الامتحان كان لتمييز الصادقات في إيمانهن من غيرهن ممن تهاجر لأ سباب دنيوية.
ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: "إنما سميت الممتحنة لأنها تمتحن النساء المؤمنات"، ولها اسم آخر هو "سورة البراءة"؛ لأنها تضمّنت البراءة الصريحة من المشركين وأعداء الله، كما تضمنت إعلان البراءة من آلهتهم الباطلة، وفصلت القول في حقيقة العداوة والمودة.

٥/ الأجواء التي نزلت فيها السورة:
نزلت السورة في فترة حساسة جداً من التاريخ الإسلامي، وهي فترة ما بعد صلح الحديبية) في السنة السادسة للهجرة(، حيث اختلطت مشاعر الأمان والخشية، وكثُرت المناوشات بين المسلمين و المشركين، وكان هناك خطر حقيقي من تسلل عواطف المودة إلى قلوب بعض المسلمين تجاه أقاربهم من المشركين، أو تجاه من يربطهم بهم رحم أو مال أو مصلحة.

كذلك كانت هناك حاجة ماسة لتشريع أحكام الهجرة، خاصة هجرة النساء المؤمنات اللواتي أتين إلى المدينة، وكيفية التعامل مع أزواجهن الكفار ومهورهن .كما كان لا بد من وضع حدود واضحة للعلاقة مع المخالفين، لئلا يختلط الحابل بالنابل، وتضعف هوية المجتمع المسلم بسبب الفوضى العاطفية أو المجاملات الفكرية.

٦/ أسباب النزول للسورة وبعض آياتها:
أولا ً: السبب العام لنزول السورة هو النهي عن موالاة أعداء الله، وقد جاء في قصة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حين كتب إلى المشركين في مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم، فعوتب على فعلته، فنزلت الآيات الأولى من السورة لتقطع الطريق على كل من يُميل بقلبه إلى أعداء الله ولو بحجة الخوف على الأهل والعشيرة.

ثانياً: قوله تعالى) إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك (نزل لبيان أن استغفار إبراهيم لأبيه كان قبل أن يتبين له أنه عدو لله، أما بعد التبين فقد تبرأ منه، فلا يتخذ المؤمنون ذلك عذراً في موالاة أقاربهم المشركين بعد أن يتبين لهم عداؤهم لله.

ثالثاً: الآية الثامنة والتاسعة نزلتا في من لم يقاتلوا المؤمنين من الكفار ولم يخرجوهم من ديارهم، فأباح الله تعالى البر والقسط معهم، محرراً بذلك ضابط العلاقة الذي هو السلوك العملي لا مجرد التصنيف العقائدي.

رابعاً: الآية العاشرة نزلت في قضية المؤمنات المهاجرات، وأمر الله بامتحانهن وعدم ردهن إلى الكفار، وبيّن أن الإيمان يقطع عصمة الزواج مع الكافر.

خامساً: الآية الثانية عشرة نزلت في بيعة النساء التي كانت تأخذها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وقد جمعت البيعة سبعة شروط أساسية تخلص جوهر التزام المرأة المسلمة.

٧/ أهداف وأغراض السورة:
١- ترسيخ مبدأ "الولاء والبراء" كقاعدة عقدية وسلوكية في حياة المؤمن.
٢- قطع الطريق على النفاق الخفي الذي يتجلى في المودة الباطنة لأعداء الله.
٣- حماية المجتمع المسلم من الاختراق العاطفي والفكري من خلال منع إفشاء الأسرار إلى المشركين.
٤- تحديد موقف المسلم من المخالفين بشكل دقيق، بالتفريق بين المحارب المعتدي والمسالم غير المعتدي.
٥- وضع تشريعات عادلة للمهاجرات، وحفظ حقوق المرأة المسلمة وعصمتها ومالها.
٦- تربية الضمير الإيماني على مراقبة الله في السر والعلن.
٧- تقديم القدوة العملية من خلال إبراهيم عليه السلام، لتكون المنهج في المواقف الصعبة.
٨- ختم السورة بتحذير شديد من التشبه باليهود ومن غضب الله عليهم، والحث على الرجاء في الله وعدم اليأس من رحمته.

٨/ الموضوع الرئيسي للسورة:
الموضوع المحوري للسورة هو "تقرير مبدأ الولاء والبراء وتطبيقاته العملية في حياة المؤمن"، فهي تُبيّن من هو العدو الحقيقي للمؤمن، وكيف تكون البراءة منه، وكيف تضبط العلاقة مع غير المسلمين، وكيف تحمي الأمة من الاختراق، وكيف تربّي النفس على خشية الله ومراقبته في كل شأن.
٩/ محاور السورة والمواضيع التي تتحدث عنها

المحور الأول: النهي عن موالاة أعداء الله (الآيات ١-٣)

· النهي عن اتخاذ أعداء الله أولياء.
· بيان حقيقة عداوة الكفار للمؤمنين.
· التحذير من إفشاء الأسرار إليهم.
· وصف الكفار بأنهم يبسطون أيديهم وألسنتهم بالسوء.

المحور الثاني: القدوة الحسنة بإبراهيم (الآيات ٤-٦)

· بيان أن في إبراهيم ومن معه أسوة حسنة.
· إعلان البراءة من المشركين وآلهتهم.
· استثناء استغفار إبراهيم لأبيه قبل التبين.
· دعاء المؤمنين: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا".
· بيان أن الأسوة لمن يرجو الله واليوم الآخر.

المحور الثالث: ضوابط العلاقة مع غير المسلمين (الآيات ٧-٩)

· فتح باب الأمل في هداية الكفار.
· إباحة البر والقسط مع من لم يقاتل المؤمنين.
· النهي عن موالاة من قاتل المؤمنين وأخرجهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم.
· بيان عقوبة من يتولاهم: الظالمون.

المحور الرابع: أحكام المهاجرات والمؤمنات (الآيات ١٠-١١)

· امتحان المؤمنات المهاجرات.
· عدم ردهن إلى الكفار.
· بيان أن المؤمنات لا يحللن للكفار ولا الكفار يحلون لهن.
· إباحة الزواج من المهاجرات مع إعطائهن مهورهن.
· النهي عن إمساك الكوافر.
· التعويض المالي للذين فاتتهم زوجاتهم إلى الكفار.

المحور الخامس: بيعة النساء (الآية ١٢)

· بيان الشروط السبعة للبيعة:
1. عدم الإشراك بالله.
2. عدم السرقة.
3. عدم الزنا.
4. عدم قتل الأولاد.
5. عدم الإتيان ببهتان يفترينه.
6. عدم عصيان النبي في المعروف.
· الأمر بالاستغفار لهن.
· البشارة بأن الله غفور رحيم.

المحور السادس: الخاتمة والتحذير النهائي (الآية ١٣)

· النهي عن موالاة قوم غضب الله عليهم.
· وصفهم باليأس من الآخرة.
· التشبيه بيأسهم كيأس الكفار من الموتى.

١٠/ خصائص السورة وفضائلها:

أولا ً: الخصائص الموضوعية:

.1شمولية المبدأ: تناولت السورة أوسع تطبيقات مبدأ "الولاء والبراء"؛ من العقيدة القلبية إلى العلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية.
.2الواقعية والتطبيق العملي: لم تكتف السورة بالنظريات، بل نزلت في وقائع حقيقية مثل قصة حاتب والمهاجرات وبيعة النساء.
.3الجمع بين الحزم والرحمة: جمعت بين الحزم مع أعداء الله، والرحمة والعدل مع المسالمين منهم.
.4التربية النفسية الدقيقة: اهتمت بمراقبة السرائر والقلوب، وتربية الضمير قبل السلوك الظاهر.
.5ربط الدنيا بالآخرة: ربطت موقف المؤمن من أعداء الله بعاقبته في الآخرة.

ثانيا: الفضائل:

.1من السور المحكمات التي تعالج العقيدة والسلوك.
.2افتتحت بقاعدة عظيمة في العقيدة:) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.(
.3اختتمت بتحذير شديد من التشبه بمن غضب الله عليهم.
.4جمعت بين قصص الأنبياء والأحكام التشريعية مما يعطيها قوة تأسيسية.
.5اشتملت على دعاء عظيم للمؤمنين:) ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا.(

١١/ ما انفردت به السورة

.1التركيز على المودة القلبية وليس فقط على السلوك الظاهر: انفردت السورة بالتفريق بين المودة القلبية) المنهي عنها (والبر والقسط) المأمور به.(
.2امتحان النساء المهاجرات: تفردت بأحكام امتحان المؤمنات المهاجرات وبيان حكم ردهن إلى الكفار.
.3بيعة النساء بسبعة شروط: وردت في السورة بيعة خاصة بالنساء لا توجد في غيرها من السور بهذا التفصيل.
.4استثناء استغفار إبراهيم لأبيه: انفردت ببيان أن استغفار إبراهيم لأبيه كان قبل التبين، وليس أسوة في مرحلة التبين.
.5جمع التطبيقات المختلفة لمبدأ "الولاء والبراء" في سورة واحدة: من العلاقة بالأقارب، إلى العلاقة بـ الأعداء المحاربين، إلى العلاقة بالمسالمين، إلى العلاقة بالنساء المهاجرات.
.6التشبيه الختامي الفريد: يأسهم من الآخرة كيأس الكفار من أصحاب القبور، وهو تشبيه بليغ لا يوجد في غيرها.

١٢/ مقاصد السورة

المقصد الأول: ترسيخ التوحيد في المحبة والبغض

· توحيد الله لا يكون بالعبادة فقط، بل بالحب في الله والبغض في الله.
· إخلاص المودة لله وحده، وعدم مشاركة أعدائه في القلوب.

المقصد الثاني: حماية المجتمع المسلم من الاختراق

· بناء "حصانة نفسية وعقدية" تمنع تسلل أعداء الإسلام إلى صفوف المؤمنين.
· قطع كل طريق يوصل إلى إفشاء الأسرار أو التبعية العاطفية للكفار.

المقصد الثالث: تربية النفس على مراقبة الله

· استحضار أن الله يعلم السر وأخفى، وهذا يمنع النفاق الخفي والمودة الباطنة لأعداء الدين.
· تربية الضمير الحي في كل لحظة.

المقصد الرابع: تحديد ضوابط العلاقات مع غير المسلمين

· وضع معايير واضحة للتعامل مع المخالفين: العدل والبر مع المسالمين، والبراءة والحذر مع المحاربين.
· عدم الخلط بين المودة القلبية والعدل الاجتماعي.

المقصد الخامس: حماية المرأة المسلمة وأسرتها

· حماية المهاجرات من الرجوع إلى الكفر ومن أزواجهن الكفار.
· تشريع ما يحفظ كرامة المرأة المسلمة وعصمتها ومالها.

المقصد السادس: تثبيت المؤمنين على الحق والقدوة

· تقديم نموذج إبراهيم عليه السلام كقدوة عملية في البراءة من الشرك وأهله.
· تذكير المؤمنين بأن الثبات على الحق قد يحتاج إلى هجرة وتضحية.

المقصد السابع: التحذير من التشبه بأعداء الله

· ختم السورة بتحذير من التشبه باليهود ومن غضب الله عليهم.
· التنبيه إلى أن اليأس من رحمة الله صفة ذميمة.
·

١٣/ الرسالة الكبرى للسورة:
الرسالة الكبرى التي تحملها السورة هي أن الإيمان عقدة قلبية تستلزم ولاءً كاملا ً لله وبراءة تامة من أعدائه، مع عدل ورحمة للمسالمين، ومراقبة دائمة لله في السر والعلن .وهذه الرسالة ليست مجرد شعار، بل منهج حياة متكامل يبدأ من القلب، ويمتد إلى الأسرة والمجتمع والدولة، ويُراعي أحوال الناس وطبائعهم، مع بقاء الحزم في أصول العقيدة وثوابتها.

وبتفصيل أوسع:

الرسالة الكبرى هي ترسيخ مبدأ "الولاء والبراء" في حياة المؤمن، بحيث يكون:

· الولاء لله: بالحب والتعظيم والخوف والرجاء والطاعة.
· الولاء لرسول الله والمؤمنين: بالنصرة والمواساة والاصطفاء.
· البراءة من أعداء الله: بالبغض في الله، والمقاطعة القلبية، وعدم المودة، وعدم النصرة، وعدم إفشاء الأسرار.
· العدل مع المسالمين: بالبر والإحسان والقسط، حتى مع غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المؤمنين ولم يخرجوهم من ديارهم.
· مراقبة الله الدائمة: استحضار أنه يعلم السر وأخفى، فلا تخونوه في السريرة كما تخونه في العلا نية.

وهذه السورة تختصر منهج الحياة للمؤمن في علاقته بربه، وبنفسه، وبالمجتمع، وبأعدائه، وبمن حوله من المخالفين.

الخلاصة:
خلاصة القول في سورة الممتحنة أنها سورة مدنيّة، عدد آياتها ثلاث عشرة، ترتيبها في المصحف(٦٠) ، نزلت في أجواء صلح الحديبية وما بعده، وموضوعها الرئيسي ترسيخ مبدأ "الولاء والبراء" .وقد اشتملت على ستة محاور كبرى، وانفردت بخصائص عديدة كامتحان النساء وبيعة المرأة المسلمة و التشبيه الختامي الفريد .مقاصدها تدور حول حماية الأمة من الاختراق، وتطهير القلوب من المودة الخفية للأعداء، وضبط العلاقات مع المخالفين، وتربية المؤمنين على مراقبة الله والرجاء في رحمته . والخلاصة النهائية أن السورة تقدم دستوراً متكاملا ً للهوية الإيمانية، يحدد للمؤمنين من يحبون ومن يبغضون، وكيف يتعاملون مع من حولهم، مع بقاء قلوبهم معلقة بالله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم
سوره الممتحنه

مقدمه تمهيديه في بيان التناسب بين خاتمة سورة الحشر وافتتاحية سورة الممتحنة وارتباطهما بموضوع السورة:
تقوم هذه المقدمه على بيان وجه من وجوه إعجاز النظم القرآني، يتمثل في التناسب المحكم بين نهاية سورة الحشر وبداية سورة الممتحنة، وكيف أن هذا التناسب يؤسس لقاعدة عظيمة في العقيدة والعمل، ثم بيان كيف أن آيات سورة الممتحنة جاءت بعد ذلك لتفصيل هذه القاعدة وتطبيقها. وتقوم فكرة المذكرة على ربط نوعي التوحيد (توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية) وأن الأول يستلزم الثاني ويقتضيه.

المحور الأول: وجه التناسب بين خاتمة الحشر وافتتاحية الممتحنة

اختتم الله تعالى سورة الحشر بتعريف المسلم بأصل دينه وأساس عقيدته؛ وهو معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتنزيهه عن الشرك، وذلك في قوله تعالى:

)هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ ۖ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَهَادَةِ ۖ هُوَ الرَحْمَنُ الرَحِيمُ . هُوَ اللهُ الذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ القُدُوسُ السَلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَارُ المُتَكَبِرُ ۚ سُبْحَانَ اللهِ عَمَا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِرُ ۖ لهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى] (...الحشر:22 -.[24

ثم افتتح سورة الممتحنة بالبناء العملي على هذا الأساس العقدي، بالنهي عن موالاة أعداء الله، فقال:

)يَا أَيُهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَةِ] (...الممتحنة:.[1

وهذا الانتقال من تقرير العقيدة إلى تقرير لوازمها العملية هو عين الحكمة. وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذه العلاقة بقاعدة محكمة، حيث قال:
"التوحيد الذي جاءت به الرسل يتضمن إثبات الألوهية لله وحده، بأن يُشهد ألا إله إلا الله، ولا يُعبد إ لا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُوالي إلا له، ولا يُعادي إلا فيه، ولا يُعمل إلا لأجله. وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وهو يستلزم توحيده في المحبة والولاء".

فمن عرف الله حق المعرفة بأسمائه وصفاته، استلزمت تلك المعرفة محبةً خاصة وولاءً تامًا، واستحال معها أن يصرف القلبُ التعظيم والمحبة لمن يعاديه.

تفصيل مقتضيات الأسماء والصفات الواردة في الخاتمة وارتباطها بافتتاحية الممتحنة:

ارتباط الافتتاح بالختام ليس عشوائيًا، بل هو مؤسس على مقتضى كل اسم من أسماء الله الواردة في أواخر الحشر، وكأن المعنى:

1."عالم الغيب والشهادة": هو مطلع على سرائركم، يعلم ما تخفون من مودة للكافرين وما تعلنون .ف التحذير موجّه للسريرة قبل العلانية، إذ لا تخفى عليه خائنة الأعين وما تخفي الصدور .وهذا أصل في قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي نزلت فيه الآية، حين أسرّ بفعله ونسي إطلاع الله عليه.
2."العزيز": هو الذي له العزة جميعًا، فلا يُغالب .فمن تولى عدوه وألقى إليه بالمودة، فقد نزل عن نصيب من العزة الإيمانية، ووالى من لا يملك له ضرًا ولا نفعًا.
3."الحكيم": الذي يضع الأمور في مواضعها .فشرعه لكم بالبراء من الكفار هو عين الحكمة، ومخالفته خروج عن الحكمة .فامتثال النهي في أول الممتحنة هو مقتضى الإيمان ب-"الحكيم".
4."الرحمن الرحيم": من تمام رحمته بكم أن نهاكم عن موالاة أعدائه؛ حمايةً لإيمانكم، وصيانة لقلوبكم من التعلق بغير الله، ورحمة بكم أن تقعوا فيما يوجب سخطه وعقابه.

المحور الثاني: التناسب بين موضوع السورة وآيتها الأولى

الآية الأولى من سورة الممتحنة "يَا أَيُهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ..." هي الأصل و القاعدة الكبرى التي تدور حولها السورة كلها. فموضوع السورة بكامله هو "الامتحان العملي في تحقيق الولاء والبراء"، وجاءت بقية الآيات تفريعات وتطبيقات لهذه القاعدة:

1.امتحان سريرة القلب وخفايا الأفعال) قصة حاطب(:

الظرف الذي نزلت فيه الآية هو مثال حيّ على خطورة إلقاء المودة الذي قد يصدر من صالح المؤمنين دون التفات إلى مقتضى "عالم الغيب والشهادة" .فكانت الآية الأولى تطبيقًا مباشرًا للامتحان في سريرة القلب قبل العمل الظاهر.
.2امتحان العلن والمواجهة مع الأهل والعشيرة) أسوة إبراهيم(:
ضرب الله نموذجًا عمليًا يُحتذى في تطبيق هذا البراء، فقال: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ..." .وهذا هو الامتحان في أوضح صور العلن و التصريح .ثم استُثني من ذلك قول إبراهيم لأبيه: "لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ"، فهو ليس من موالاة الكفار، بل هو رجاء للهداية مع البراء، وقد تبرأ منه حين تبينت عداوة أبيه لله .فهذا استثناء دقيق يُفصّل مسائل القلب في الولاء والبراء.
.3امتحان العواطف والعلاقات الأسرية) حكم المهاجرات والبيعة(:
بيّنت السورة أحكام النساء المؤمنات المهاجرات وامتحانهن للتأكد من صدق إيمانهن ودوافعهن للهجرة، والنهي عن إمساك الكوافر وردّهن إلى الكفار .وهذا يمثل فصلا ً عمليًا للموالاة، حيث يتقرر مصير العلاقة الزوجية بناء على معيار الولاء والبراء .وختم هذا المقطع ببيعة النساء على أمور ظاهرة وباطنة) عدم الإشراك، السرقة، الزنا (...لأن الله عليم بذات الصدور.

الخلاصة الجامعة

يقوم النظم القرآني في هذا الموضع على أساس متين من الوحدة الموضوعية:

· خاتمة سورة الحشر تؤسس القاعدة العقدية الكبرى) معرفة الله بأسمائه وصفاته (التي تستلزم توحيده في المحبة والولاء.
· افتتاحية سورة الممتحنة تبني على هذا الأساس الحكم العملي) النهي عن موالاة الأعداء (باعتباره مقتضى تلك الأسماء والصفات.
· بقية سورة الممتحنة تفصّل هذا الحكم وتضرب له الأمثلة الواقعية والتشريعية في مختلف جوانب الحياة) السر، العلن، الأسرة(، ليكون المؤمن على بصيرة من أمره في هذا الامتحان العظيم .وكما يتضح من الاتى

القسم الاول

المبحث الأول

التفسير الكامل والمفصل للآية الأولى من سورة الممتحنة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

أولا ً: مقدمة تمهيدية

اخى الداعيه ، يا من أشرق نور الإيمان في قلبه، يا من حمل أمانة هذه الدعوة على كاهله...

هل شعرت يوماً أنك تعيش صراعاً داخلياً مريراً؟ صراع بين ما تؤمن به وبين ما يريده الناس منك؟ صراع بين هويتك المسلمة التي تفتخر بها، وبين رغبتك الملحة في أن تحظى بالقبول والرضا من الجميع، حتى من الذين يختلفون معك في الأصول، بل حتى من الذين يحاربون دينك ويستهزئون بمقدساتك؟

هل وجدت نفسك مرة تبتسم ابتسامة عريضة لمن سخر من لحيتك أو حجابك؟ هل مددت يدك بـ التحية لمن أعلن عداوته للإسلام؟ هل ألقيت بكلمة طيبة أو مدح أو إعجاب لمن يشككون في ثوابتك ويهاجمون قيمك؟

لا تلوم نفسك كثيراً، فهذه هي طبيعة البشر. لكن الله سبحانه وتعالى، برحمته بك، وبغيرته عليك، أنزل هذه الآية لـ تنقذك من نفسك، لـ تخرجك من دائرة الضعف والذل، لـ تعيد لك عزتك وكرامتك ، لـ تذكرك بأنك لست عبداً لأحد سواه.

إنها ليست مجرد آية تُتلى في المحاريب، بل هي ميثاق العزة، ودستور الاستقامة، وخريطة الطريق لكل مسلم يريد أن يعيش حراً كريماً، لا تنكسر هيبته، ولا تضيع هويته، ولا تتلوّن شخصيته.

دعني الآن -أخي الحبيب- أجلس معك جلسة روحية، كأنني أتحدث إليك وجهاً لوجه، نفتح قلوبنا معاً، ونتأمل في كل كلمة من هذه الآية، ونستخرج منها الكنوز التي ستغير حياتك للأبد...

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

الآية الكريمة تأتي لتعالج في نفسك وفي واقعك قضايا عميقة وجوهرية. إنها تشخيص دقيق لأمراض الأمة، ثم وصفة علاجية متكاملة. إليك هذه القضايا بالتفصيل:

القضية الأولى: قضية الانتماء الحقيقي

هل أنت مسلم حقاً؟ أم أن إسلامك مجرد هوية ورقية في بطاقة الأحوال؟

الآية تفرق بين "الإيمان" كشعار يُرفع على المآذن، و"الإيمان" كولاء عملي يُعاش في القلب والجوارح. إنها تسألك: من تحب؟ من توالى؟ من تنصر؟ من تأتمن على أسرارك؟ من تثق بآرائهم؟

الإيمان الحقيقي ليس مجرد صلاة وصيام، بل هو نظام علاقات متكامل. العلاقة مع الله (ولاء وخضوع)، والعلاقة مع الرسول (اتباع ونصرة)، والعلاقة مع المؤمنين (محبة ومواساة)، والعلاقة مع أعداء الله (براءة وحذر).

فإذا كنت تحب من يحارب دين الله، أو تعجب بمن يستهزئ بسنن نبيك، أو تأتمن على أسرارك من يريد هدم مجتمعك، فأين إيمانك؟ وأين انتماؤك؟

القضية الثانية: قضية التحالف مع المخالفين

كيف تتعامل مع من يحارب دينك ويسخر من مقدساتك ويقاتل أهل الحق؟

هذه الآية تنزل لترسم لك حدود التعامل مع هؤلاء. إنها لا تمنع التعامل العادل والإنساني مع غير المحاربين، لكنها تمنع بشكل قاطع الموالاة والمودة القلبية.

هل تمنحهم ثقتك؟ هل تفضي إليهم بأسرار المسلمين؟ هل تدافع عنهم وتنصرهم على المؤمنين؟ هل تطلب رضاهم وتتزلف إليهم؟ هذه كلها أشكال من "الموالاة" التي تنهى عنها الآية.

القضية الثالثة: قضية ازدواجية الشخصية (النفاق الخفي)

هي من أخطر القضايا التي تعالجها الآية. أن تظهر شيئاً في العلن وتخفي شيئاً آخر في السر. أن تبتسم في وجه من تعادي عقيدتهم، وفي قلبك مودة لهم. أن تداهن وتجاملكَ خوفاً من بطشهم أو طمعاً في عطائهم.

الآية تفضح هذا التناقض الداخلي، وتكشف أن الله يعلم ما تخفي، وأن هذا التناقض يمزق النفس ويفقدها السلام والطمأنينة.

القضية الرابعة: قضية التضحية والغاية

لماذا خرجت من رحم أمتك؟ لأجل ماذا تحارب وتكدح وتتعب؟

هذه الآية تذكر المؤمنين بـ جوهر جهادهم وهدف وجودهم. إنهم خرجوا من ديارهم وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، وابتغاء مرضاته. هذه هي الغاية الكبرى.

فإذا كانت هذه هي غايتك، فلا يصح أن تبيعها بأي ثمن بخس، ولا أن تخونها بأي مودة زائفة لأعداء الله. تضحيتك من أجل الله تستوجب منك أن تكون وفياً لهذه التضحية، لا أن تتنازل عنها في لحظة ضعف أو طمع.

القضية الخامسة: قضية مراقبة الله للسرائر

هي القضية الأعمق في الآية. أنت تظن أنك تخفي مشاعرك عن الناس، لكن الله يعلمها. تظن أن سرك مكتوم، لكن "عالم الغيب والشهادة" يطلع عليه.

هذه المراقبة الإلهية الدائمة هي التي تمنع المؤمن الصادق من أن يضل عن الطريق. لأن من يعلم أن الله يراه ويسمعه ويعلم ما في قلبه، سيرتدع فوراً عن أي ميل خفي لا يرضي الله.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله منك تحديداً من خلال هذه الآية؟ تعال نستعرض الأهداف والمقاصد بالتفصيل:

الهدف الأول: حماية عقيدتك من الذوبان

يريد الله أن تكون عقيدتك حصناً منيعاً لا يمكن اختراقه. المودة الزائفة، والإعجاب بالآخرين، والانبهار بثقافتهم، كلها أدوات اختراق خطيرة. الآية تريد أن تغلق هذه الثغرات كلها.

الهدف الثاني: تربية الضمير اليقظ

أن تعيش في حالة مراقبة دائمة. ليس فقط مراقبة للسلوك الظاهر، بل مراقبة للنوايا والمشاعر الخفية. الآية تريد أن تجعل منك إنساناً راقياً، لا يكتفي بصلاح ظاهره، بل يسعى لصلاح باطنه أيضاً.

الهدف الثالث: صناعة الأمن النفسي

يريد الله أن يحررك من مخاوفك. الخوف من الناس، الخوف من عدم القبول، الخوف من الفقر، الخوف من العزلة... كل هذه المخاوف تجعلك أسيراً للآخرين. الآية تقول لك: من والى الله، لا يخاف أحداً سواه. هذا هو الأمن النفسي الحقيقي.

الهدف الرابع: تأسيس مجتمع متماسك

المجتمع المسلم ليس مجرد أفراد يعيشون بجوار بعضهم. إنه جسد واحد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء. هذا التماسك لا يتحقق إلا عندما يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من أعداء الله. أي اختراق من باب "المودة المزيفة" سيفكك هذا الجسد.

الهدف الخامس: إعلان الهوية المسلمة بكل وضوح

أن تعرف من أنت، وإلى من تنتمي، وعلى من تعتمد. لا تلبس ثياب الآخرين، ولا تنطق بألسنتهم، ولا تتبنى قيمهم. الآية تريد أن تصنع منك شخصية مستقلة، ذات هوية واضحة، لا تخلط ولا تلبس ولا تخجل من دينها.

الهدف السادس: غرس قيمة "الحب في الله والبغض في الله"

هذه هي قمة الإيمان. كما قال النبي ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله". الآية تزرع هذه القيمة في أعماقك، لتصبح محركاً لعلاقاتك كلها.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

الآن، دعنا نتأمل معنى الآية كلمة كلمة، ببساطة ووضوح:

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا﴾

يا أيها الذين صدقوا الله وآمنوا به وبرسوله، واتبعوا منهجه، واستجابوا لأمره... أنتم الذين اخترتم الإيمان على الكفر، والحق على الباطل، والهدى على الضلال...

﴿لَا تَتَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

لا تجعلوا أعدائي وأعداءكم أصفياء وأحباء، لا تجعلوهم أولياء لكم. "الولي" هو الصديق الحميم، و الناصر، والمحب، والذي تأتمنه على أسرارك وتثق به في أمورك. لا تفعلوا هذا مع أعداء الله.

·{تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ}·

وأنتم تلقون إليهم بالمودة، أي تظهرون لهم المحبة والصداقة، وتفشون إليهم الأسرار، وتكشفون لهم خبايا المؤمنين، وتطلبون ودهم وقربهم.

·{وَقَدْ كفَرُوا بِمَا جَاءَكم مِّنَ الحَقِّ}·

مع أنهم كفروا بالقرآن الذي أنزل عليكم، وبالنبي الذي بعث فيكم، وبالإيمان الذي يدين به قلوبكم. هم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، فكيف توالون من كفر بأصل دينكم؟

·{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكمْ}·

هؤلاء الأعداء هم الذين أخرجوا الرسول محمداً ﷺ من مكة، وأخرجوكم أنتم أيضاً من دياركم وأموالكم، فقط...

·{أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكمْ}·

...فقط لأنكم قلتم: "ربنا الله"، وآمنتم به وحده، ورفضتم عبادة الأصنام والأوثان .هذا هو جرمكم عندهم! هذا هو ذنبكم الذي يستوجب الإخراج والتعذيب والمقاطعة!

فبعد كل هذا، كيف تلقون إليهم بالمودة؟ كيف توالون من أخرجكم من دياركم؟ كيف تحبون من يبغض إيمانكم؟

·{إِن كنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي}·

إذا كنتم حقاً قد هاجرتم من دياركم وتركتم أهليكم وأموالكم، مجاهدين في سبيلي، وطالبين مرضاتي ، وليس لأجل دنيا تصيبونها أو امرأة تتزوجونها... فليكن سلوككم متناسباً مع هذا الهدف العظيم. لا تتناقض أقوالكم مع أفعالكم.

·{تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ}·

بل الأدهى والأمرّ! أنتم تُسرون إليهم بالمودة في الخفاء. تظنون أن الناس لا يرون، وأن الأسرار لا تنكشف، فتبطنون في قلوبكم حباً لمن هم أعداء لله.

·{وَأَنا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ}·

أنا الله، أعلم بما تخفون في صدوركم، وأعلم بما تظهرون على ألسنتكم وجوارحكم. لا يخفى علي شيء، لا في السماء ولا في الأرض. السرير عندي علانية، والغيب عندي شهادة.

·{وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}·

ومن يفعل هذا الفعل العظيم - وهو موالاة أعداء الله وإلقاء المودة إليهم في السر والعلن - فقد انحرف عن الطريق المستقيم الواضح، وتاه عن جادة الحق، وضل عن سواء السبيل الذي يوصل إلى الله.

المعنى العملي للآية - كيف تعيشها في واقعك؟

والآن، بعد أن فهمنا المعنى، دعنا نطبق هذا على واقع حياتنا اليومية. تعال معي أسألك أسئلة صادقة، وأجب عليها في نفسك:

أولا ً: في علاقاتك الاجتماعية:

اسأل نفسك:

· هل تمنح "مودتك القلبية" وثقتك وأسرارك لمن يستهزئ بدينك، أو يسخر من مقدساتك، أو يصف

المؤمنين بالرجعية والتخلف؟
· هل تفتح قلبك لشخص يقول لك: "أنت متطرف" لأنك تصلي، أو "أنت إرهابي" لأنك ملتح أو محجبة ، أو "أنك تعيش في العصور الوسطى" لأنك تتمسك بتعاليم دينك؟
· هل تحب في قلبك شخصاً يسب الله أو رسوله أو القرآن؟ وهل تجد حرجاً في إعلان براءتك منه؟

التطبيق العملي:
الآية لا تمنعك من التعامل العادل والإنساني مع غير المحاربين. يمكنك أن تكون محترماً مهذباً عادلا ً مع الجميع. لكنها تمنعك أن تفتح لهم خزانة قلبك. خزانة القلب فيها أسرارك، مخاوفك، أهدافك، أحلامك، إيمانك العميق. لا تفتح هذه الخزانة إلا لمن يستحقها.

ثانياً: في عملك ودراستك:

اسأل نفسك:

· هل تتنازل عن مبادئك لترضي مديراً أو زبوناً أو أستاذاً يختلف معك جوهراً في العقيدة؟
· هل توافق على أفعال محرمة) ربا، غش، رشوة، كذب (خوفاً من أن تخسر وظيفتك أو درجتك؟
· هل تشارك في مشاريع تخدم أعداء الدين وتقويهم على المسلمين؟

التطبيق العملي:
تذكر: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾. الله يراك وأنت توقع العقد، يراك وأنت تتنازل، يراك وأنت تبتسم رغماً عنك. لن تنفعك المناصب والدرجات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثالثاً: في وسائل التواصل الاجتماعي:

اسأل نفسك:

· من تتابع؟ من تعجب بمشاركاته؟ من تشارك محتواه؟
· هل قائمة متابعتك مليئة بأشخاص يسخرون من الدين، أو يروجون للقيم المناقضة للإسلام، أو يقللون من شأن العلماء والمؤمنين؟
· هل تستمتع بمحتوى فاضح، أو أغانٍ تخاطب الغرائز، أو أفلام تهدم الأخلاق؟
· هل تتفاعل مع صفحات تهدف إلى هدم الهوية الإسلامية؟

التطبيق العملي:
كل "إعجاب" وكل "مشاركة" وكل "متابعة" هي شكل من أشكال "إلقاء المودة" إلكترونياً. أنت حين تتابع شخصاً يعادي دينك، وتعجب بأفكاره، وتعبر عن إعجابك به، فإنك تواليه ولو لم تشعر. راقب حساباتك، ونظف متابعاتك، واحرص أن تكون قائمة قدواتك من يذكرونك بالله ويقوون إيمانك.

رابعاً: في قراراتك المصيرية:

اسأل نفسك:

· هل تتخذ قرارات حياتك) زواج، عمل، سفر، شراكة (بناءً على رضا الله أولا ً، أم بناءً على ما يرضي الناس؟
· هل تختار شريك حياتك بناءً على دينه وخلقه، أم على ماله وجاهه وشكله؟
· هل تسافر إلى بلاد تضعف فيها هويتك الدينية، أو تدرس في جامعات تستهين بقيمك؟

التطبيق العملي:
كل قرار كبير في حياتك يجب أن يوضع على "ميزان الولاء لله". اسأل: "هل هذا القرار يعكس ولايتي لله أم يرضي أعداءه؟ هل هذا القرار يقرّبني إلى الله أم يباعدني؟".

خامساً: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

هذا هو صلب التفسير، وسأفصله لك بالكامل، كل أمر على حدة، مع كل الرسائل والمفاهيم
الأمر الأول: النداء الإيماني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

.1لماذا ابتدأت الآية بالنداء "يا أيها الذين آمنوا"؟

يا صاحبي، تأمل معي هذا النداء العجيب. لم يقل الله: "يا أيها الناس" - لأن الناس فيهم الكافر و المؤمن والمنافق. ولم يقل: "يا أيها المسلمون" - لأن كلمة "مسلمين" قد تشير إلى الاستسلام الظاهري فقط. بل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

لماذا؟ لأن هذه الصفة هي مفتاح القلب ومحرك الضمير.

أولا ً: هذه الصفة تذكر المخاطب بنعمة الله عليه
الإيمان ليس مكتسباً ذاتياً، بل هو نعمة من الله. فالله يقول لك: أنا الذي مننت عليك بالإيمان، وهديتك إلى هذا الطريق، فكن أهلا ً لهذه النعمة.

ثانياً: هذه الصفة تذكر المخاطب بالمسؤولية
الإيمان يوجب عليك الاستجابة. من قال "آمنت" فعليه أن يثبت ذلك بسلوكه. الإيمان ليس مجرد كلمة تقال، بل هو حياة تعاش.

ثالثاً: هذه الصفة تخلق الانتماء والجماعة
أنت جزء من "الذين آمنوا" عبر الزمان والمكان. لست وحدك. هناك جيش من المؤمنين قبلك وبعدك، كلهم يحملون نفس القيم ويواجهون نفس التحديات.

.2ما هي المشاعر التي تغرسها هذه البداية بالنفوس؟

هذا النداء الرباني يغرس في نفسك مشاعر عميقة، دعني أعددها لك:

المشاعر الأولى: الفخر والاعتزاز
تخيل! رب العالمين، ملك الملوك، خالق السموات والأرض، الذي لا تخفى عليه خافية، يناديك أنت شخصياً ب- "يا أيها الذي آمن بي". أليس هذا أعظم وسام وأسمى تكريم؟ هذا يملأ قلبك فخراً وعزة.

المشاعر الثانية: الحب والشوق
عندما يناديك من تحب بصوت حنون، تشتاق إليه وتتطلع للقائه. هكذا قلب المؤمن مع نداء ربه. كلما سمعت "يا أيها الذين آمنوا"، اشتياقك يزداد إلى الله، وتتطلع إلى مرضاته وقربه.

المشاعر الثالثة: اليقظة والانتباه
هذا النداء يوقظك من غفلتك. كأن الله يقول لك: "انتبه! أنا هنا، وهناك أمر مهم سأقوله لك، فلا تكن غافلا ً". يزيل عنك غطاء الغفلة، ويجعلك في حالة استعداد تام.

المشاعر الرابعة: الرهبة والهيبة
أنت في حضرة العظيم الجبار. فليستقر في قلبك الخشوع والخضوع. ليس خوفاً يائساً، بل رهبة ممزوجة بالمحبة.

.3ما الذي نتعلمه من هذا الأسلوب في مخاطبة الآخرين قبل البدء بالتوجيهات؟

تعلمنا الآية فناً عظيماً من فنون التواصل والتربية. إليك الدروس المستفادة:

الدرس الأول: اختر صفة يحبها المخاطب
قبل أن تطلب شيئاً من شخص، ناده بأحب الأسماء إليه، وبأفضل صفاته. قل لابنك: "يا من تحب الخير"، قل لموظفيك: "يا أصحاب الهمة العالية". هذا يفتح القلب قبل العقل.

الدرس الثاني: ذكر بهويته وقيمته
لا تبدأ بالزجر أو التهديد أو النقد. ابدأ بالتذكير بمن هو، وبما يمثله. "يا أيها الذين آمنوا" هي تذكير بـ الهوية. "يا معشر الشباب الطموح" هي تذكير بالقيمة.

الدرس الثالث: اجعل المخاطب يشعر أنك تثق به
عندما تناديه بصفة حسنة، فإنه سيسعى ليكون أهلا ً لها. الثقة تزرع المسؤولية. الإكرام يولد الا لتزام.

الدرس الرابع: التدرج في التوجيه
النداء أولا ً، ثم التوجيه ثانياً. هذا التدرج يهيئ النفس ويجعلها أكثر تقبلا ً.

.4ما أهمية أن يكون الالتزام بمواصفات الخطاب الديني؟

الخطاب الديني ليس خطاباً عادياً. له مواصفات خاصة تنبع من مصدره الإلهي:

الأهمية الأولى: أن الخطاب الديني يخاطب الروح قبل العقل
العقائد لا تصل إلى القلب بالمنطق المجرد، بل بالشعور الإيماني. "يا أيها الذين آمنوا" توقظ الإيمان في القلب قبل أن تبدأ في التفصيل.

الأهمية الثانية: أن الخطاب الديني يبني علاقة وليس مجرد نقل معلومات
إنه يبني علاقة بين العبد وربه، وبين الداعية والمتلقي. النداء الحنون يبني جسراً من الثقة والمحبة.

الأهمية الثالثة: أن الخطاب الديني يغير السلوك وليس فقط يفهم
الهدف النهائي ليس الفهم فقط، بل التغيير. والنداء الذي يمس القلب هو الذي يغير السلوك.

.5هل المخاطبون هم المؤمنين في زمن الرسول فقط؟

لا، بل أنت المقصود يا أخي المؤمن.

هذا هو السر العظيم في القرآن. القرآن ليس كتاب تاريخ، بل هو كتاب حي، يتحدث إليك الآن، في هذا الوقت، في هذا المكان.

تخيل أن الآية نزلت لتويها عليك. اقرأها كأن الله يناديك الآن: "يا أيها الذي آمنت بي... لا تتخذ عدوي وعدوك ولياً".

هذا الأسلوب (باستخدام الفعل المضارع "يخرجون، يخرجون، يخرجون") يجعل المشهد حياً متجددا. كأن الكفار ما زالوا يخرجون الرسول والمؤمنين الآن، كلما جاءهم الحق.

الرسالة التربوية العظيمة: لا تقرأ القرآن كتاريخ مضى، بل كرسالة موجهة إليك الآن. عندما تقرأ "يا أيها الذين آمنوا"، قل في نفسك: "ها أنا ذا يا رب، لبيك وسعديك، ماذا تريد مني؟".

فائدة تربوية أخرى: هذا يجعل المؤمن يعيش عمراً إضافياً. فهو لا يعيش تجاربه الخاصة فقط (50 سنة مثلا ً)، بل يعيش تجارب الصحابة والتابعين، فيصبح عمره الروحي 1400 سنة. هذه الخبرة التراكمية تعطيه حكمة في معالجة مشاكله.

الأمر الثاني: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

الآن ننتقل إلى الأمر الثاني. هذا الأمر هو صلب الآية. تعال نحلله بالتفصيل:

.1الأساس العقدي للعلاقات) الحب والبغض في الله(

المؤمن الحق لا يبني علاقاته على المصالح اللحظية أو العواطف العشوائية، بل يبنيها على ميزان العقيدة.

دعني أشرح لك مفهوم "الحب في الله والبغض في الله" بالتفصيل:

أولا ً: الحب في الله
هو ميل قلبي لمن أطاع الله وتقرب إليه. تحب المؤمنين لأنهم إخوانك في الدين، ولو لم ترهم قط. تحب العلماء لأنهم حملة رسالة الله. تحب الصالحين لأنهم أتقياء. هذا الحب ليس لمصلحة شخصية، بل لله.

يقول النبي ﷺ: "أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله".

ثانياً: البغض في الله
هو تبرؤ قلبي من أعداء المنهج، ليس لعداء شخصي أو حقد ذاتي، بل انتصاراً للحق الذي يحاربونه. تبغض الكفر والكافرين من حيث هم أعداء لله، ليس لأنهم أساءوا إليك شخصياً.

هذا الأساس يمنحك ثباتاً شخصياً هائلاً. فلا تتقلب مشاعرك مع أهواء الناس أو ضغوطهم. لا تحب من يحبك فقط، ولا تبغض من يبغضك فقط. أنت تحب لله وتبغض لله.

2."القلب" عنوان الولاء

النهي في الآية ليس عن التفاعل الظاهري (كالمعاملة الحسنة للمسالمين)، بل عن المودة القلبية.

اسأل نفسك بصدق: هل يمكن للقلب أن يتسع لضدين؟

كيف تحب الله - الذي يستحق كل الحب والتعظيم - وفي نفس الوقت تحب من يحاد الله ويناهض دينه؟ هذا جمع بين النقيضين، وهذا مستحيل في قلب سليم.

القلب هو مملكة الإيمان. لا ينبغي أن يدخلها إلا من يعظم شعائر الله. إذا سكن "عدو المنهج" في قلبك، فقد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

الرسالة النفسية: محاسبة النفس هنا عميقة. لا تسأل فقط "هل تعاملت معهم بالعدل؟"، بل اسأل "ما هو شعوري تجاههم؟ هل في قلبي ميل لهم؟ هل أتمنى لهم النصر على المؤمنين؟".

3.دلالة "عدوي وعدوكم") العداوة المشتركة(

تأمل هذه العبارة الرائعة: لم يقل "أعداءكم" فقط، بل قال "عدوي وعدوكم".

لماذا هذه الإضافة العجيبة؟

المعنى الأول: إضافة العداوة لله أولاً
هذا لتعظيم جرمهم. هم أعداء الله قبل أن يكونوا أعداءك. عداوتهم ليست مجرد عداوة بشرية، بل هي عداوة عقدية. من عادى الله فهو في حرب مع رب العالمين.

المعنى الثاني: إضافتها للمؤمنين تذكيراً
هم أعداء لكم لأنكم آمنتم بالله. ليست عداوة شخصية بسبب مال أو جاه، بل عداوة منهجية بسبب الإيمان.

الرسالة المستفادة:
المسألة ليست شخصية بينك وبينهم، بل هي صراع مصيري بين الحق والباطل. من يقف مع الباطل فهو عدوك، ولو كان أقرب الناس إليك.

هذا الاستشعار يغرس في نفسك:

· العزة: لا تطلب ود من هو عدو لله .كيف تذل نفسك لمن أعلن الحرب على ربك؟
· الحذر: لا تثق بمن عادى الله .كيف تأتمن من خون الله؟
· الوضوح: لا تخلط بين الشعورين .لا تحب من يبغض الله.

4.معيار العلاقات) الإيمان كخط أحمر(

وضعت الآية الإيمان بالله وحب دينه كخط أحمر لا يمكن تجاوزه في العلاقات.

ماذا يعني هذا؟

أي علاقة أو مصلحة تفضي إلى كسر هذا الخط هي "خيانة عقدية" و"خروج عن الطريق".

إذا كان الشخص الآخر يعادي هذا الإيمان، فإن "خط الأمان" بينك وبينه ينقطع قلبياً، حتى وإن استمرت المعاملة بالعدل والقسط معه.

تطبيق عملي: لا تجعل أي مصلحة دنيوية - مهما كبرت - تدفعك للتنازل عن مبدأ الإيمان. المال يذهب ويأتي، الوظيفة تأتي وتذهب، لكن دينك هو رأس مالك الحقيقي.

.5الولاء والانتماء في عصر التواصل والانفتاح) العولمة الرقمية(

في زمن "العولمة الرقمية"، أصبح الحفاظ على الولاء تحدياً كبيراً لم يسبق له مثيل. دعني أناقش معك هذا التحدي:

التحدي الأول: تصفية المصادر
في الماضي، كانت مصادر المعرفة محدودة: المسجد، الكتاب، العالم. أما اليوم، فهناك آلاف القنوات، ملا يين المقاطع، مليارات المنشورات. كثير منها يزرع الشك، ويذيب الهوية، ويشكك في الثوابت.

الحل: يجب أن تكون "حارساً" على عقلك. لا تتلقى مفاهيمك عن "الولاء والانتماء" من بيئات تذوب فيها الفوارق بين الحق والباطل. فلتر ما يصل إليك.

التحدي الثاني: الوعي بالانحيازات الخوارزمية
وسائل التواصل الاجتماعي ليست محايدة. الخوارزميات تصمم لك "واقعاً افتراضياً" يتناسب مع ما تحب. وقد تصمم لك هذا الواقع بطريقة تميل بك نحو إعجاب غير منطقي بأشخاص أو أفكار تعادي دينك.

الحل: قف دائماً وقفة الناقد. لا تكن "إمعة" تتبع ما يظهر على شاشتك دون تفكير. اسأل: من وراء هذا المحتوى؟ وما هدفه؟

التحدي الثالث: الانتماء للهوية
الولاء ليس شعاراً ترفعه، بل هو "ممارسة". كيف تمارس انتماءك لـ "مجتمع المؤمنين"؟

· بدعم الحق حيثما كان
· بالغيرة على القيم عندما تتعرض للهجوم
· بالاعتزاز بالمنهج في نقاشاتك العامة والخاصة
· بالتضامن مع المستضعفين من المؤمنين في كل مكان

.6أهم الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر

هذا هو المطلب الذي أردته مفصلا ً. إليك كل الرسائل بالتفصيل:

أولا ً: الرسائل النفسية (ما يحدث داخل نفسك):

.1رسالة العزة الإيمانية: لا تطلب مكانتك عند أعداء المنهج، فمكانتك محفورة عند ربك .الولاء لله يورثك كرامة وعزة لا تدرك بغيرها .عندما تشعر أنك بحاجة لقبولهم أو إطرائهم، تذكر أنك عند الله أعز.
.2رسالة الشفاء من ضعف الشخصية: من يوالى أعداء الله غالباً ما يعاني من شعور بالنقص أو الخوف من الرفض أو الحاجة الماسة للقبول الاجتماعي .الآية تعالج هذا الداء العميق، فتقول لك: أنت مكتفٍ بالله، لا تحتاج لأحد سواه.
.3رسالة الطمأنينة النفسية: عندما تخلص ولاءك لله، تسكن نفسك .عندما تحاول إرضاء الله والناس معاً، تعيش في صراع دائم .الآية تريحك: اختر طريقاً واحداً، طريق الله، وسيأتيك الرضا من حيث لا تحتسب.
.4رسالة التحرر من عبودية الخوف: الخوف من أعداء الله يولد الذلة والتنازلات .الآية تقول: لماذا تخافهم؟ وهم يخافون الله إن كانوا عقلاء .ومن لا يخاف الله فهو أهون من أن تخافه.

ثانياً: الرسائل العقلية (كيف يفكر عقلك):

.1رسالة التمييز المنطقي: لا تسمح للمودة العاطفية أن تعمي بصيرتك عن حقيقة الخصومة .العواطف قد تخدع، لكن الحق واضح .تذكر أن "عدو الله" لديه أجندة قد تتصادم مع هويتك مهما تلطف في الخطاب.
.2رسالة الرؤية الاستشرافية) فقه المآلات(: لا تنظر للمكاسب العاجلة من موالاتهم) وظيفة، مال، جاها(، بل انظر للمآلات البعيدة .أين ستصل بك هذه المودة بعد عشر سنوات؟ هل ستقودك إلى الجنة أم إلى النار؟ هل ستقوي دينك أم تضعفه؟
.3رسالة الاستقلالية الذهنية: حافظ على أن يكون لك "مرجعية فكرية" مستقلة .لا تنفعل بأطروحات الآخرين لمجرد بريقها، ولا تتبنى مفاهيمهم لمجرد الإعجاب بهم .كن ناقداً، لا مستهلكاً.
.4رسالة إعادة تعريف المصلحة: في عقل المؤمن، المصلحة ليست كل ما يجلب منفعة عاجلة . المصلحة هي ما يبارك الله فيه، وما يثبتك على الحق، وما يزيدك إيماناً .التنازل عن المبادئ ليس مصلحة، بل هو خسارة مؤكدة.

ثالثاً: الرسائل التربوية (لتربية نفسك ومن تحت يدك):

.1رسالة التدريب على الثبات: الآية تدربك على أن تكون "ذا موقف" لا "ذا تمويه" .وضوح الموقف ع لامة على نضج الشخصية .الثبات علامة على قوة الإيمان .التردد والتلون علامة على الضعف.
.2رسالة مبدأ الحذر واليقظة) التفرس(: التربية على "التفرس" في النوايا .المؤمن ليس ساذجاً يصدق كل مبتسم .المؤمن "كيس فطن"، يعلم حدوده وحدود غيره، ويعلم أن العدو قد يأتي في ثوب الصديق.
.3رسالة تطوير المناعة الاجتماعية: تعويد النفس على أن العزلة عن أفكار الأعداء ليست انغلاقاً، بل هي حماية للحصون .لا تستوحش من أن تكون مختلفاً، فالاختلاف في سبيل الله هو الطريق.
.4رسالة الوفاء للمنهج: التربية على الوفاء .من رباك على الخير، أوصلك إلى الحق، ضحى من أجلك - تستحق الوفاء .والله أولى بالوفاء .كيف تخون من أنقذك من الضلال؟

رابعاً: الرسائل العملية (لواقعك اليومي):

.1رسالة الشفافية المشروطة: في تعاملك اليومي مع الجميع، كن شفافاً صادقاً في نقل المعلومة، لكن كن حذراً في الإفصاح عن الخصوصيات .الشفافية في العدل والصدق، والحذر في الأسرار.
.2رسالة سياج الخصوصية: لا تعامل أي شخص بفيض من المودة قبل أن تختبر "موقف المبدأ" لديه . اختبر قلبه: هل يحب الله ورسوله؟ هل يغار على الدين؟ هل يدافع عن الحق؟
.3رسالة المحاسبة الدورية: اجعل من هذا التحليل أداة قياس لقراراتك .في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك: "هل هذا التواصل الذي قمت به يخدم المنهج الإيماني، أم هو اندفاع عاطفي يضرني ويضر ديني؟".

.7أهمية تحديد الولاء والانتماء وكيف تصون نفسك

أولا ً: لماذا تحديد الولاء والانتماء مهم؟

لأنه الضمانة الحقيقية لاستقامة شخصيتك. بدون بوصلة واضحة، ستتيه في متاهات الحياة.

مثل السفينة في البحر: بدون بوصلة، تأخذها الرياح والتيارات في كل اتجاه، وقد تتحطم على الصخور. أما مع البوصلة، فتعرف أين تتجه، حتى لو كانت العواصف شديدة.

ثانياً: ماذا يعني مفهوم الولاء والانتماء؟

· الولاء: هو إعطاء "النصرة والمحبة والتأييد" لمن يستحقها شرعاً: الله ورسوله والمؤمنون.
· الانتماء: هو إلحاق كيانك وهويتك بهذه المرجعية .أن ترى نفسك جزءاً من هذه الأمة، تحمل همومها ، وتسعى لنهضتها.

ثالثاً: كيف تصون نفسك من الانحراف عن بوصلة المسار؟

.1قاعدة الأولوية العقدية: قبل أي موقف، اسأل: "هل أنا أقدم رضا الله وعقيدتي على هذه العلاقة أو المصلحة؟" .إذا وجدت تردداً أو ضعفاً، فاعلم أنك في منطقة خطر.
.2فرز المصادر: لا تسمح لوسائل التواصل أو بيئات العمل ذات الثقافة الوافدة أن تصيغ عواطفك أو معايير إعجابك .كن أنت من يختار ما يدخل إلى عقلك وقلبك.

.3فقه التمييز) المحبة لا تعني الذوبان(: احرص على إدراك أن التعامل بالحسنى مع الناس) حتى المختلفين معك (لا يعني أبداً تبني أفكارهم أو الولاء لتوجهاتهم .يمكنك أن تكون رحيماً عادلا ً مهذباً، لكن دون أن تذوب شخصيتك أو تتنازل عن ثوابتك.
.4الولاء للحق لا للأشخاص: كن مع الحق حيث دار، واربط ولاءك بالقيم لا بالأشخاص .فالأشخاص يخطئون، أما المنهج فباق.

رابعاً: تطبيق المفهوم في واقعك العملي:

· في بيئة العمل: كن مهنياً مخلصاً متقناً لعملك .لكن لا تجعل مصلحتك الوظيفية أو إعجابك بمديرك أو زميلك سبباً في التغاضي عن منكر أو تبني رؤية تخالف عقيدتك.
· في العلاقات الاجتماعية: اجعل ميزان القرب والبعد هو "التقوى" .اختر لصحبتك من يعينك على دينك ويذكرك إذا نسيت .هؤلاء هم أهلك الحقيقيون في الانتماء.
· في المواقف المصيرية: استشعر دائماً أن الله "عالم الغيب والشهادة"، والحياء من الله يمنعك من الخيانة.

خامساً: أهم التوجيهات المتعلقة بذلك:

.1استشعار العزة: تذكر دائماً أن الولاء لله يورثك عزة لا تشترى بالدنيا .مَن والى الله والى الله ُ عليه) أي نصره وأيده.(
.2التدريب على قول "لا": تدرب على قول "لا" لكل ما يتعارض مع مبادئك، بلباقة ولكن بحزم .لا تجامل على حساب دينك.
.3تجديد العهد: اجعل لنفسك ورداً يومياً تقرأ فيه سورة الحشر وخاصة خواتيمها، وتتأمل في معانيها)هو الله الذي لا إله إلا هو .(...هذه الأسماء الحسنى تكون "راداراً" يكتشف أي خلل في بوصلة الولاء والانتماء لديك.
.4الوعي بالتبعية: كن واعياً بأن العالم اليوم يحاول سلب "انتمائك" عبر موجات من الثقافة العولمية . حصّن نفسك بالقراءة، والاعتزاز بالهوية الإسلامية، والتمسك بالقيم الأصيلة.

الأمر الثالث: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾

هذا المقطع يضع اليد على "نقطة التماس" بين المبدأ العقدي والواقع السلوكي. إنه يأتي بالصيغة الفعلية المضارعة "تلقون" ليشير إلى أن هذا الفعل يحدث الآن، وليس في الماضي فقط.

.1مفهوم "تلقون إليهم بالمودة" ودلالاتها اللغوية والنفسية

كلمة "تلقون" تحمل تصويراً دقيقاً لحالة الاندفاع العاطفي:

أولا ً: "الإلقاء" يوحي بالسرعة وعدم التروي
كأن المؤمن الذي يفعل ذلك يرمي شيئاً ثميناً (عقيدته، أسرار دينه، كرامته) إلى الطرف الآخر دون تفكير. إنه فعل مفاجئ، اندفاعي، غير محسوب العواقب.

ثانياً: "الإلقاء" يوحي بالتخلي
أنت "تلقى" الشيء عندما تتخلى عنه. كأن المؤمن يتخلى عن جزء من دينه أو كرامته لمجرد أن يصل إلى ود الآخرين.

ثالثاً: "الإلقاء" يوحي بالذوبان
إنه تصوير لحالة "الذوبان" التي يفقد فيها الإنسان وعيه وتقديره لنفسه في لحظة اندفاع عاطفي.

الدلالة العامة: تعني محاولة استرضاء الأعداء بمظاهر الود، أو كشف خصوصيات المجتمع المسلم طمعاً في مصلحة أو دفعاً لضرر.

.2لماذا هذا التحذير الشديد؟) خطورة العاطفة كثغرة للاختراق(

بدأ الله السورة بهذا النهي القطعي لأن العاطفة هي "ثغرة الاختراق".

دعني أخبرك قصة نزول الآية (سبب النزول) لتتضح الصورة:

كان هناك صحابي جليل اسمه حاطب بن أبي بلتعة. في غزوة فتح مكة، أراد أن يرسل رسالة سرية إلى قريش يخبرهم فيها بقدوم النبي ﷺ. لماذا فعل هذا؟ ليس لأنه كافر أو منافق، بل لأنه كان له أهل في مكة، وكان يخاف عليهم. أراد أن يتخذ عند قريش "يداً" (معروفاً) ليحمي بها أهله.

النبي ﷺ علم بالأمر، وأرسل علياً والزبير ليأخذا الرسالة من المرأة التي أرسلها معها. وعندما واجه النبي ﷺ حاطباً، قال: "ما حملك على ما صنعت؟". قال حاطب: "يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، ولم أكن منهم، وكان من معي من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها أهلي. والله ما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً". فصدقه النبي ﷺ وعذره، لكن الله أنزل هذه الآية لتحذر الأمة من تكرار هذا الفعل.

الدرس المستفاد: الإنسان قد ينحرف لا عن كراهية للدين، بل عن إشفاق أو توجس أو محاولة لتأمين مصلحة أو خوف على من يحب.

الآية توقظك: عاطفتك ليست ملكاً لك لتلقي بها حيث شئت، بل هي أمانة إيمانية يجب أن تظل مرتبطة بمراد الله ومحبة الله.

.3بلاغة "تلقون" مقابل "تبدون" - دراسة بلاغية عميقة

استخدام فعل "تلقون" بليغ جداً في هذا السياق:

أولاً: فيه معنى الإسراع وعدم التأني
"تلقون" تفيد أن هذا الفعل يصدر من الإنسان بسرعة، دون ترو أو تفكير في العواقب. وهذا يصور حالة الضعف البشري التي تجعل الإنسان يندفع وراء عواطفه دون محاسبة.

ثانياً: فيه معنى الرمي والإلقاء
أنت ترمي الشيء عندما لا تعود تهتم به، أو عندما تريد التخلص منه. كأن المؤمن الذي يوالي أعداء الله يُلقي بكرامته ومبادئه وخصوصيات أهله وأمن مجتمعه في أحضان من لا يؤتمن.

ثالثاً: فيه معنى الذوبان
هو أدق وصف لحالة "الذوبان" في الآخر. عندما تذوب هويتك في هوية غيرك، فقد "ألقيت" بنفسك في مهب الريح بلا حذر ولا تحفظ.

أما "تبدون" (لو قيلت بدلاً من "تلقون") فتعني الإظهار فقط، أما "تلقون" فتعني الإلقاء الكامل، وهو أشد وأخطر.

.4الربط بين المودة والإيمان - كيف يدمر أحدهما الآخر؟

ميل القلب للأعداء لا يبقى حبيس الشعور. بل له مراحل وحلقات متصلة:

المرحلة الأولى: ميل قلبي خفي
تبدأ القصة بميل صغير، شعور خفي بالتعاطف أو الإعجاب، دون أن تشعر بخطورته.

المرحلة الثانية: تبرير لأفعالهم
تبدأ تدريجياً في تبرير مواقفهم، تقول: "ما قصدوا شيئاً"، أو "لعلهم مجبرون"، أو "لديهم ظروفهم".

المرحلة الثالثة: تزيين لمنهجهم
بعد التبرير، يأتي التزيين. تبدأ ترى بعض الجمال في منهجهم، وتعجب ببعض أفكارهم، وتجد نفسك منجذباً إليهم.

المرحلة الرابعة: تضعيف للقيم التي يملكونها
لإزالة العائق النفسي، تبدأ في تضعيف قيمك أنت ودينك. تقول: "ربما الدين ضيق"، أو "ربما نحن متشددون"، أو "ربما يجب أن نواكب العصر".

المرحلة الخامسة: تنازل عن الثوابت دون أن تشعر

هنا تصل إلى مرحلة خطيرة: تتنازل عن ثوابت دينك، واحدة تلو الأخرى، وأنت تظن أنك تتطور أو تتحضر.

الثبات العقدي: الإيمان "نور"، ومودة أعداء الله "ظلمة". لا يجتمعان في قلب واحد. كلما زاد النور، ضعفت الظلمة. وكلما قويت الظلمة، ضعف النور.

.5الموازنة: النهي عن المودة vs إباحة البر والقسط) فقه التوازن(

هذا هو فقه التوازن القرآني الرائع. كثير من الناس يخلطون بين الأمور، فيظنون أن النهي عن المودة يعني قطيعة تامة وظلماً للآخرين. هذا غير صحيح.

دعني أوضح لك الفرق في جدول:

المفهوم	المعنى	الحكم الشرعي	التطبيق العملي
المودة	محبة قلبية وموالاة ونصرة	منهي عنها مع المحاربين	والعداة لا تحب في قلبك من يحارب الله، لا تنصرهم على المؤمنين
البر	إحسان، عطاء، فعل خير	مباح بل مطلوب مع غير المحاربين	تبر المحتاج، تطعم الجائع، تعين الضعيف
القسط	عدل، إنصاف، مساواة في المعاملة	واجب مع الجميع، حتى مع الأعداء	لا تظلم أحداً، تعامل بعدل مع الجميع

الخلاصة:

· العدل حق للناس - كل الناس، مسلمهم وكافرهم، محاربهم ومسالمهم .تتعامل معهم بالقسط والإ نصاف.
· المودة حق للمؤمنين بالله - أنت تختص بمودتك القلبية وثقتك وأسرارك من يشاركك الإيمان.

.6المرونة والانفتاح دون ذوبان - النموذج القرآني للمؤمن المنفتح

ترسم لنا الآيات نموذجاً للمؤمن "المنفتح الواثق". ليس المؤمن انعزالياً جباناً يخاف من الاحتكاك بالآ خرين، ولا هو ذائب تائه يفقد هويته.

صفات المؤمن المنفتح الواثق:

· مرن في "المصالح الدنيوية" : يتعاون، يتاجر، يتبادل المنافع، يحسن الجوار، يقدم العون الإنساني.
· نقي في "الأصول العقدية" : لا يفشي الأسرار، لا يتبع التبعية الفكرية، لا يتنازل عن الهوية.
· مبدئي في مواقفه : يقول الحق ولا يخاف لومة لائم.

أنت تنفتح على العالم بـ "مبادئك" ، لا بـ "التنازل عن مبادئك".

.7الحماية من الانفجار في فخ "الاندماج السلبي" - كيف تحمي نفسك؟

تحميك هذه الآيات من خلال:

أولاً: الوعي التاريخي - بتذكيرك بأن الانزلاق يبدأ بخطوات بسيطة. حاطب بدأ برسالة صغيرة، ظن أنها مجرد حماية لأهله، لكنها كادت أن تكون فضيحة كبرى. تعلم أن أي تنازل هو بداية "انهيار".

ثانياً: الحذر المنهجي - تجعلك تشك في "رغبتك العاطفية" في التودد للأعداء، وتخضعها لميزان الشرع. اسأل نفسك: "هل هذه الرغبة من الله أم من الشيطان؟".

ثالثاً: التحصين الإيماني - عندما تدرك أن الله هو "عالم الغيب والشهادة"، تدرك أن "الود الخفي" في قلبك للأعداء هو خيانة عظمى لله، فتستقيم بوصلتك فوراً.

.8الرسائل والتوجيهات والدروس النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر

هذا هو المطلب الذي أردته مفصلاً:

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الوعي بالاندفاع العاطفي: العاطفة ليست دائماً بريئة .كثيراً ما تغلف أطماع الذوبان في الآ خر تحت ستار "اللطف" أو "الدبلوماسية" أو "حسن العلاقات" .كن واعياً لدوافعك الحقيقية.
.2رسالة التحصين من الضعف النفسي: ميل القلب للمخالف ينبع غالباً من ضعف في الشعور بـ "العزة الإيمانية" .أغن قلبك بحب الله ومنهجه، فلن تجد في قلبك فراغاً يضطرك لاستجداء الود من أعداء المنهج.
.3رسالة علاج "التملق العاطفي": تذكر أن الإلقاء بالمودة هو إلقاء بالذات .فاحذر من أن تكون شخصيتك رخيصة في عيون الآخرين أو في ميزان الله نتيجة الرغبة في القبول الاجتماعي.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة تعريف المصالح) المنطق الاستراتيجي(: ليس كل مصلحة مبرراً للمودة .المصلحة يجب أن تُحقق عبر "العدل والقسط" لا عبر "المودة والذوبان" .العقل المؤمن يفرق بين) التعامل المهني/المدني (و) الموالاة القلبية.(
.2رسالة الرؤية الاستشرافية) قياس المآلات(: الآية تدعوك للعقلانية في قياس "مآلات الأمور" .اليوم تلقي بكلمة ود، غداً ستجد نفسك مضطراً لتبرير موقف، وبعد غدٍ ستكون قد تنازلت عن أصل من أصول عقيدتك.
.3رسالة الاستقلالية الذهنية: حافظ على أن يكون لك "مرجعية فكرية" مستقلة، فلا تنفعل بأطروحات الآخرين أو تتبنى مفاهيمهم لمجرد الإعجاب بهم أو بريق ثقافتهم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على الثوابت: المنهج التربوي هنا يغرس في المؤمن أن "الولاء هوية"، والهوية لا تتجزأ .لا يمكن أن تدعي الانتماء لله وأنت تضع يدك في يد من يحادّ الله.
.2رسالة مبدأ الحذر واليقظة) التفرس(: التربية على "التفرس" في النوايا؛ فلا تكن ساذجاً في علا قاتك .المؤمن كيس فطن.
.3رسالة تطوير "المناعة الاجتماعية": تعويد النفس على أن العزلة عن أفكار الأعداء ليست انغلاقاً، بل هي "حماية للحصون".

رابعاً: الرسائل العملية (للواقع الميداني):

.1رسالة الشفافية المشروطة: في عملك ومهنيتك، كن شفافاً في "نقل المعلومة الصادقة") العدل(، لكن كن حذراً في "الإفصاح عن الخصوصيات") الحذر.(
.2رسالة سياج الخصوصية: القاعدة العملية: "الأسرار أمانات، والخصوصيات حصون" .لا تعامل أي شخص بفيض من المودة قبل أن تختبر "موقف المبدأ" لديه.
.3رسالة إدارة العلاقات) فن المسافة(: تعلم فن صناعة "المسافة الآمنة" .يمكنك أن تكون لطيفاً، لبقاً، ومحترفاً، دون أن تتجاوز حدود "المودة" التي تعني الانتماء والتأييد.
.4رسالة المحاسبة الدورية: اجعل من هذا التحليل أداة قياس لقراراتك: "هل هذا التواصل يخدم المنهج أم هو اندفاع عاطفي يضرني ويدمر ديني؟".

الأمر الرابع: ﴿وَقَدْ كفَرُوا بِمَا جَاءَكم مِّنَ الحَقّ يُخْرِجُونَ الرّسُولَ وَإِيّاكمْ أن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبّكمْ﴾

هذا المقطع هو محرك الذاكرة الإيمانية. الله سبحانه لا يسرد قصة للترف الفكري، بل يضع أمام المؤمن "أسباب العداوة" ليفهم طبيعة الصراع، ويثبت على المبدأ.

.1ماذا يعني قوله: ﴿وَقَدْ كفَرُوا بِمَا جَاءَكم مِّنَ الحَقّ...﴾؟

يعني أن الخلاف ليس خلافاً على "مصالح دنيوية" أو "رؤى سياسية" يمكن التفاوض عليها أو التوفيق فيها، بل هو خلاف جذري على "الحق" نفسه.

العداوة فكرية وعقدية: هم لم يخرجوا المؤمنين من ديارهم إلا لأنهم آمنوا بالله. الإخراج كان عقاباً على "الإيمان" نفسه. هذا يوضح أن العداوة ليست على أرض، ولا على مال، ولا على جاه، بل على الإ يمان.

الاستهداف المنهجي: "يخرجون الرسول وإياكم" - أي أن الاستهداف جماعي وشامل لكل من يحمل هذا الحق. لقد طالت عداوتهم الرسول ﷺ نفسه، فكيف ينجو منها أحد؟

هذا يعني أنك في نفس الخندق مع الرسول ﷺ، فكيف تبتعد عن الصف لتتودد لمن يحارب هذا الصف كله؟

.2لماذا تذكرنا الآية بأفعال الكفار ومشاعرهم؟

كشف طبيعة العدو: تذكيرنا بأفعالهم يقطع الطريق على "الخداع العاطفي". عندما تدرك أنهم أخرجوا الرسول ﷺ وأصحابه من ديارهم، وهددوا حياتهم، وصادروا أموالهم، فقط لأنهم قالوا "ربنا الله"، ستتذكر أن "المودة" معهم ليست خياراً متاحاً. طبيعة العداء عندهم قائمة على إقصاء الحق بكل الوسائل.

تفعيل "الذاكرة التراكمية": الشعور الذي دفعهم لإخراج المسلمين هو "الاستعلاء والكبر" ورفض التوحيد. نفس الشعور موجود في قلوب أعداء الإسلام اليوم. الآية تضع هذه الصورة أمام المؤمن ليقارن بين "من أخرجوه لأنه أتاهم بالحق" وبين "من يريدون منه اليوم أن يلقي إليهم بالمودة".

.3أهمية استحضار التضحيات والنعم في التربية

غرس الامتنان: التذكير بالتضحيات (أنهم أخرجوا الرسول وإياكم) يجعلك تشعر بقيمة "الاستقرار" الذي تعيشه اليوم. هذا الدين لم يأتِ إلينا سهلا ً، بل هو "مخضب بدماء وتضحيات".

ربط الأجيال: استحضار المواقف يجعلك تشعر بأنك "وارث" لرسالة، وليس مجرد فرد عابر في التاريخ. أنت جزء من سلسلة طويلة من المؤمنين الذين ضحوا من أجل هذه العقيدة.

الحصانة ضد التنازل: من يعرف أن آباءه وإخوانه خرجوا من ديارهم، وتركوا أموالهم، وذاقوا ألوان العذاب، لأجل "لا إله إلا الله"، لا يمكن أن يبيع هذا الدين بـ "كلمة ود" أو "مصلحة عابرة" مع من عادى هذا الدين.

.4أهم الرسائل والدروس) المنظومة التربوية كاملة(

النوع الرسالة والتوجيه
النفسية الاعتزاز بالهوية: لا تشعر بالخجل من انتمائك، بل افتخر أنك على المنهج الذي كفر به الذين أخرجوا الرسول ﷺ. أنت في الطريق الصحيح، وهم في الضلال.
العقلية فهم ميزان الصراع: افهم أن العداوة ليست شخصية، بل هي عداوة بين "الحق" و"الكفر". فكن واعياً في اختيار صفك. لا تخلط بين من يختلف معك في الرأي وبين من يحارب دينك.
التربوية الوفاء للمنهج: التربية على أن "القيم" أثمن من "الديار"، وأن الثبات على الحق يستحق كل تضحية. من لا يضحّي من أجل مبادئه، لا يستحق أن تحمى مبادئه.
العملية الحذر من الاندماج الأعمى: لا تندمج مع من يعادي أصولك. الاندماج مع المجتمع المسالم (بـ البر والقسط) مطلوب، لكن الاندماج في "فكر وعواطف" من يحادّ الله هو انتحار فكري وذوبان للهوية.

الأمر الخامس: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾

هذا المقطع يمثل "مرحلة المراجعة الصادقة"؛ حيث يضع الله العبد أمام مرآة نفسه ليختبر "باعث العمل" ودافعه الحقيقي.

.1ماذا يعني: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾؟

هو "شرط المراجعة". الله يذكر المؤمنين بأنهم قد خلعوا ديارهم، وفارقوا أوطانهم، وبذلوا أغلى ما يملكون، من أجل:

· الجهاد في سبيل الله) بذل الجهد في إعلاء كلمة الله(

· وابتغاء مرضاتي) طلب رضا الله وحده، لا رضا غيره(

المعنى: "بما أنكم اخترتم هذا الطريق العالي، وهذا الهدف السامي، فلا يصح أن تخلطوه بمودة من حاربكم لأجل هذا الطريق". إنه تذكيرٌ بالهدف الكبير (الغائية) ليتسق معها التصرف الصغير (الوسيلة).

.2دلالة هذا العتاب - عتاب المحب لا عتاب المبغض

عتاب "المحب": ليس هذا عتاباً للإهانة أو التوبيخ الجارح، بل هو عتاب "تنبيه" للغافل، عتاب "استدراك" للساهي، عتاب "حنان" لمن أحب أن يراه في القمة.

الله يوقظ فيهم شرف الغاية، فيقول: "أنتم الذين هاجرتم وجاهدتم، كيف تنزلون إلى هذا المستوى؟".

التذكير بالباعث: العتاب يهدف إلى ربط كل حركة في حياتهم بالباعث الأصلي (الغاية). فكأن الله يقول: "هل يعقل أن تُضحوا بأوطانكم وأموالكم وأهليكم لله، ثم تُعطوا ولاءكم وأسراركم ومودتكم لأ عداء الله؟". إنه عتابُ "موازنة المبادئ" و"تناسق السلوك مع الغاية".

.3أهمية "أسلوب العتاب" في التربية والتعليم

هذا الأسلوب القرآني (نهي + بيان علة + تذكير بالماضي + عتاب لطيف) هو أرقى أساليب "التربية بـ الوعي".

كيف نطبقه اليوم في تربيتنا لأنفسنا وللآخرين؟

· في القيادة: عند توجيه من يعمل تحت إدارتك، لا تعطه أمراً مجرداً، بل ذكره بـ "الهدف الأسمى" الذي يعمل من أجله) الرؤية(، ثم اشرح له لماذا يتعارض سلوكه الحالي مع ذلك الهدف.
· في تربية النفس: اجعل لنفسك "محطة محاسبة" يومية أو أسبوعية .قبل اتخاذ أي قرار، اسأل: "هل هذا القرار يتسق مع غايتي الكبرى في الحياة) رضا الله(؟" .العتاب الذاتي هو أفضل وسيلة لتصحيح المسار قبل الاستفحال.

.4أهمية الوضوح وعدم التذبذب) فخ التنازلات(

الوضوح موقف لا لفظ: التذبذب في العلاقات (إظهار مودة الأعداء مع ادعاء الإيمان) هو فقدان للوضوح وكسر للشخصية.

الآية تعلمك أن "التنازلات الصغيرة هي التي تمهد للانهيار الكبير". حاطب بن أبي بلتعة لم يخطط لخيانة عظمى، لكنه بدأ بتساهل صغير أسماه "حماية للأهل".

الخطر: إذا تذبذبت في مواقفك، فقدتَ:

· هيبتك أمام نفسك) لن تحترم نفسك بعد الآن(
· هيبتك أمام عدوك) سيراك ضعيفاً قابلا ً للكسر(
· هيبتك أمام منهجك) لن تكون داعيةً مقنعاً(

الوضوح هو حماية للمؤمن من الانزلاق في فخ "التبرير"؛ فالمتذبذب دائماً يبحث عن تبرير لتصرفاته، أما الواضح فموقفه ينبع من مبدأ ثابت لا يحتاج إلى تبرير.

.5الرسائل والدروس المستخلصة من هذا الأمر

البعد الرسالة والدروس
الرسالة النفسية الصدق مع الذات (الشفافية الداخلية): لا تخدع نفسك بمبررات "المصلحة" إذا كانت تمس أصل عقيدتك. اخرج من دائرة التناقض النفسي الممزق.
الرسالة العقلية التناغم السلوكي (الاتساق): ارفع مستوى وعيك ليكون سلوكك (الود/العداء) متناغماً ومتسقاً مع أهدافك الكبرى (الإيمان والجهاد).
الرسالة التربوية الهدف قبل الوسيلة: التربية على الغايات؛ من حدد غايته بوضوح، لن تضل بوصلته في زحام العلاقات والمصالح.

الرسالة العملية التحصين ضد التنازلات: كلما شعرت بالضغط للتنازل، استحضر "ثمن" المبدأ الذي دفعته سابقاً (تضحياتك وهجرتك وجهادك).

الأمر السادس: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾

هذا المقطع هو "كاشف الأسرار"، وهو أقصى درجات التربية بالمراقبة. ينتقل الخطاب من تحذير السلوك الظاهر إلى معالجة "باطن العبد" وسرائره وأخفى خفاياه.

1.ماذا يعني: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾؟

المعنى: الإسرار بالمودة هو "المستوى الأخطر" من الولاء؛ لأن الإنسان قد يظهر البراءة في العلن (دبلوماسية أو مداراة أو خوفاً من الناس)، لكن قلبه في الخفاء يميل، يحب، ويتمنى النصر أو القرب لأعداء المنهج.

الدلالة: هو فعل "خفي" تظن أنه في مأمن من أعين الناس، لكنه في الحقيقة "خيانة للعهد" مع الله. ا لإسرار دليل على أن التنازل قد استقر في القلب، وهو أخطر بكثير مما لو كان مجرد فعل عابر ظاهري.

2.دلالة: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾؟

هذه الجملة هي "الميزان الإلهي" الذي يسوي بين الظاهر والباطن.

الدلالة التربوية: المؤمن الذي يعتقد أن الله يعلم "السر والنجوى" لن يتجرأ على إخفاء مودة في قلبه لا يرضاها الله. إن استشعار علم الله المحيط يخلق رادعاً داخلياً قوياً.

التربية على صدق السرائر: العبد الصادق هو من يتطابق عنده خلوته مع جلوته، وسره مع علنه، وباطنه مع ظاهره. التربية هنا تنقل المؤمن من "مراقبة الناس" (التي قد تخدع) إلى "مراقبة الله" (التي لا تخدع أبداً).

3.استحضار سعة علم الله) أثرها العميق على النفس(

استشعار أن الله يحيط بكل شيء، ويعلم ما تخفي الأنفس، يغرس في النفس ثلاث صفات عظيمة:

أولا ً: الهيبة
شعور دائم بأنك في "حضرة مراقبة" عليا. الله يراك، يسمعك، يعلم ما تهمس به نفسك. هذا الإحساس يورث "الحياء من الله"، وهو أعلى درجات الإيمان.

ثانياً: السكينة
عندما تعلم أن الله يعلم نيتك الصادقة حتى لو فُهمت خطأً من الناس، وحتى لو اتهمك الجاهلون، يطمئن قلبك. لا تحتاج لإثبات نفسك لكل أحد، فالله يعلم.

ثالثاً: اليقظة
شعور بأن الله هو "الرقيب" على كل خاطرة وميل قلبي. هذا يجعلك تعالج أفكارك قبل أن تتحول إلى مشاعر، والمشاعر قبل أن تتحول إلى أفعال.

4.الرسائل المستخلصة من هذا الأمر

البعد الرسالة والتوجيه
النفسية: الشفاء من النفاق الخفي: المراقبة الدائمة هي العلاج الوحيد "للنفاق الخفي" (أن تظهر خلاف ما تبطن، أو أن تخفي في قلبك ما لا يرضي الله).
التربوية: تهذيب الضمير (الخلوة): اجعل "الخلوة" هي الاختبار الحقيقي لإيمانك. فإذا سلمت خلوتك من "الولاء المذموم" والمشاعر المحرمة، فقد سلم دينك وحفظت نفسك.
الفكرية: وحدة المرجعية (التوحيد العملي): تذكير بأن الله هو الحكم الوحيد على "السرائر"، فلا قيمة لإعجاب الناس أو ثنائهم إذا كان "السر" يغضب الله.
العملية: الاحتياط في القرارات السرية: قبل أن تبدأ بأي "إسرار" أو "تواصل خاص" مع خصوم المنهج،

تذكر: الله يرى، الله يسمع، الله يعلم ما تخفي.

الأمر السابع: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

هذه الآية هي "النتيجة الحاسمة" والختام المزلزل لكل ما سبق من تحذيرات. إنها تضع المؤمن أمام حقيقة وجودية لا مفر منها: أن الموالاة للأعداء ليست مجرد خطأ عابر يمكن تجاوزه، بل هي "خروج من المسار" بالكامل.

.1ماذا يعني: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾؟

سواء السبيل: هو الطريق المستقيم، الواضح، القويم، الذي لا عوج فيه ولا التواء. "سواء" تعني الوسط والعدل والاستقامة. هو الطريق الذي يجمع بين الوضوح في الهدف والوصول إلى الغاية دون حيرة أو تيه.

الضلال: يعني التيه والحيرة والانحراف عن الوجهة والخروج عن الجادة. هو فقدان البوصلة. الآية تقرر أن من يوالي أعداء الله فقد فقد "البوصلة" تماماً؛ فهو وإن ظن أنه يحقق مصلحة أو يتودد بحكمة أو يدبر بدهاء، فقد خسر "الطريق" الذي يوصله إلى مرضاة الله.

.2خطر موالاة الأعداء) الخروج عن الجادة(

ترسم الآية الخطر في أنها تجعل المؤمن "خارج التغطية الإيمانية".

الانحراف لا يبدأ بترك الدين جملة واحدة، بل يبدأ بـ "تغيير الولاء". بمجرد أن تعطي قلبك ومودتك وثقتك لمن يحارب منهجك، فأنت قد وضعت قدمك على طريق زلق يؤدي حتماً إلى الضياع.

لماذا؟ لأنك عندما توالي من يعادي الحق، تبدأ تدريجياً في النظر إلى الحق من خلال عيونهم، فتفقد قدرتك على التمييز، وتفقد غيرتك على دينك.

.3مفهوم الانتكاسة: التساهل كبداية للانهيار

الانتكاسة: ليست حدثاً فجائياً يحدث بين عشية وضحاها، بل هي عملية تراكمية من "التساهلات الصغيرة".

وصف القرآن: وصفَ الموالي لغير الله بـ "الضال" لأنه انحرف عن "سواء السبيل". الضلال هنا هو نتيجة تراكمية لمواقف صغيرة.

الأثر: التساهل يجعل الإنسان يبرر لنفسه ما كان يراه بالأمس حراماً. هذا "التمييع" للمواقف والحدود يجعل القلب قاسياً أو ميتاً تجاه قضايا الحق، مما يُفقد العبد ثباته في الدنيا (فيخبط في قراراته) وفي الآخرة (لأنه خالف منهج الله).

.4لماذا يعتبر القرآن موالاة الأعداء "خروجاً عن الطريق"؟

أولاً: فقدان البصيرة
الصداقة والمودة ليست مجرد مشاعر عابرة، بل هي "مرآة" تعكس رؤيتك للعالم. فإذا صادقت من يعادي الحق، وأحببته، ووثقت به، فستبدأ تدريجياً في رؤية العالم من خلال منظاره هو، فتفقد قدرتك الذاتية على التمييز بين الحق والباطل.

ثانياً: فخ التساهل
التساهل في العلاقات يؤدي إلى "تذويب الحواجز". عندما تذوب الحواجز، يسهل على الطرف الآخر اختراق قيمك ومبادئك باسم "الصداقة" و"الحب" و"التفاهم"، فتصبح في النهاية جزءاً من منظومته الفكرية دون أن تشعر.

.5كيف نحمي أنفسنا في واقعنا المعاصر؟

في عالم أصبح فيه "التودد للغرب والشرق" معياراً للتحضر أو المصلحة، الحماية تكمن في:

الاستعلاء الإيماني: لا تطلب الاعتراف أو المودة أو القبول من أعداء المنهج. مكانتك ومكانة دينك تُستمد من ربك، لا من نظرة الآخرين لك.

تحديد "المسافة الآمنة": في علاقاتك الدولية أو المهنية أو الاجتماعية، كن "مهنياً" إلى أقصى حد، لكن كن "منيعاً" في قلبك وهوية قلبك. المسافة الآمنة تمنع الاختراق.

يقظة المبدأ: لا تكن "صديقاً" لأي فكر أو جهة تحاول النيل من دينك أو قيمك. كن "مصلحياً" عند الحاجة (تتعاون في الخير)، و"مبدئياً" في كل حين (لا تتنازل عن ثوابتك).

.6الرسائل والدروس المستخلصة من هذا الأمر

البعد الرسالة والتوجيه
الرسائل النفسية الوضوح النفسي: الضلال يبدأ حين تضيع هويتك بين "ما تريده أنت" و"ما يرضي الله" و"ما يريده الناس". الثبات على الولاء لله يورث السكينة والطمأنينة.
الرسائل التربوية الحزم مع الروابط: التربية على أن "القيم أغلى من الصداقات" و"المبادئ أبقى من العلاقات". لا تسمح لأي علاقة مهما كانت قوية أن تسحبك بعيداً عن صراط الله المستقيم.
الرسائل العقلية فقه المآلات (النظر إلى العواقب): انظر إلى نهاية الطريق. "سواء السبيل" هو طريق الله، وأي طريق آخر -مهما زينته المصالح والشهوات- هو "ضلال" في النهاية.
الرسائل العملية القرار الصارم: إذا شعرت أن علاقتك بجهة ما أو بشخص ما أصبحت تفرض عليك التنازل عن مبدئك، أو تبرير باطل، أو كتم حق، فالقرار الحكيم هو "إعادة ضبط المسافة فوراً" بل وقطعها إذا لزم الأمر.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي يريد منا المولى سبحانه وتعالى من خلال هذه الآية؟

بعد كل هذا التحليل، نستطيع أن نقول إن الله يريد منا خمسة أمور جوهرية:

.1أن تكون عبداً خالصاً له: لا تشرك معه أحداً في المحبة والولاء والطاعة والخوف والرجاء .أنت ملك لله وحده، فكيف تبيع نفسك لعبيد مثلك؟

.2أن تعيش عزيزاً بدينك: لا تذل نفسك باستجداء ود أعداء الله، ولا تطلب رضاهم على حساب كرامتك، ولا تخشى بطشهم فالله ناصرك.

.3أن تكون واعياً بخطورة العاطفة: العاطفة نعمة إن وجهت في طريق الله، ولكنها نقمة إن انفردت عن العقل والدين .لا تندفع وراء مشاعرك دون تمييز ومحاسبة.

.4أن تراقب الله في سرك وعلنك: لا تظن أن شيئاً يخفى على الله .استحضر دائماً أنه "عالم الغيب والشهادة"، فترتدع عن أي ميل خفي لا يرضيه.

.5أن تستقيم على الطريق: لا تحيد عنه يميناً ولا يساراً .الاستقامة هي ثمرة هذه الآية، وهي غاية المنهج كله.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم الآية الأولى من سورة الممتحنة فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي، يجب أن ننظر إليها بوصفها "دستور الهوية الإيمانية" و"ميزان الاستقامة".

إليك هذا الفهم العميق:

.1الإيمان ليس "اعتقاداً مجرداً" بل هو "حالة استعلائية"

النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليس مجرد نداء تشريفي، بل هو تذكير بالمصدر. أنت مؤمن بالله، إذن مرجعيتك لله، ونظرتك من الله، وحكمك لله.

الفهم العميق هنا يكمن في أن الإيمان هو "نظارة" ترى بها العالم. فإذا كانت نظارتك إيمانية، فإنك

ترى "أعداء الله" كما وصفهم الله، لا كما تصفهم مصالحك أو عواطفك.

العمق هنا يعني أن تكون "مستعلياً بإيمانك" فلا تُستلب عاطفياً أمام أي قوة أو ثقافة تخالف منهج ربك.

.2"المودة" كفعلٍ قلبي يتجاوز السلوك الظاهري

الآية لا تنهى عن التعامل الإنساني الراقي (الذي هو من أخلاق المسلم)، بل تنهى عن "الاستئناس القلبي" بأعداء المنهج.

العمق في الفهم: يعني أن تحذر من "التشرب الفكري"؛ فالمودة الخفية هي التي تجعلك تبرر للباطل، وتتأثر بطروحاته، وتجد في نفسك حرجاً من إعلان الحق.

التطبيق: هو أن تضع "سياجاً" حول قلبك. تعامل مع الجميع ببر وقسط، ولكن "قلبك" لا تفتحه إلا لمن يشاطرك تعظيم الله وتوقير منهجه.

.3استشعار "العداوة المشتركة") فقه الموقع(

﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ ..هذه الدلالة ترفع عن كاهل المسلم عبء "الخوف من اتخاذ موقف".

العمق في الفهم: المسلم الذي يفهم الآية يعلم أن عداوة أعداء الله له ليست شخصية، بل هي "عداوة للمبدأ". ولذلك، لا ينبغي للمسلم أن يشعر بالذنب أو التردد في إعلان براءته من أفكارهم أو توجهاتهم التي تحارب دينه. هي ليست كراهية للأشخاص بقدر ما هي حماية للثوابت.

.4التحرر من "رهاب القبول الاجتماعي"

السبب الخفي الذي يجعل الكثيرين "يُلقون بالمودة" هو رغبة فطرية في القبول الاجتماعي أو الخوف من النبذ أو الوحدة.

العمق في الفهم: الآية تدعوك لكسر هذا القيد. إن من يخشى الله، يسهل عليه أن يتحمل "غربة الموقف". الفهم العميق هنا هو أن تدرك أن "استحسان" من لا يعظم الله ليس غاية، بل هو في كثير من الأحيان دليل على "ميوعة" الموقف الإيماني وضعف الشخصية.

.5الرقابة الذاتية كحارس للحدود

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ ليست مجرد وعيد، بل هي أداة تدريبية.

العمق في الفهم: يعني أن تكون أنت "القاضي الأول" على نفسك. في لحظات الصمت، في اللحظات التي تتصفح فيها ما يغذي أفكارك، في اللحظات التي تختار فيها أصدقاءك أو قدواتك، استحضر أن " الله يعلم". هذا الاستحضار هو الذي يُحيد "النفاق الخفي" الذي قد يتسرب لنفس المسلم.

.6الطريق المستقيم) سواء السبيل (هو طريق "الطمأنينة"

تختم الآية بأن من والى أعداء الله فقد ضل طريق السكينة والوضوح.

العمق في الفهم: الموالي لغير الله يعيش في "تشتت"؛ فهو يحاول إرضاء الخلق وإرضاء الخالق، وهذا مستحيل. أما من والى الله، فقد اختصر المسافة. هو يعيش بقلب واحد، ووجهة واحدة، ومبدأ واحد، وهذا هو قمة الطمأنينة النفسية.

خلاصة الفهم العميق (كيف تعيش الآية؟):

· لا تكن "إمعة": لا تتبنّ أفكار الآخرين لمجرد بريقها أو قوتهم في فرضها.
· قس أفعالك بميزان الغاية: اسأل نفسك: "هل قراري هذا يعبر عن انتمائي لله، أم هو محاولة لا ستجداء الرضا من أعداء دينه؟".
· كن نبيلا ً لا ذائباً: عامل العالم بلطف القرآن، ولكن حافظ على قلبك بحصن "الولاء والبراء" الإ يماني.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

لتحويل الآية الأولى من سورة الممتحنة من نص قرآني إلى واقع معيش، إليك الدروس والتطبيقات:

أولا ً: الدروس والعبر (المحور التأسيسي)

.1درس "مركزية العقيدة": الإيمان ليس مجرد شعائر، بل هو "نظام علاقات" .العقيدة تحدد من تقترب ومن تبتعد، من تحب ومن تبغض.
.2درس "يقظة البصيرة": أعداء الله لا يأتون دائماً بصورة المحارب، بل قد يأتون بصورة "الصديق" أو "الناصح" أو "المتعاون" .الآية تحذر من الانخداع بالمظاهر العاطفية.
.3درس "أولوية الولاء": الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو الميزان الذي تزن به كل مصلحة دنيوية . فإذا تعارضت المصلحة مع أصل الولاء، فاعلم أن المصلحة زائفة والربح الحقيقي في تركها.
.4درس "خطورة المداهنة": المداهنة) إظهار خلاف ما تبطن إرضاءً للآخرين (طريق يؤدي إلى ضياع الهوية وفقدان "سواء السبيل" والوقوع في الضلال.

ثانياً: التطبيق العملي في حياتك اليومية

التطبيق 1: "ميزان الانتقاء" (في العلاقات والصداقات)
قبل أن تبني علاقة وطيدة، أو تعطي "مودة قلبية" (أسرارك، هواجسك، ثقتك المطلقة)، اسأل نفسك: "هل هذا الشخص يحترم ثوابتي؟ هل يعينني على ديني؟ هل أستطيع أن أكون معه كما أنا دون أن أخاف على ديني؟".
إذا كان الشخص ممن يُحاربون الحق أو يسخرون من القيم، اجعل العلاقة "مهنية/سطحية/عابرة" (مباحة شرعاً للبر والقسط)، لكن لا تدخلهم في دائرة "الأولياء" (الذين يحظون بمودتك القلبية وثقتك الكاملة).

التطبيق 2: "حارس البوابة" (في التعامل مع الفضاء الرقمي والإعلامي)
نحن اليوم نلقي بالمودة عبر "المتابعة، والإعجاب، والمشاركة، والتفاعل". لا تكن "إمعة" في وسائل التواصل. انتبه لما تضعه في قائمة "مؤثرين" أو "قدوات" في عقلك. هل هؤلاء يبنون قيمك أم يهدمونها؟ إن "الإعجاب" بأسلوب شخص يعادي المنهج هو أولى خطوات "إلقاء المودة".

التطبيق 3: "قاعدة الشفافية الواثقة" (في المواقف المبدئية)
عندما تُسأل عن رأيك في أمرٍ يمس دينك أو قيمك، لا تتهرب بكلمات ضبابية خوفاً من إرضاء الآ خرين أو خوفاً من رد فعلهم. كن واضحاً، لطيفاً في خطابك، ولكن صلباً في مبدئك. الوضوح لا يعني العدائية؛ يمكنك أن تقول: "أنا أحترمك كشخص، لكنني لا أتفق مع هذا الطرح لأنه يخالف قناعاتي الدينية".

التطبيق 4: "محطة المراجعة الذاتية" (في الخلوة)
في اللحظات التي تظن فيها أنك "ذكيٌ" في إخفاء ولائك أو محاولتك للموازنة بين إرضاء الله وإرضاء الناس، استذكر: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾. اجعل هذا تذكيراً دورياً لتصحيح نيتك. هل أنت ترضي الناس، أم تبحث عن مرضاة الله؟

التطبيق 5: "المصلحة تحت سقف المبدأ" (في التعاملات الحياتية)
لا تمنعك الآية من ممارسة الحياة، التجارة، العمل، الدراسة، أو السفر مع المختلفين معك. لكن فرق بين "التعامل" وبين "الانتماء". يمكنك أن تُبرم صفقة ناجحة، أو تتعامل بذكاء مع الجميع، ولكن لا تجعل هذه المصالح تغير "ولاء قلبك" أو تجعلك تغير مواقفك تجاه الحق.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

الآية الأولى من سورة الممتحنة ليست مجرد نهي شرعي، بل هي فلسفة حياة كاملة تعيد صياغة رؤية المؤمن للوجود، وللعلاقات، وللذات.

عندما تتأملها بعمق، ستجد أنها تغير نظرتك للحياة من خلال المحاور التالية:

التغيير الأول: الانتقال من "عشوائية العلاقات" إلى "هندسة الولاءات"

· النظرة القديمة: الحياة قائمة على "من أحب ومن أحبني"، تُبنى العلاقات على الانطباعات الشخصية أو المصالح المتبادلة.
· النظرة الجديدة: الحياة هي "ميدان اختيار" و"اختبار" .الآية تعلمك أن علاقاتك ليست مساحة للفراغ، بل هي تحديد لمسارك في الآخرة .أنت الآن تختار "أولياءك" بعناية، لأن ولاءك للآخرين هو امتداد لو لائك لله.

التغيير الثاني: التحرر من "العبودية الاجتماعية"

· النظرة القديمة: ضغط "القبول الاجتماعي" والخوف من الرفض يدفعك لإرضاء الآخرين) حتى من يخالفونك في قيمك.(
· النظرة الجديدة: الآية تحررك من هذا الخوف .عندما تجعل الله هو "المرجعية الوحيدة" للولاء، ستجد أنك لم تعد بحاجة لتقديم "تنازلات" لترضي الناس .هذا يمنحك استقلالية في الشخصية؛ فأنت تحترم الجميع، لكنك لا تذوب في أحد.

التغيير الثالث: اكتساب "البصيرة" (الرؤية العميقة للأمور)

· النظرة القديمة: كنت تنظر للأعداء أو المخالفين من زاوية "اللطف الخارجي" أو "القوة المادية" أو "المصالح المباشرة".
· النظرة الجديدة: الآية تمنحك "بصيرة إيمانية" .أصبحت تدرك أن العداوة ليست شخصية، بل هي عداوة للمنهج والمبدأ .السؤال لم يعد: "هل هذا الشخص لطيف معي؟"، بل: "هل هذا الشخص يدعم الحق الذي أؤمن به أم يحاربه؟".

التغيير الرابع: الطمأنينة النابعة من "وضوح الوجهة"

· النظرة القديمة: الحياة كأنها "متاهة" من التناقضات، تحاول التوفيق بين إرضاء الله وإرضاء الناس، مما يسبب تشتتاً نفسياً وقلقاً مستمراً.
· النظرة الجديدة: الآية تجعل حياتك "طريقاً مستقيماً") سواء السبيل .(عندما تُسقط خياراتك على "ميزان الولاء لله"، تحل أغلب المعضلات .أنت لا تعاني من التردد، لأن بوصلتك واضحة.

التغيير الخامس: إعادة تعريف "المصلحة"

· النظرة القديمة: المصلحة هي ما يجلبه لك الناس) وظيفة، مكانة، نفوذ، مال.(
· النظرة الجديدة: المصلحة هي ما يبارك الله فيه، وما يثبتك على الحق .الآية تعلمك أن "التنازل عن المبادئ" ليس مصلحة، بل هو خسارة وضلال.

خلاصة النظرة الجديدة للحياة:
الآية تحول حياتك من "حياة رد فعل" (تتفاعل مع ضغوط الناس) إلى "حياة مبدأ" (أنت الذي تدير حياتك بناءً على ولاءاتك لله).

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

الآية تزودك بمجموعة من المهارات المتكاملة:

أولا ً: المهارات الحياتية:

.1مهارة التمييز: التفريق بين العدو والصديق، وبين المودة القلبية والعدل الظاهري.
.2مهارة الموازنة: بين متطلبات الحياة) تعامل، عمل، دراسة (وبين الثوابت العقدية.
.3مهارة ضبط العاطفة: التحكم في الاندفاعات العاطفية وعدم تركها تقود القرارات المصيرية.
.4مهارة الحزم في العلاقات: قول "لا" عند اللزوم، ووضع الحدود الواضحة.
.5مهارة المراقبة الذاتية: محاسبة النفس باستمرار على النوايا والمشاعر الخفية.

ثانياً: المهارات المعرفية:

.1مهارة تحليل المواقف: قراءة الأحداث والعلاقات بناءً على الثوابت لا على العواطف.

.2مهارة قراءة المآلات: توقع عواقب القرارات قبل اتخاذها.
.3مهارة التفريق بين الظاهر والباطن: عدم الانخداع بالمظاهر.

ثالثاً: المهارات العملية:

.1مهارة إدارة المسافات: تحديد المسافة المناسبة مع كل شخص حسب موقفه من الدين.
.2مهارة اتخاذ القرارات المبدئية: اتخاذ القرارات بناءً على المبدأ أولا ً، ثم المصلحة ثانياً.
.3مهارة المحاسبة الدورية: تخصيص وقت لمراجعة العلاقات والقرارات.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

لتعميق أثر الآية بحيث تتحول إلى "منهج عملي" يُعاش، إليك 5 استراتيجيات عملية:

الاستراتيجية الأولى: "التصفية العقلية" (فلترة المدخلات)
نحن في عصر تتعرض فيه عقولنا لـ "غسيل" مستمر. قبل أن تتبنى فكرة، أو تُعجب بشخصية، أو تروج لتوجه ما، اسأل: "هل هذا التوجه يُعزز انتمائي الإيماني أم يذوّب هويتي فيه؟". اجعل عقلك "حارساً" لا يسمح لأي أفكار تصادم الثوابت بالدخول إلى منطقة "القناعات".

الاستراتيجية الثانية: "الحدود الفاصلة" (صناعة المسافة)
ابن لنفسك "منطقة أمان" في علاقاتك. كن مهنياً، خلوقاً، وعادلا ً مع الجميع (وهذا واجب شرعي)، ولكن احتفظ بـ "دائرة الخصوصية" للمؤمنين الصادقين. لا تفتح "باب قلبك" (أسرارك، مخاوفك، أهدافك العميقة) إلا لمن يشاركك "الهم الإيماني".

الاستراتيجية الثالثة: "الاستعلاء العاطفي" (التحرر من طلب الرضا)
الكثير من الانحراف عن "سواء السبيل" سببه البحث عن "القبول" عند الآخرين. درب نفسك على "الا ستغناء العاطفي" عن أعداء الدين. عندما تشعر برغبة في كسب إعجاب أو رضا شخص أو تيار يعادي مبادئك، توقف وقل لنفسك: "رضا الله أسمى، ومكانتي عنده أغلى، وحاجتي إليه فوق كل حاجة".

الاستراتيجية الرابعة: "المراقبة الذاتية" (التدقيق الدوري)
خصص "وقفة محاسبة" قصيرة في نهاية كل أسبوع. راجع علاقاتك وقراراتك: "هل كنتُ واضحاً في مبدئي؟ هل تودد تُ لمن يعادي ديني في موقف كان يقتضي الثبات؟ هل في قلبي ميل خفي لأحدهم ؟". المحاسبة تحول المبدأ من "شعار" إلى "واقع".

الاستراتيجية الخامسة: "إدارة الرموز" (من تُعظم؟)
الإنسان غالباً ما يوالي من يُعظمه. راقب قائمة "القدوات" أو "المؤثرين" الذين تتابعهم أو تتأثر بهم. إذا وجدت أن قائمة متابعتك مليئة بمن يسخرون من الدين أو يروجون للقيم المناقضة، فاعلم أنك "تلقي بالمودة" عملياً ولو لم تشعر. استبدلهم بمن يذكرونك بالله.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية ودورها في صناعة الشخصية المسلمة والمجتمع والحضارة

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

للآية أبعاد متعددة تمتد لتشمل الفرد والمجتمع والدولة:

البعد العقدي: تثبيت توحيد الولاء لله، وتحرير مفهوم "لا إله إلا الله" من كونه مجرد كلمة تقال إلى كونه واقعاً معاشاً في العلاقات.

البعد النفسي: صناعة شخصية مستقلة عزيزة، غير خاضعة للضغوط الاجتماعية، قادرة على تحمل الغربة من أجل المبدأ.

البعد الاجتماعي: بناء مجتمع متماسك، قوي، لا يخترقه الأعداء من باب المودة المزيفة، مجتمع يعرف أعداءه وأصدقاءه.

البعد السياسي: تأسيس دولة ذات سيادة، لا تتبع أجندات خارجية، تحدد علاقاتها الدولية بناءً على مبادئها لا على مصالحها اللحظية.

البعد الحضاري: حفظ الهوية الإسلامية من الذوبان في ثقافات الآخرين، والحفاظ على الخصوصية الحضارية للأمة.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفس المسلمة والمجتمع والدولة

أولا ً: في نفس المسلم (قيم الفرد):

.1قيمة العزة) الاستغناء بالله(: تغرس الآية في نفس المسلم أن كرامته مستمدة من الله، لا من رضا أعداء منهجه، مما يجعله إنساناً مترفعاً عن "التملق" أو التذلل لأجل مصلحة دنيوية.
.2قيمة النزاهة العقدية) الصدق مع النفس(: الآية تدرب الفرد على "المراقبة الذاتية" ومطابقة الظاهر للباطن، فالمسلم الذي يعلم أن الله مطلع على ما "أخفى" يتربى على استقامة الضمير في الخلوة و الجلوة.
.3قيمة البصيرة) التمييز(: تغرس الآية مهارة "الفرز الذهني"؛ فلا يختلط لديه مفهوم "التعامل بالعدل" بمفهوم "المودة القلبية".

ثانياً: في الجماعة المسلمة (قيم المجتمع):

.1قيمة الولاء المجتمعي) التراحم والاصطفاف(: عندما يُنهى المسلم عن مودة أعداء الله، فإن المعنى الضمني هو توجيه هذه "المودة" إلى إخوانه في الإيمان .هذا يغرس قيمة التكاتف، ويجعل الجماعة المسلمة "جسداً واحداً" لا يخترقه الغرباء.
.2قيمة التمايز) الهوية الواضحة(: تغرس الآية في الجماعة قيمة "الخصوصية"؛ فالمجتمع المسلم له منظومته الأخلاقية والقيمية الخاصة، والآية تحمي هذا المجتمع من "الذوبان" في ثقافة الآخرين باسم الانفتاح.
.3قيمة الوعي الجماعي) الحذر المنهجي(: تعوّد الجماعة المسلمة على قراءة التاريخ والمآلات؛ فلا تغتر الجماعة بوعود أو مظاهر ود من خصومها.

ثالثاً: في الدولة المسلمة (قيم السياسة والحكم):

.1قيمة السيادة) الاستقلال في القرار(: هذه الآية هي "قاعدة السياسة الخارجية" للمسلم .الدولة التي تتبنى هذا المبدأ لا تكون تابعة لأجندات خارجية؛ لأنها ترفض جعل "أعداء المنهج" أولياء) أصحاب سلطة ونفوذ وتأثير (في قراراتها.
.2قيمة العدل العام) المسؤولية الأخلاقية(: رغم النهي عن الموالاة، فإن الآية لا تدعو للظلم .الدولة المسلمة تطبق "قيمة العدل والقسط" مع الجميع.
.3قيمة الأمن القومي) الخصوصية والأمان(: النهي عن المودة يتضمن حماية "أسرار الدولة والمجتمع" من التجسس أو الاختراق.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

الآية تقدم لنا مفاهيم عملية نعيش بها:

.1مفهوم "الولاء والبراء" كإطار للعلاقات: ليس مجرد نظرية، بل إطار عملي يحدد من نحب ومن نبغض، ومن نوالي ومن نتبرأ منه.
.2مفهوم "العدو المنهجي" لا الشخصي: لا نكره الأشخاص لذواتهم، بل نعارض المنهج الذي يحارب الله.
.3مفهوم "المسافة الآمنة" في التعامل: فن التعامل مع المخالفين دون ذوبان أو تنازل.
.4مفهوم "المراقبة الذاتية" كحارس للسلوك: استشعار علم الله بالسرائر.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

· العزة الإيمانية: الشعور بالقوة والكرامة المستمدة من الله.
· الطمأنينة: السكينة الناتجة عن وضوح الوجهة.
· التحرر من الخوف: الخروج من عبودية الرضا البشري.

المفاهيم الفكرية:

· البصيرة: الرؤية العميقة التي تميز بين الظاهر والمآل.
· الاستقلالية الذهنية: عدم التبعية الفكرية للآخرين.
· التمييز بين الوسائل والغايات: المبدأ لا يُباع من أجل مصلحة.

المفاهيم التربوية:

· الثبات: عدم التزعزع أمام الضغوط.
· الحزم: الوضوح في المواقف.
· المحاسبة: المراجعة الدورية للنفس.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

الآية تقدم مفاهيم جوهرية للبناء والتنمية:

.1بناء الإنسان على أساس العقيدة: التنمية الحقيقية تبدأ ببناء الإنسان عقائدياً، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك.
.2تنمية الوعي بالهوية: لا تنمية حقيقية بدون وعي بالأصالة والهوية.
.3تطوير المناعة الفكرية: حماية المجتمع من الغزو الفكري والثقافي.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

الآية الأولى من سورة الممتحنة هي "مصنع لإعادة صياغة الإنسان المسلم"؛ فهي تعمل على مستويات عميقة:

أولا ً: إعادة التشكيل الذهني (بناء المرجعية الواحدة)

· قبل الآية: كان الذهن قد يكون مشتتاً بمرجعيات متعددة) العرف، ضغوط المجتمع، القوانين الوضعية ، آراء التيارات الغالبة، إعجاب بالغرب.(
· بعد الآية: يتم "فلترة" المدخلات الذهنية .الآية تضع عقلا ً مسلماً يمتلك) بوصلة ثابتة(؛ فهو يُخضع كل فكرة ترد عليه لميزان الولاء لله .يتحول الذهن من "مُستقبل للقيم" إلى "ناقد لها".

ثانياً: إعادة التشكيل النفسي (تحقيق العزة والتحرر)

· قبل الآية: قد يعاني الإنسان من "ضعف نفسي" أمام الآخرين، و"رهبة" من عدم القبول، مما يجعله في حالة قلق ومداهنة دائمة.
· بعد الآية: تنشأ) عزة المؤمن المستعلية .(عندما يوقن المؤمن أن أعداء دينه ليسوا أهلا ً للمودة، يسقط من قلبه تعظيمهم .هذا يحرره من "عبودية المقارنة" أو "عبودية الرضا البشري".

ثالثاً: إعادة التشكيل العاطفي (تهذيب القلب وتوجيهه)

· قبل الآية: العاطفة قد تكون عشوائية) حب من يحبني، وتعاطف مع من يلطف معي بغض النظر عن منهجه.(
· بعد الآية: يتم "تطويع العاطفة" لتخدم الغاية الإيمانية .المسلم هنا) يُحصّن قلبه (من "المودة القلبية" التي تعني التبعية والتماهي مع أعداء المنهج.

رابعاً: إعادة التشكيل الفكري (الوضوح الاستراتيجي)

· قبل الآية: قد يعيش المسلم في حالة "ضبابية"، يرى التعاون مع الأعداء كأنه انتصار، ويرى التمسك بالقيم كأنه عجز.
· بعد الآية: تتشكل لديه) الرؤية المتبصرة .(يدرك أن الموالاة ليست فعلا ً منفصلا ً، بل هي مسار يؤدي إلى "الضلال".

الصورة التي يريدها المولى (المؤمن الرباني):

من خلال هذه الآية، يُريد الله للمسلم أن يكون إنساناً:

.1صاحب هيبة: لا يسهل استمالته، ولا يذوب في إرادات الآخرين.
.2صاحب رؤية: لا يغتر بالظواهر، بل يقرأ حقيقة المواقف بناءً على ثوابته.
.3صاحب كرامة: يعلم أن قيمته في انتمائه لله، فتعلو نفسه عن التذلل لمخلوق.
.4صاحب استقامة: لا يميل مع الرياح، بل يسير في "سواء السبيل" بوضوح وثبات.

ثامناً: خاتمة - رسالة إلى القلب

والآن... بعد كل هذه الكلمات، بعد كل هذا التحليل، بعد كل هذه الدروس والعبر...

دعني أتحدث إليك من أعماق قلبي، كأخ يهمه أمرك، كصديق يريد لك الخير.

أنت... نعم أنت يا من تقرأ هذه الكلمات الآن.

توقف للحظة... أغمض عينيك إن استطعت... وضع يدك على قلبك... وتخيل أن الله يناديك الآن، بصوت ملؤه الحب والغيرة عليك:

"يا عبدي، يا من آمنت بي وبرسولي ...لماذا تذهب إلى من يبغضني؟ لماذا تطلب الود ممن كفر بالحق ؟ لماذا تفتح قلبك لمن أخرجك من ديار الإيمان؟ أما كفاك أني أنا الله لا إله إلا أنا؟ أما كفاك أني معك أينما كنت؟ أما كفاك أني أسمع وأرى وأعلم ما تخفي؟

يا عبدي، أنا الذي خلقتك، أنا الذي رزقتك، أنا الذي هديتك، أنا الذي غفرت لك، أنا الذي سترت عليك... فلمن تذهب؟ ومن تطلب؟ ومن تخاف؟ ومن ترجو؟"

يا صاحبي...

أتعلم لماذا نزلت هذه الآية؟ نزلت لأن الله يحبك ويغار عليك. يغار أن تذهب كرامتك، يغار أن تضيع هويتك، يغار أن تذل نفسك لغير ه، يغار أن تبيع أغلى ما تملك (إيمانك) بأرخص الأثمان (كلمة مديح من عدو).

كم مرة شعرت بالضيق والانقسام؟

كم مرة أحببت من لا يحب الله، وتمنيت قبول من يرفض دينك، وألقيت بمودتك في غير موضعها، خوفاً من كلمة، أو طمعاً في منفعة، أو رغبة في قبول اجتماعي؟

الآن... هذه الآية تأتي كـ "غسيل قلب" لتعيد لك صفاءك. لتخرج من صدرك كل حب لا يرضي الله، وكل ميل لا يوافق منهجه.

لنصنع معاً عهداً جديداً، الآن، في هذه اللحظة:

· من اليوم، لن أطلب ود من لا يود الله.
· من اليوم، لن أخاف إلا الله، ولن أرجو إلا الله.
· من اليوم، سأكون واضحاً في ولائي، نبيلا ً في عدلي، صلباً في مبدئي.
· من اليوم، سأعيش الآية كأنها نزلت في قلبي لتويها.
· من اليوم، سأراقب الله في سري وعلني، في خلواتي وجلواتي.

وإذا شعرت يوماً بالضعف... إذا مالت نفسك نحو من يعادي دينك... تذكر:

تذكر الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا. تذكر بلالا ً الذي وضعوا الصخرة على صدره في حر مكة، وهو يقول: "أحد، أحد". تذكر خبيباً الذي صلبوه على خشبة، وكان آخر كلماته: "اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً". تذكر سمية التي طعنها أبو جهل بحربة في قلبها، فكان أول شهيدة في الإسلام.

كل هؤلاء ضحوا بدمائهم وأرواحهم وديارهم وأموالهم... من أجل ماذا؟ من أجل "لا إله إلا الله".

فهل بعد هذا تبيع هذا الدين بـ "كلمة ود" من عدو؟ هل تفتح قلبك لمن أغلقوا قلوبهم عن الله؟ هل تطلب القبول ممن رفضوا ربك؟

لا والله... لا.

أنت أفضل من ذلك. أنت عند الله أعز وأكرم.

الاستقامة... الاستقامة... الاستقامة.

هي الكلمة التي تلخص أثر هذه الآية في حياتك.

استقم... فقط استقم.

استقم في قلبك، استقم في علاقاتك، استقم في مواقفك.

لا تخف من أن تكون وحدك في الحق، فالله معك.

لا تخف من أن ترفض من الناس، فالناس لا يملكون لك نفعاً ولا ضراً.

لا تخف من أن تخسر دنياك، فدنياك زائلة وآخرتك باقية.

أنت وعدت الله... والله لا يخلف الميعاد.

فهل أنت مستعد؟

هل أنت مستعد لتكون من "الذين آمنوا" حقاً؟

هل أنت مستعد لتكون من "الذين استقاموا" صدقاً؟

أنا أعرف أنك مستعد.

لأن في قلبك نوراً لا يطفئه إلا من أطفأه بنفسه.

لأن في روحك عزة لا يذلها إلا من أذلها بنفسه.

قم الآن... وتوضأ... وصل ركعتين... وجدد عهدك مع الله.

وقل من أعماق قلبك:

"ربي، أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وإليك أنبت، ولك أسلمت .ربي، اجعلني من الذين استقاموا، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .ربي، طهر قلبي من كل مودة لا ترضاها، وأعني على حفظ حدودي مع من يعادون دينك .ربي، إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أجهل أو يُجهل علي .ربي، ثبتني على سواء السبيل، واجعلني من عبادك الصالحين."

المبحث الثاني .

تفسير الآيتين 2 و 3 من سورة الممتحنة

قال تعالى

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٣) ﴾

أولاً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من تذوقت حلاوة الإيمان، وجاهدت نفسك على طاعة الرحمن...

بعد أن سمعت في الآية الأولى النداء الإلهي المهيب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، وبعد أن علمت أن المودة القلبية لأعداء الله هي خروج عن سواء السبيل، جاءت الآيتان

الثانية والثالثة لتُكملا الصورة، وتُسقطا آخر الأقنعة، وتُحرقا آخر الأعذار التي قد يتمسك بها الغافلون لتبرير موالاتهم للكافرين.

ربما كنت تقول في نفسك: "لماذا لا أتخذهم أولياء؟ إنهم ليسوا بذلك السوء .هم لطفاء معي، ابتساماتهم حانية، كلماتهم معسولة .لعلهم سيحبونني ويبادلوني الود إذا أحسنت إليهم" .أو ربما كان يمر بخاطرك: "إن لي بينهم أقارب وأولاداً، كيف لا أتواصل معهم؟ كيف لا أظهر لهم المودة وأنا أخشى عليهم؟".

هذه الآيات تأتي لتصفع هذه الأوهام صفعة قوية، وتضع يدها على جرحك وتقول لك: لا تغتر بـ المظاهر .فطبيعة هؤلاء - مهما أبدوا من ود - هي العداوة .وهم - مهما تظاهروا بالحسنى - يتمنون في قرارة أنفسهم أن تعود كافراً مثلهم.

ثم تأتي الآية الثالثة لتنزع من قلبك آخر عذر يتمسك به الضعفاء: عذر الأرحام والأولاد .كأن الله يقول لك: كل من تواليهم من أجلهم، لن ينفعوك يوم القيامة .يوم يفصل الله بينك وبينهم، فلا تجمعكم دار واحدة، ولا ينجيك منهم قريب ولا حبيب.

تعال ...لنغوص معاً في بحر هاتين الآيتين، ولنستخرج منهما الدرر والكنوز التي تصنع منك مؤمناً لا تخدعه الابتسامات، ولا تمنعه الخواطر العاطفية من الثبات على الحق.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآيتان

هاتان الآيتان تأتيان لتعالج في نفسك وفي واقعك قضايا عميقة، بعضها استكمال للآية الأولى، وبعضها جديد:

القضية الأولى: نزع "وهم المودة المتبادلة"

كثير من الناس يعيشون في وهم كبير مفاده: "إن أحسنت إلى الآخرين، أحسنوا إلي .إن أبديت مودتي، بادلوني بالمودة" .هذه الآيات تحطم هذا الوهم، وتكشف حقيقة أن أعداء الإسلام، حتى لو أظهروا اللين في بعض الأحيان، فإن جبلتهم الأصلية هي العداوة .ومتى سنحت لهم الفرصة، أو شعروا بالقدرة عليك، انقلبوا إلى عداوة صريحة.

مثال تقريبي: كمن يربي ثعباناً في بيته، ويظن أنه إذا أطعمه سيكون صديقاً وفياً .لكن طبيعة الثعبان هي السم والنفش، ومتى شعر بالقدرة على صاحبه، لدغه .هكذا أعداء الدين.

القضية الثانية: التمييز بين "العدل" و"المودة"

الآيات اللاحقة في السورة8) - (9ستبين أن الله لا ينهاكم عن البر والقسط مع من لم يقاتلوكم في الدين .إذن، الفرق واضح: العدل والبر واجب على المسلم مع الجميع، أما المودة القلبية والموالاة و الثقة فهي خاصة بالمؤمنين فقط، ومنهي عنها مع أعداء الله.

القضية الثالثة: تفنيد "عذر القرابة والأولاد"

كان في زمن النبي ﷺ مؤمنون لهم أقارب وأولاد في مكة بين المشركين .كانوا يخشون عليهم، ويميلون قلوبهم إليهم، ويدفعهم ذلك إلى موالاتهم أو إفشاء الأسرار لهم طمعاً في سلامتهم .هذه الآية تأتي لتقطع هذا العذر من جذوره: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة .فالله لا يقبل أن يقدم حب المخلوق على حب الخالق.

مثال تقريبي: كأب يرضى أن يترك دينه أو يتنازل عن مبادئه من أجل أن يرضى ابنه العاق، أو يُسكت زوجته الكافرة .هذا الأب يوم القيامة سيجد أن ابنه لا يملك له ضراً ولا نفعاً، بل قد يكون خصيماً له.

القضية الرابعة: تنبيه المؤمن إلى عاقبة اتباع الهوى

أن تترك الحق لأجل هوى النفس، أو خوف، أو طمع، أو حب للأهل والولد، أو مجرد عاطفة جياشة

تجاه من يعادي دين الله ...هذا ليس من شأن المؤمنين .الآية تذكرك بأن الله بصير بما تعملون، فلا تغتر بأن أحداً يخفى عليه أمرك، ولا تظن أنك تستطيع أن تخدع الله بحسن الظاهر وسوء الباطن.

القضية الخامسة: تهذيب الأولويات بين الدنيا والآخرة

قد تظن أن مصلحة دنياك - بمالك، أهلك، عملك، مكانتك، أمنك - أهم من ثباتك على دينك .أو قد تظن أن موالاة الكفار ستجلب لك منفعة دنيوية تغنيك عن ثواب الآخرة .الآيات تعيد ترتيب هذه الأ ولويات بقسوة: الآخرة أولا ً، ثم الآخرة، ثم الآخرة .ما تظنه مكسباً اليوم هو خسارة مؤكدة غداً.

القضية السادسة: كشف حقيقة الأمنيات الخفية للعدو

ليس العدو يتمنى لك سوءاً فقط في الدنيا) أذى، قتل، تشريد(، بل أمنيته الكبرى أن ترتد عن دينك . يتمنى في قلبه أن تعود كافراً مثله، وأن تكون معه في النار .هذه الحقيقة القاسية تدمغ كل من يظن أن العدو يحبه أو يريد له الخير.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآيتين

ما الذي يريده الله منك تحديداً من خلال هاتين الآيتين؟

الهدف الأول: كشف حقيقة العدو وطبيعته

لا تظن أن العدو سيصبح صديقاً بالإحسان إليه، ولا أن المداهنة تصلح ما بينك وبينه .حقيقته عداوة، وإذا سنحت له الفرصة أظهرها .هذا الهدف يريد أن يرفع عنك غشاوة السذاجة والتفاؤل الزائف.

الهدف الثاني: تنبيهك إلى أن الخصومة فكرية عقدية

ليست خصومتك معهم على أرض أو مال أو جاه، بل على الإيمان بالله .ولذلك هم في أعماقهم يتمنون أن ترتد عن دينك كما ارتدوا .فلا تحسن الظن بهم، ولا تظن أنهم سيحترمون معتقدك.

الهدف الثالث: تفريغ قلبك من كل خوف لغير الله

الخوف من الأهل، الخوف على الأولاد، الخوف من الأقارب ...لا ينبغي أن يجعلك تخون الله ورسوله والمؤمنين .من خاف الله أمنه الله من كل شيء .ومن خاف الناس أخافه الله منهم.

الهدف الرابع: تثبيتك على الحق بقطع الأعذار

قد كان بعض المؤمنين يتعللون بعلة "الأرحام والأولاد"، فجاءت الآية لتقطع هذه العلة: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة .إذا علمت أنهم لا ينفعون، لم تبقَ حجة لتقديمهم على الله.

الهدف الخامس: غرس "البصيرة الإلهية" في قلبك

"والله بما تعملون بصير" .هذا الاسم الكريم) البصير (يرسخ في قلبك أن الله يراك ويعلم عملك وسرك وعلانيتك، فلا تخادعه، ولا تظن أنك تفعل شيئاً يخفى عليه.

الهدف السادس: ربط الدنيا بالآخرة

أن تدرك أن كل ما تفعله اليوم من موالاة أو مودة أو خيانة سيكون له جزاء يوم القيامة .يوم يفصل الله بينك وبينهم، وكل يلقى ما قدم.

رابعاً: تفسير الآيتين والمعنى العملي لهما

التفسير الميسر) بأسلوب تفصيلي(

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾

"يَثْقَفُوكُمْ" من الثقف، وهو الظفر والإصابة والحذق في إدراك الشيء وفعله .أي: إن يظفروا بكم، ويجدوا فرصة للانتقام منكم، أو تقعوا في أيديهم أسرى، أو تشتد بهم قوتكم، أو يشعروا بأنهم قادرون عليكم ...في تلك اللحظة، سينقلبون فجأة، ويسقط قناع اللطف الظاهري، ويظهرون ما كانوا يضمرون في قلوبهم من حقد وعداوة.

كلمة "يكونوا لكم أعداءً" جملة اسمية تفيد الثبوت والاستقرار، أي أن العداوة هي أصل ثابت فيهم، وليست عارضة طارئة .هم أعداء في الأصل، وإخفاؤهم للعداوة هو الاستثناء الذي يزول عند أول فرصة.

﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾

"يبسطوا": يمدوا ويمددوا .الأيدي: أداة البطش الجسدي .الألسنة: أداة البطش اللفظي والنفسي ."بالسوء": أي بالأذى والضر والشر.

إذا وجدوا الفرصة، لا يكتفون بعداوتهم القلبية، بل يمدون إليكم أيديهم بالضرب والإيذاء والحبس و التعذيب والقتل، ويمدون ألسنتهم بالسب والشتم والطعن والتجريح والإهانة والسخرية .إنه هجوم شامل على جسدك ونفسك وكرامتك ودينك.

﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

"وَدُّوا" من الود، وهو الحب والتمني .ليس أمنيتهم أن يؤذوك فقط، بل يتمنون في أعماق قلوبهم، في خلواتهم، في أحلامهم، في تخطيطهم ...أن تكفروا بالله كما كفروا .يتمنون لكم الردة عن الإسلام، و الخروج من ملة الحق .يحزنون لهُداكم، ويفرحون لضلالكم، ويبذلون جهدهم في سبيل إضلالكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾

"الأرحام": القرابات، الأقارب من جهة النسب ."أولادكم": ذريتكم .لن تنفعكم هذه العلاقات الدموية، ولن تشفع لكم عند الله، ولن ترد عنكم عذابه، ولن تقدم لكم حماية في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

كل ما قدمتموه من مودة للكفار من أجل أقاربكم وأولادكم، وكل ما بذلتموه من تضحيات في سبيل سلامتهم على حساب دينكم، كل ذلك لن يغني عنكم من الله شيئاً.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾

"يفصل" أي يفرق ويميز .يوم القيامة العظيم، يوم تجزى كل نفس بما كسبت، يوم تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات ...في ذلك اليوم، يفصل الله بين المؤمنين والكافرين .لا تجمعهم دار واحدة، ولا قارة واحدة، ولا جنة واحدة، ولا نار واحدة .ينفصل المؤمن عن قريبه الكافر كما ينفصل الغثاء عن الماء، فلا يلتقيان بعدها أبداً.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

وهذا هو الختام المزلزل: الله بما تعملون بصير .يعلم أعمالكم، ونياتكم، وأسراركم، وخفايا صدوركم .لا يخفى عليه شيء .هو الذي يرى مودة قلبك لمن يعاديه، ويرى موالاتك لهم في السر، ويرى تبريراتك ومبرراتك .وسيجزيك على كل صغيرة وكبيرة.

المعنى العملي للآيتين – كيف تعيشهما في واقعك؟

تطبيق عملي(1) : في علاقاتك بالجيران أو الزملاء من غير المسلمين

قد يكون لديك جار غير مسلم، أو زميل عمل، يظهر لك الود والابتسامة .قد يخطر ببالك: "إنه لطيف، لا بأس أن أفتح له قلبي، وأطلعه على بعض أسرار المسلمين، أو أشاركه في مشاريع تخدم أعداء الدين".

تذكر الآية: إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء .هذا الشخص الذي تظنه ودوداً، لو سنحت له الفرصة، لو تغيرت الأحوال، لو أصبح في موقع قوة عليك، فقد يتحول إلى عدو لدود .لا تجعل حُسن الظن به يوقعك في محظور.

تطبيق عملي(2) : الخوف على الأقارب غير المسلمين

لنفرض أن لك أماً أو أباً أو ابناً أو أخاً غير مسلم، أو يعادي الدين .قد يوسوس لك الشيطان: "لا بأس أن تتنازل عن بعض دينك، أو تمدح معتقدهم، أو تسكت عن باطلهم، من أجل ألا تنقطع صلته بك، أو من أجل ألا تتأذى".

الآية الثالثة تصفعك: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة .هؤلاء الأقارب لن يقدموا لك شفاعة، ولن يفدوك بأموالهم، ولن ينفعوك عند الله بشيء .قد تكون اليوم تخاف عليهم، ولكن يوم القيامة لن يخافوا عليك .قد تقدم لهم اليوم تضحيات، ولكنهم غداً لن يقدموا لك شيئاً.

تطبيق عملي(3) : التردد في نصرة الحق خوفاً من الأهل

ربما أنت في مجتمع يضغط عليك أهلك لترك بعض التزاماتك الدينية .يقولون لك: "لا تذهب إلى المسجد كثيراً"، أو "لا تظهر التزامك الديني في العمل"، أو "لا تغضب علينا إذا فعلنا المنكرات".

الآية تذكرك: الله بصير بما تعملون .هو يعلم أنك تخاف أهلك، ويعلم أنك تتخلى عن بعض الحق مراعاة لهم .ولكن السؤال: أين الله من هذا الخوف؟ أليس الله أولى بالخوف؟ أليس الله أحق أن تخشاه؟

تطبيق عملي(4) : مسألة المصاهرة والعلاقات الأسرية

قد يطلب منك أقاربك غير المسلمين أن تشاركهم في أعيادهم الدينية، أو أن تشاركهم في مناسباتهم الشركية، أو أن تقدم لهم التهنئة على معتقداتهم الباطلة .وقد تتردد: "إن لم أفعل، قد ينقطع الرحم".

الآية تقول: لن تنفعك هذه الأرحام يوم القيامة .قطع الرحم لغير الله مذموم، لكن قطع الرحم في الله مطلوب إذا كان موصولها على معصية .صلة الرحم لا تعني مشاركتهم في الباطل، ولا تعني الرضا بكفرهم.

تطبيق عملي(5) : في وسائل التواصل الاجتماعي

قد تتابع شخصاً مشهوراً من غير المسلمين، أو ممن يعادون الدين، وتُعجب ببعض مواقفه الإنسانية أو العلمية .وقد يخطر ببالك: "هو ليس سيئاً، له جوانب إيجابية" .تذكر أمنيتهم الخفية: وودوا لو تكفرون . هم يتمنون في أعماقهم أن تترك دينك، ولو لم يظهروا ذلك .فلا تكن ساذجاً.

خامساً: تحليل الآيتين وتفكيك دلالاتها

الأمر الأول: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾

.1ماذا يعني "إن يثقفوكم"؟) تحليل لغوي وعقدي(

المعنى اللغوي: "يَثْقَفُوكُمْ" من الثقف، وهو الحذق في إدراك الشيء والفعل به .يقال: ثقف الشيء يثقفه ثقفاً: إذا أخذه بأدب وحذق .والمقصود هنا: إن يظفروا بكم ويجدوكم وتسنح لهم الفرصة.

المعنى العقدي: هذه الجملة تصف طبيعة العلاقة بين المؤمنين والكافرين المحاربين .الكافرون - مهما أبدوا من لطف في بعض الأوقات - فإن عداوتهم للإيمان هي أصل ثابت في نفوسهم .وهذه العداوة لا تزول بالإحسان أو المداهنة .تتربص بالمؤمنين، وتنتظر الفرصة لتظهر.

.2ماذا تفعل هذه الآية بالقلب المؤمن؟) التأثير النفسي والروحي(

هذه الآية تدمغ فكرة "الذكاء الدبلوماسي" الزائفة التي يروجها بعض الناس: "داهنهم تكسب ودهم،

أظهر المودة تكسب أمانهم، كن مرناً تتجنب شرهم" .الآية تقول: هذا وهم، وهذه أمنية كاذبة .والله يخبرك من فوق سبع سموات أنهم إن قدرت عليك أظهروا عداوتك .فلماذا تخدع نفسك؟

المشاعر التي تغرسها:

· اليقظة والحذر: لا تنم على أمان من عدوك.
· الواقعية: لا تحلم بقلب طبائعهم.
· القوة: لا تطلب ود من هو عدوك بالفطرة.
· التجرد: علاقاتك معهم مبنية على المصالح المشروعة، لا على المودة.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية) ما يحدث في نفسك(:

.1كشف تلاعب العقل الباطن: بعض الناس يخدعون أنفسهم بأن "فلان ليس عدواً، بل هو شخص لطيف ومتعاون" .الآية تكشف أن هذا "اللطف" قد يكون تمويهاً يخفي حقداً لا يظهر إلا عند الفرصة . اسأل نفسك: هل أنت صادق مع نفسك، أم أنك تبرر موالاتهم برغبتك في السلامة أو المكسب؟
.2التحصين من خيبة الأمل: إذا وثقت بعدوك ثم خانه، ستنزعج كثيراً .أما إذا علمت أنه عدوك من البداية، وعاملته على هذا الأساس، فلن تصدم إذا أظهر عداوته .التوقع يحمي نفسك من الصدمات.
.3بناء مرونة نفسية: لا تتخذ قراراتك العاطفية والمصيرية بناءً على مشاعرك المتقلبة تجاههم، بل بناءً على يقينك بعداوتهم .هذا يمنحك ثباتاً نفسياً في مواجهة ضغوطهم.
.4التخلص من سذاجة "حسن الظن المطلق": الإسلام يحث على حسن الظن، لكن ليس مع الأعداء المحاربين .الآية تخرجك من سذاجة الإيمان بالجميع، وتدخلك في وعي الواقع.

ثانياً: الرسائل العقلية) كيف يفكر عقلك(:

.1تفنيد فكرة "الصداقة مع العدو": فكر بعقلك: كيف يمكن أن تجمع بين حب الله وحب من يحارب الله؟ كيف يمكن أن توالي من يريد إطفاء نور الله؟ هل هذا يجتمع في عقل سليم؟
.2البصيرة بالمآلات) استشراف المستقبل(: عند التفكير في مداهنة عدو أو إبداء المودة له، اسأل عقلك: "ماذا سيفعل لو سنحت له الفرصة، لو تغيرت موازين القوى، لو أصبح قوياً وضعفت أنا؟" . الجواب عند الله وعند العقل: سيكون عدواً، ويمد يده ولسانه بالسوء.
.3تحليل التهديدات: تعلم أن تحلل من حولك: من هو عدوك الحقيقي؟ من هو عدوك في الظاهر صديقك في الباطن؟ لا تخلط بين من يختلف معك في الرأي وبين من يحارب دينك.

ثالثاً: الرسائل التربوية) لتربية نفسك ومن تحت يدك(:

.1تعليم عدم الاغترار بالمظاهر: كن حذراً، وتفرس في الناس .المظهر الخارجي للود قد يخفي باطناً معادياً للإيمان .رب أولادك على ألا ينخدعوا بابتسامة من يحارب دينهم.
.2التربية على الاستقلالية النفسية: لا تجعل حاجتك للناس - أي حاجة - توقعك في فخ موالاتهم . استغن بالله، وكن مستقلا ً في قراراتك.
.3تعليم الثبات على المبدأ: درب نفسك ومن تحت يدك على ألا تهتز المواقف بمجرد تغير الظروف . من يهادن العدو اليوم خوفاً منه، سيكون غداً أسيراً له.

رابعاً: الرسائل العملية) لواقعك اليومي(:

.1ضبط العلاقات في بيئة العمل: لا تخلط بين "التعاون المهني" الذي تقتضيه مصلحة العمل، وبين "المودة القلبية" التي نهى الله عنها .كن محترفاً متعاوناً عادلا ً، لكن لا تمنحهم مفتاح قلبك.
.2اختبار الناس قبل الثقة: لا تعطي ثقتك لأحد - خاصة ممن يعادي دينك - قبل اختبار موقفه عند الشدة .انظر كيف يتصرف عندما يختلف معك، أو عندما يكون في موقع قوة .هذه اختبارات حقيقية.
.3إدارة التعاملات المالية والتجارية: إذا كنت تتعامل معهم تجارياً، فلتكن تعاملاتك واضحة مضبوطة بالعقود والقوانين، لا بالثقة العاطفية والمودة القلبية.

الأمر الثاني: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾

.1لماذا جمع الآذى الجسدي) الأيدي (والنفسي) الألسنة(؟

القرآن يجمع بين الأذى المادي والمعنوي في وصف عداوة الكفار .لأن أعداء الإسلام لا يكتفون بإيذاء جسد المسلم، بل يريدون أيضاً النيل من كرامته ومعنوياته ودينه بسخرية وطعن وتجريح وتشكيك.

اليد تبطش بالجسد، فتبطش بالضرب والحبس والتعذيب والقتل .اللسان يجرح النفس والكرامة، فيجرح بالسب والشتم والاستهزاء والتكذيب والإشاعات المغرضة.

.2الفرق بين "المداهنة" و"العدل") تذكير مهم(

لمن يعتقد أن هذه الآية تمنع كل تعامل مع غير المسلمين، نقول: الآيات اللاحقة في نفس السورة) الآ يات8 - (9ستبين أن الله لا ينهاكم عن البر والقسط مع من لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم .إذن، العدل والبر واجب مع غير المحاربين، أما المودة القلبية والموالاة فهي المنهي عنها مع المحاربين.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1التحضير النفسي لمواجهة الأذى: لا تفاجأ أو تنهر إن آذاك من كنت تظنه ودوداً .هذا هو أصلهم وطبيعتهم .حين تتوقع الأذى، يخف وقع الصدمة، وتكون مستعداً نفسياً.
.2الصبر والثبات في مواجهة الأذى: كونك تتوقع الأذى يخفف من وقع الصدمة، ويساعدك على الصبر والثبات .ليس كل أذى مفاجئاً يصبر عليه الإنسان، أما المتوقع فله تدريب نفسي عليه.
.3الحفاظ على الكرامة: لا تسمح لنفسك بالاستجداء والتملق والاسترحام لمن طبيعتهم بسط الأيدي و الألسنة .إذا علمت أنهم سيبطشون بك مهما فعلت، ارتفعت قيمتك في نفسك.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1إعادة تعريف "العاقل": العقلاء لا يضعون ودهم وثقتهم عند من يريدون بسط الأيدي والألسنة . العاقل من يتعامل بواقعية، لا من يعيش في أوهام الصداقة مع العدو.
.2تحليل التهديدات المتعددة: ليس كل عدوى يهدد باليد فقط .بعض الأعداء أخطرهم بألسنتهم؛ لأنهم يجرحون السمعة ويزعزعون الثقة ويهدمون المعنويات .احذر من كلاهما.
.3عدم المبالغة في الرد: لا ترد على أذاهم بمثل أذاهم إذا كان ذلك سيضر بقضيتك .أحياناً تكون المواجهة العقلانية بالحجة أشد على العدو من الرد بالمثل.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1عدم التبرير للآخرين: لا تبرر لأبنك أو لمن تربي أن تمدح أعداء الدين أو تبرر مواقفهم .هذا فساد تربوي يعتاد عليه الصغار، فيكبرون وهم يحبون من يبغض الله.
.2التربية على الوعي الاجتماعي: علم أبناءك أن المظهر الخارجي قد لا يعكس الحقيقة .علمهم أن يقرأوا المواقف، وأن يحللوا نوايا الناس من أفعالهم، لا من كلامهم فقط.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1مراقبة العلاقات عن كثب: إذا كان شخص يغتاب المؤمنين في غيابهم، أو يسخر من دينهم، أو يشكك في علمائهم، فاعلم أنه سيغتابك في غيابك، وسيبسط لسانه بالسوء عليك .فلا تأمنه.
.2إدارة التعاملات بحذر: في أي تعاقد أو شراكة مع من يعادي دينك، كن حذراً، واقرأ العواقب، ولا تعتمد على الوعود الشفوية.
.3حماية السمعة والخصوصية: لا تبح بأسرارك أو أسرار مجتمعك لأعداء الدين؛ لأن ألسنتهم ستبسط عليك بالسوء إن وجدوا فرصة.

الأمر الثالث: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾

.1ما معنى هذا المقطع؟) تحليل نفسي وعقدي(

"وَدّوا" من الود، وهو الحب والأمنية والتطلع .ليست أمنيتهم أن يؤذوك فقط، بل يريدون لك الضلال ا لأبدي .هم يريدونك في النار معهم .هذه ليست عداوة سطحية، بل عداوة وجودية.

يحزنون لهُداك، ويفرحون لضلالك .يتمنون في أعماقهم أن تعود كافراً مثلهم .ولهذا يبذلون كل جهدهم في نشر الشبهات، وتزيين الكفر، وتشويه الإسلام، لعله يرتد أحد منكم.

.2لماذا يذكرنا الله بهذه الأمنية؟

لنقطع أملنا في هدايتهم ومودتهم .لا تُحسن الظن بهم على حساب دينك .القضية ليست شخصية ولا ظرفية، إنما وجودية: الإسلام الذي تؤمن به هو عدوهم الأول .هم يبغضونك لأنك مسلم، لا لأنك أسأت إليهم.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1اليقظة الدائمة: لا تنم على أمان من كيدهم، فهم يتمنون ردتك في كل لحظة .هذه الحقيقة تزيل عنك سذاجة الاطمئنان إليهم.
.2الغيرة على الإيمان: عندما تعلم أن العدو يتمنى لك الكفر، ستغار على دينك، ولن تفرط فيه .كلما هممت بالتفريط، تذكر أن عدوك يفرح بتفريطك.
.3تحويل الحزن إلى قوة: قد تحزن لأنهم يتمنون لك الشر، لكن هذا الحزن يمكن أن يتحول إلى دافع للتشبث بدينك أكثر ."غضب الكفار عليك دليل أنك على حق".

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1فهم طبيعة الصراع: هذا ليس صراع حدود أو مصالح أو أهواء، بل صراع عقيدة مطلقة .لا حلول وسط فيه، لا "تعايش" في العقيدة .إما أن تكون مع الله، أو تكون مع من يتمنى كفرك.
.2عدم اليأس من هدايتهم: هذه الآية لا تمنع أن تدعوهم إلى الإسلام، ولا أن ترجو هدايتهم .لكنها تمنعك من الاتكال على حسن ظنك، أو من تقديم تنازلات عقدية باسم "جذبهم للإسلام".
.3إعادة تعريف "النجاح" في العلاقات: النجاح في علاقتك مع أعداء الدين ليس أن يحبوك أو يودوك ، بل أن تحافظ على دينك، وأن تبلغهم رسالة الله، ثم تكل أمرهم إلى الله.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1التربية على الاعتزاز بالإيمان: يجب أن تفتخر بدينك الذي يُغضب أعداءك .لا تخجل منه، ولا تخفه .اجعل أولادك يعتزون بأنهم مسلمون، وأن الكفار يتمنون زوال إسلامهم.
.2تصحيح المفاهيم: أي مفهوم يروج أن "الجميع يعيشون في سلام" أو "لا فرق بين دين وآخر" هو مفهوم باطل .ديننا هو الحق، وهم على باطل، وحبهم لا يغير حقيقة عداوتهم لنا على مستوى المبدأ.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1عدم مشاركة الأسرار: لا تبح بخصوصيات المسلمين وأسرار مجتمعهم لمن يتمنى زوال إيمانهم .هؤ لاء يمكن أن يستغلوا كل معلومة ضدك وضد مجتمعك.
.2مراقبة المؤثرين والقدوات: انتبه لمن تتخذ قدوة في حياتك .قد يكون شخصاً يتمنى لك الكفر في قرارة نفسه، لكنه يظهر لك الود .اختبر قدواتك بمنهجهم، لا بظواهرهم.
.3تصفية الحسابات على وسائل التواصل: إذا كان أحدهم يتابع حسابات تروج للكفر أو تشكك في الإ سلام، فاعرف أنه يتمنى لك الكفر، وإن لم يصرح.

الأمر الرابع: ﴿لَن تنفعَكمْ أَرْحَامُكمْ وَلَا أَوْلَادُكمْ﴾

.1ما المراد بالأرحام والأولاد؟) تحليل سياقي(

المراد بالأرحام: الأقارب، ذوو القرابة الذين كان بعض المؤمنين يوالون الكفار من أجلهم؛ خوفاً عليهم، أو رغبة في صلتهم، أو طمعاً في سلامتهم.

المراد بالأولاد: الأبناء والذرية .قد يكون للإنسان ابن أو بنت غير مسلمين، أو ممن يعادون الدين، فيخاف عليهم ويميل قلبه إليهم، فيوالى أقاربهم الكفار من أجل أولئك الأولاد.

الرسالة: كل علاقة دموية أو نسبية قد تكون عذراً للضعفاء لتبرير موالاتهم للكافرين .الآية تأتي لتقطع هذه الأعذار كلها.

.2لماذا خص الأرحام والأولاد؟

لأن الإنسان بطبعه يحب أهله، ولأنه في لحظة ضعف قد يقدم حبهم على حب الله .ولأن الشيطان يزين للإنسان أن حفظ الأهل والولد هو "مسؤولية" تبيح له بعض التنازلات .الآية تذكرك: لا أحد يساوي الله في المحبة .هؤلاء الأهل إن لم يكونوا معك في الإيمان، لن ينفعوك يوم القيامة.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1كسر قيد الخوف) الخوف على الأهل(: تخلص من الخوف على أهلك إن لم توال الكفار؛ فالله هو الحافظ، والله هو الرازق، والله هو الناصر .من خاف الله أمنه الله في أهله.
.2تطهير القلب من الحب المفرط: حب الأهل مشروع، لكن لا ينبغي أن يصل إلى درجة تقديمهم على الله .الآية تدفعك إلى مراجعة درجة حبك: هل حب أهلك جعلك تتنازل عن شيء من دينك؟
.3الشعور بالمسؤولية الحقيقية: مسؤوليتك تجاه أهلك الحقيقية هي دعوتهم إلى الله، لا موالاة الكفار من أجل سلامتهم الدنيوية على حساب آخرتهم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1الموازنة بين المحبتين: محبة الأهل مشروعة في حدودها، لكن لا تطغى على محبة الله .فكر بعقلك: من أولى بالطاعة والخوف والرجاء؟ الله أم الناس؟
.2منطق المصلحة الأخروية: أي مصلحة تقدمها لأهل يغضب الله هي خسارة حقيقية في ميزان الآ خرة .أي سلامة دنيوية تحققها على حساب دينك هي سلامة زائفة تنقلب حسرة.
.3إعادة تعريف "البر بالوالدين": بر الوالدين لا يعني طاعتهما في معصية الله .لا تعارض بين بر الوالدين والتمسك بالدين .البر الحقيقي هو أن تدعوهما إلى الحق، وتحسن إليهما، ولا تطعهما في الحرام.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1تحديد الأولويات في الحياة: رتب أهداف حياتك، واجعل الإيمان في صدارتها .قبل أن تتخذ أي قرار يتعلق بأهلك، اسأل: هل هذا يرضي الله أولا ً؟ ثم اسأل: هل هذا ينفع أهلي في دينهم؟
.2تربية الأسرة على الثبات: علم أهلك وأولادك ألا يفرطوا في دينهم لأجلك .لا تطلب منهم أن يطيعوك في معصية الله، ولا تقبل منهم أن يتنازلوا لأجلك.
.3تقديم القدوة الحسنة: كن أنت القدوة لأهلك في الثبات على الدين، وفي تقديم الله على كل أحد، حتى يتربوا على هذا المبدأ.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1لا تتبع أهلك في الباطل: أنت قائد أسرتك، وأنت المسؤول أمام الله عنهم وعن نفسك .لا تكن تابعاً لهم في الباطل .تحمل مسؤولية القيادة.
.2الحزم مع الأقارب: لا تجامل قريباً على حساب عقيدتك .لا ترضى بقريبك الكافر على كفره، لكن لا تهادنه في دينك .قل الحق ولو كان مراً.
.3الدعوة بالحكمة: هؤلاء الأقارب الذين تخشى عليهم، ادعهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بموالاتهم على الباطل .قد تكون دعوتك سبباً في هدايتهم.

الأمر الخامس: ﴿يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾.

.1ما معنى "يفصل بينكم"؟) تحليل أخروي(

"يفصل" أي يفرق ويميز ويفصل .يوم القيامة العظيم، يوم تجزى كل نفس بما كسبت .في ذلك اليوم، يفصل الله بين المؤمنين والكافرين، فلا تجمعهم دار واحدة، ولا قرار واحد.

ينفصل المؤمن عن قريبه الكافر، وينادي أبو جهل ابنه المؤمن: يا بني لا تفضحني .ويقول الرجل: يا رب هذا أخي، فيقال: إنه عمل غير عملك .ويقرأ القرآن: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

.2الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1مغالبة أوهام الاستمرار: كثير من الناس يراهنون على استمرار علاقاتهم الدنيوية إلى الأبد .هذه الآ ية توقظهم: كل علاقة تنتهي بالموت، والحساب لله، والفصل يوم القيامة.
.2التزود للآخرة) الاستعداد المبكر(: من يعلم أن غداً سيفصل بينه وبين أحبابه، يبادر اليوم إلى تصحيح علاقته مع الله .لا تؤجل توبتك، ولا تؤجل تصحيح مسارك.
.3تهوين مصائب الدنيا: إذا علمت أن الفصل الحقيقي يوم القيامة، هانت عليك فُرقة الدنيا .قد تفارق قريباً لك في الدنيا بسبب الدين، لكن تذكر أن اللقاء الحقيقي للمؤمنين في الجنة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1محاسبة النفس على العلاقات: أي علاقة أقامها المسلم ستخضع للفصل الإلهي يوم القيامة . فليحرص على أن تكون كل علاقاته لله، وفي الله، وعلى مرضاته.
.2فهم حقيقة "الشفاعة": لا تظن أن قريبك الكافر سيشفع لك، أو أن والدك سيقدم لك حماية .الأمر لله وحده، والشفاعة بإذنه، ولا شفاعة لمن مات كافراً.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1تقديم الآخرة على الدنيا في التربية: رب أولادك على أن الآخرة هي دار القرار، وأن الدنيا مجرد ممر .علمهم أن كل علاقة لا تكون لله فهي خاسرة.
.2الاستغفار من العلاقات المحرمة: إن كنت قد أقامت علاقة مع قريب على حساب دينك، فتب إلى الله، واستغفره، واصلح ما بينك وبينه في حدود الله.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1تجديد النية في كل علاقة: اجعل نيتك خالصة لله في كل علاقة تقيمها مع أقاربك وأولادك .إن كانوا مؤمنين، فنيتك التواصل والبر في الله .وإن كانوا كافرين، فنيتك دعوتهم إلى الله، لا موالاتهم على الباطل.
.2التزود بالعمل الصالح: القرابات والأموال والأولاد لا تنفع بغير إيمان .زود نفسك بالعمل الصالح الذي ينفعك يوم يفصل الله بينك وبينهم.

الأمر السادس: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

.1ماذا تفعل هذه الآية بالمؤمن؟

هذه الخاتمة المزلزلة تردع المؤمن عن المخالفة الخفية والظاهرة .إن كنت تظن أن أحداً لا يراك في خلواتك، أو أن قلبك مخبوء عن الناس، فالله يراه .تذكر: "والله بما تعملون بصير" .هو البصير الذي لا تخفى عليه خافية، الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

.2لماذا ختمت الآية بهذا الاسم الكريم؟

لأن الآيات السابقة تحدثت عن أعمال خفية: المودة السرية، وإظهار خلاف الإبطان، والموالاة الخفية . فكان ختام الآية بصفة "البصير" التي تشمل رؤية الظواهر والبواطن، ليكون تذكيراً للمؤمن أن الله يرى سره وعلنه، فلا يفعل ما يغضبه في خفاء.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1المراقبة الذاتية) الاستحياء من الله(: أن تراقب الله حتى في خلواتك ونواياك .أن تستحي من الله أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.
.2القناعة بأن الله لا يُخدع: لا تظن أنك تخادع الله، أو أن الناس يخفون عليك أمرك .الله يعلم، وهو بصير، وهو مجازيك.
.3الطمأنينة لمن أخلص: من أخلص لله في سريرته وعلانيته، يطمئن أنه عند الله بمكان .لا يهمه ما يراه الناس، لأنه يعلم أن الله البصير يرى إخلاصه.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1البصيرة في الذات: أن تعلم أن كل شيء - للعلن والسر - واقع تحت سمع الله وبصره .فكر بعقلك: كيف تخادع من لا تخفى عليه خافية؟
.2وحدة المرجعية: الله هو الحكم الوحيد على الأعمال .لا تخضع في سلوكك لمراقبة الناس فقط، بل اخضع لمراقبة البصير الذي لا يغفل.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1إصلاح السريرة قبل الظاهر: قبل أن تصلح ظاهرك أمام الناس، أصلح باطنك الذي يراه الله . السريرة الفاسدة تفسد العمل الصالح.
.2تعليم المراقبة للأبناء: رب أولادك على مراقبة الله في كل أحوالهم .علمهم أن الله يراهم في لعبهم ، في دراستهم، في علاقاتهم، في وحدتهم.
.3التربية على الإخلاص: الاسم "البصير" يربي في النفس الإخلاص .من يعلم أن الله يرى نيته، لا يعمل إلا له.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1مراجعة النوايا قبل كل عمل: في كل عمل تقوم به، اسأل نفسك: "هل هذا يرضي البصير؟ هل يراني الله على حالة أحبها أم يكرهها؟".
.2التوبة الصادقة من الخفايا: إن كنت قد أسررت بمودة لأعداء الله في قلبك، أو نافقت في علاقاتك ، فتب إلى الله البصير الذي يعلم ما أخفيت، واعزم ألا تعود.
.3الاستقامة الدائمة: اجعل حياتك كلها تحت رقابة البصير .لا تسمح لنفسك بلحظة غفلة عن الله . استقم في السر والعلن.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيتين

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هاتان الآيتان؟

بعد كل هذا التحليل، هاتان الآيتان تريدان منك:

.1أن تتخلى عن وهم المودة المتبادلة مع أعداء الله – فالعداوة هي أصلهم، واللطف الظاهر هو الا ستثناء المؤقت الذي يزول عند أول فرصة.
.2ألا تجعل خوفك على أهلك وأولادك عذراً لخيانة الله – فخوف الله مقدم على خوفهم، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
.3أن تعلم أن الصراع بينك وبينهم فكري وعقائدي – يتمنون كفرك، فلا تحسن الظن بهم، ولا تظن أنهم يريدون لك الخير.

.4الاستعداد للفصل الأكبر يوم القيامة – يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . العمل اليوم هو ما ينفع غداً.
.5مراقبة الله في العلن والسر – فهو البصير بما تعملون، وهو المجازي على كل صغيرة وكبيرة.

الأمر الثاني: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر) المحور التأسيسي(:

.1درس "طبيعة العدو": لا تنخدع بأن العدو سيصبح صديقاً بالمداهنة والإحسان .طبيعته العداوة، وسيظهرها عند أول فرصة.
.2درس "أولوية الله على كل أحد": لا تتعلق بأحد تعلقاً يجعلك تتنازل عن دينك، مهما كان قريباً . الله أولى بالحب والخوف والرجاء.
.3درس "النظر إلى العواقب الأخروية": الموازين الحقيقية يوم القيامة، لا اليوم .ما يبدو اليوم ربحاً)سلامة دنيوية، منفعة، جاه (قد يكون خسارة كبرى في الآخرة.
.4درس "الفصل بين المحبة والمصالح": لا بأس بالمصالح المشروعة مع المخالفين) تجارة، تعاون مهني(، لكن بشرط ألا تصل إلى مودة قلبية أو موالاة تناقض الإيمان.
.5درس "مراقبة الله الدائمة": أن تعيش بتقوى الله في السر والعلن، وأن تعلم أنه بصير بأعمالك، فلا تقدم على ما يغضبه.

التطبيقات العملية) كيف تعيش هذه الدروس(:

التطبيق(1) : مع الوالدين غير المسلمين

· لا تطع والديك في معصية الله .برهما في غير المعصية، أما إذا أمراك بترك دينك أو فعل حرام، ف لا تطعهما.
· لا توالِ أقاربهما الكفار من أجلهما؛ فأنت مسؤول عن دينك أولا ً.
· ادعهما إلى الله بالحكمة، واصبر على دعوتك، ولا تيأس.

التطبيق(2) : في الصداقات والعلاقات الاجتماعية

· اختر أصدقاءك على أساس الدين والتقوى، وليس على أساس المصلحة أو القرابة فقط.
· لا تجامل صديقاً - ولو كان قريباً - على حساب دينك .قل له: "لا أستطيع أن أفعل هذا لأنه يغضب الله".

التطبيق(3) : في التربية والتعليم

· رب أولادك على أن الله يراهم ويعلم أسرارهم .علمهم ألا يفعلوا شيئاً يغضب الله في السر والعلن.
· ربهم على أن الآخرة خير من الدنيا، وأن الأهل والمال لا ينفعون بغير إيمان.

التطبيق(4) : في القيادة والمسؤولية

· إذا كنت قائداً في مجتمعك أو عملك، لا تجامل أتباعك إذا كانوا على باطل .اجعل دينك بوصلتك، ورضا الله هدفك.
· كن قدوة في الثبات على الحق، ولو تخلى عنك الناس.

الأمر الثالث: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآيتين

المهارات الحياتية:

.1مهارة التمييز بين الود الظاهر والعداوة الباطنة: أن تقرأ الناس من أفعالهم لا من كلامهم فقط .أن تعرف أن من يبتسم في وجهك قد يكون عدواً في قلبه.
.2مهارة ضبط الخوف العاطفي: ألا تخاف على أهلك وأولادك خوفاً يدفعك إلى التنازل عن دينك .أن تقدم خوف الله على كل خوف.
.3مهارة إدارة العلاقات مع المخالفين: أن تتعامل معهم ببر وعدل في غير المودة القلبية، وأن تضبط حدود العلاقة.

المهارات المعرفية:

.1مهارة تحليل العلاقات وفق المصلحة الأخروية: ألا تنظر للعلاقات من منظور المنفعة العاجلة فقط، بل من منظور ماذا سينتج عنها يوم القيامة.
.2مهارة إدراك فقه المآلات في موالاة الأعداء: أن تتخيل عواقب موالاة الكفار على المدى البعيد، دينياً ودنيوياً.
.3مهارة استحضار البصيرة الإلهية: أن تعيش في وعي دائم بأن الله يراك ويعلم ما تخفي وما تعلن.

المهارات العملية:

.1مهارة ترتيب الأولويات: أن ترتب علاقاتك وأهدافك بحيث يكون الله ورسوله والمؤمنون في القمة، ثم الأهل، ثم المصالح.
.2مهارة إدارة الضغوط الأسرية دون تفريط: أن تصمد أمام ضغوط أهلك لترك الدين، دون أن تقطع صلتها بهم في غير معصية.
.3مهارة قول "لا" بوضوح وحزم: أن تدرب لسانك على رفض أي طلب يتعارض مع دينك، حتى لو كان من أقرب الناس.

الأمر الرابع: كيف تعمق أثر الآيتين في حياتك العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "دائرة العلاقات" - تحليل وتصنيف

اجلس مع نفسك، وارسم على ورقة ثلاث دوائر:

· الدائرة الأولى: من تمنحهم مودتك القلبية وثقتك الكاملة .يجب ألا يكون في هذه الدائرة إلا المؤمنون الصادقون الذين يشاركونك هم الإيمان.
· الدائرة الثانية: من تتعامل معهم بعدل وبر، ولكن دون مودة قلبية .هؤلاء هم غير المحاربين من المخالفين.
· الدائرة الثالثة: من تحذرهم وتتوقع أذاهم .هؤلاء هم أعداء الدين المحاربون.

ثم راجع: هل وضعت أحداً في غير موضعه؟

الاستراتيجية الثانية: "التدريب على قول لا" للأهل

تدرب على قول "لا" لأقاربك إذا دعوك إلى معصية الله .ابدأ بمواقف صغيرة، ثم انتقل إلى الكبيرة.

مثال: إذا طلب منك والدك أن تشرب معه الخمر، قل: "أبي الحبيب، لا أستطيع أن أعصي الله من أجلك .أنا أحبك، لكن الله أحق بالطاعة".

الاستراتيجية الثالثة: "التأمل اليومي في خاتمة الآية"

اجعل لنفسك ورداً يومياً: كل ليلة قبل النوم، تذكر: "والله بما تعملون بصير" .ثم اسأل نفسك:

· هل اليوم أحببت من لا يحب الله؟
· هل اليوم واليت من يعادي الله؟
· هل اليوم قدمت خوف أحد على خوف الله؟
· هل اليوم تملقت من أجل مصلحة على حساب ديني؟

ثم تب إلى الله واستغفره إن كان هناك خلل.

الاستراتيجية الرابعة: "تخيل مشهد الفصل يوم القيامة"

أغمض عينيك وتخيل يوم القيامة .ترى أهلك وأولادك وأقاربك الكفار في صف، وأنت في صف آخر . ينادي مناد: اليوم يفصل بينكم .لا تجمعكم دار .فماذا ستفعل الآن في هذه الدنيا قبل أن يحين ذلك اليوم؟

هذا التخيل سيدفعك إلى تصحيح مسارك اليوم.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيتين

البعد العقدي: تثبيت قاعدة "العداوة بين الإيمان والكفر" في قلوب المؤمنين، وقطع الطريق على دعوات "التعايش" التي تذيب الهوية.

البعد النفسي: تطهير القلب من المودة والولاء للكافرين المحاربين، وتحريره من خوف الأهل والولد.

البعد الاجتماعي: حماية المجتمع المسلم من اختراق الأعداء عبر عواطف القرابات والمصاهرة.

البعد التربوي: تعليم الأجيال أن لا يقدموا أي شيء على دينهم، لا الأهل ولا المال ولا الجاه.

البعد الأخروي: ربط العمل بالجزاء في الآخرة، وقطع التعلق بالأسباب الدنيوية.

البعد السياسي: رسم حدود العلاقات الدولية للمسلمين مع أعداء الدين.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآيتان

في نفس المسلم:

.1قيمة اليقظة والبصيرة: ألا يغتر المؤمن بالمظاهر، وأن يقرأ نوايا الناس من أفعالهم.
.2قيمة التجرد لله: أن يقدم رضا الله على رضا الأهل والأولاد، وأن لا يخون الله من أجل أحد.
.3قيمة المراقبة الذاتية: استشعار "والله بما تعملون بصير" في كل لحظة.
.4قيمة الصبر والثبات: الصبر على فراق الأهل في الله، والثبات على الحق.

في المجتمع المسلم:

.1قيمة التماسك والولاء الداخلي: ألا يخترق العدو المجتمع المسلم عبر عواطف الأفراد.
.2قيمة الوعي الاستراتيجي: معرفة حقيقة العدو، وعدم الركون إليه أو الاغترار بمظاهره.
.3قيمة تقديم المصلحة العامة على الخاصة: ألا يضحي المجتمع بأمنه من أجل سلامة فرد أو أسرة.

في الدولة المسلمة:

.1قيمة السيادة والاستقلالية: ألا تتبع الدولة أعداء الدين، ولا تخضع لأجنداتهم.
.2قيمة الأمن القومي: حماية أسرار الدولة ومجتمعها من أعين الأعداء.
.3قيمة العدل في العلاقات الدولية: تطبيق العدل والقسط مع من لم يقاتل، والحذر من موالاة من يقاتل.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآيتين

.1مفهوم "العدو الفطري": أن عداوة الكفار للإيمان ليست عارضة، بل هي جزء من هويتهم ما لم يسلموا.
.2مفهوم "الفصل بين الدرجات": التمييز بين من لم يقاتلك في الدين) يُبَرُّ ويُقسَط (وبين من قاتلك)لا تُوالى ولا تود.(
.3مفهوم "سقوط الأعذار": أن القرابة والبنوة ليست عذراً في موالاة الكفار.
.4مفهوم "البصيرة الإلهية": أن الله يرى السرائر، فلا ينفع إخفاء المودة عنه.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآيتين

المفاهيم النفسية:

· اليقظة الدائمة: عدم الغفلة عن كيد العدو.
· التحرر من الخوف العاطفي: الخوف من الأهل يجب ألا يطغى على الخوف من الله.
· الطمأنينة في الله: من خاف الله أمنه من كل شيء.

المفاهيم الفكرية:

· البصيرة في قراءة العلاقات: تحليل علاقاتك بناءً على الثوابت لا على العواطف.
· الاستقلالية الفكرية: عدم التبعية لأهل أو مجتمع في قضايا العقيدة.
· الأولوية الأخروية: تقدير المكاسب والخسائر بميزان الآخرة.

المفاهيم التربوية:

· التربية على الثبات: مهما كانت الضغوط الأسرية، يظل الدين هو الثابت.
· التربية على الولاء: الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من أعدائهم.
· التربية على المراقبة: تعليم الأبناء أن الله يراهم في كل أحوالهم.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

الآيتان تقدم مفاهيم جوهرية لبناء الفرد والمجتمع:

.1بناء الفرد على أساس العقيدة: لا على أساس الانتماءات القبلية أو الأسرية .الفرد المؤمن هو من يضع الله فوق كل اعتبار.
.2تنمية الوعي الأمني: الوعي بطبيعة العدو وخططه، والوعي بأساليب الاختراق النفسي والعاطفي.
.3تطوير المناعة الفكرية والوجدانية: حماية النفس والمجتمع من الغزو الفكري الذي يأتي بثياب "التسامح" و"التعايش" المطلق.
.4بناء المجتمع على الإخاء الإيماني: العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم أقوى من علاقات الدم و النسب إذا تعارضت مع الإيمان.

الأمر السادس: دور الآيتين في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

هاتان الآيتان تعيدان تشكيل المسلم من الداخل:

إعادة التشكيل الذهني) بناء المرجعية الواحدة(:

· قبل الآيتين: قد يكون ذهن المسلم مشتتاً بين حب أهله وحب ربه.
· بعد الآيتين: يصبح الله هو المرجعية الوحيدة، وكل حب دونه مشروط.

إعادة التشكيل النفسي) تحقيق التحرر من الخوف(:

· قبل الآيتين: الخوف من الأهل والأولاد يثقل كاهله، فيتردد في نصرة الحق.
· بعد الآيتين: يتحرر من هذا الخوف، ويعلم أن الله هو الحافظ الناصر.

إعادة التشكيل العاطفي) تهذيب القلب(:

· قبل الآيتين: عواطفه قد تندفع نحو أقاربه الكفار، فيواليهم ويحسن ظنه بهم.
· بعد الآيتين: عواطفه موجهة لله وللمؤمنين، ويتعامل مع الكفار المحاربين بحذر وواقعية.

إعادة التشكيل الفكري) الوضوح الاستراتيجي(:

· قبل الآيتين: رؤيته ضبابية، يخلط بين من يعاديه في الفكر ومن يختلف معه في الرأي.
· بعد الآيتين: رؤيته واضحة: هناك عداء عقدي لا بد من استيعابه.

الصورة التي يريدها الله منك) المؤمن الرباني(:

من خلال هاتين الآيتين، يريد الله أن تكون إنساناً:

.1واقعياً: لا تعيش في أوهام الصداقة مع الأعداء.
.2حراً: لا تخضع لضغوط الأهل والأولاد في دينك.
.3بصيراً: ترى حقيقة الناس من وراء أقنعتهم.
.4ثابتاً: لا تهتز مواقفك أمام أي تهديد أو إغراء.
.5مراقباً لله: تستشعر دائماً أن الله بصير بما تعمل.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

والآن ...بعد كل هذه الكلمات، وبعد كل هذه التفاصيل...

دعني أتحدث إليك من أعماق قلبي.

أنت ...يا من تخاف على أهلك ...يا من تريد أن ترضي أقاربك ...يا من يخفق قلبك حباً لأولادك...

اسمعني جيداً.

هذه الآيات نزلت لتحررك .لتخرجك من سجن الخوف من الناس .لتقطع عنك سلاسل التبعية العاطفية التي تمنعك من أن تكون عبداً لله وحده.

أنت تحب أهلك، وأنا أعرف ذلك .ولكن هل تعلم من أحق بالحب؟

الله .هو الذي خلقك، رزقك، هداك، غفر لك، ستر عليك .هو الذي أطعمك وسقاك، وشفاك إذا مرضت، وأغناك إذا افتقرت .فكيف تقدم عليه أحداً؟

وأنت تخاف على أهلك، وأنا أعرف ذلك .ولكن هل تعلم من أحق بالخوف؟

الله .هو الذي بيده أمنهم وخوفهم، هو الذي يستطيع أن يحميهم أو يخذلهم .من خاف الله أمنه الله في أهله .ومن قدم خوف الناس على خوف الله، وكله الله إلى نفسه.

أنت تتمنى سلامتهم، وأنا أعرف ذلك .ولكن هل تعلم أن سلامتهم الحقيقية ليست في بدنهم، بل في دينهم؟

أمانيهم الحقيقية أن يسلموا، لا أن يعيشوا طويلا ً على الكفر .قد تطيل أعمارهم وهم كفار، فتطول حسرتهم في النار .لا تفرح بسلامتهم الظاهرية إذا كانت آخرتهم في خطر.

وأنت تحسن الظن بهم، وأنا أعرف ذلك .ولكن هل قرأت الآية؟

"إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء" .مهما أبدوا من ود، ومهما أظهروا من محبة، فإن الحقيقة أنهم أعداء . قد لا يظهرونها اليوم، لكن غداً - عندما تسنح الفرصة - سيفعلون .لا تخدع نفسك.

وأنت تظن أن قرابتك منهم ستشفع لك، وأنا أعرف ذلك .ولكن هل تذكر الآية؟

"لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة" .يوم القيامة، سينفصل المؤمن عن الكافر، حتى لو كان أباه أو ابنه .يوم القيامة، لا أنساب بينهم .يوم القيامة، كل يلقى ما قدم.

فماذا أنت فاعل الآن؟

ستبقى خائفاً منهم، أم ستخاف الله؟
ستبقى تطلب رضاهم، أم ستطلب رضا الله؟
ستبقى تعلق قلبك بهم، أم ستعلقه بالله؟
ستبقى تراهن على سلامتهم الدنيوية، أم تراهن على آخرتك؟

اختر اليوم ...قبل أن يفوت الأوان.

والله بما تعملون بصير .يراك الآن .يرى دموع عينيك، ويرى خفقات قلبك، ويرى ما تهمس به نفسك.

فلا تخادع الله .لا تخف منه، بل ارجع إليه.

تب إليه مما كان من موالاة خفية، مما كان من خوف زائد، مما كان من تعلق مذموم.

وقل له من أعماق قلبك:

"ربي، أنت ربي، لا إله إلا أنت .ربي، إني ظلمت نفسي، ووواليت من لا يحبك، وخفت من لا يملك لي نفعاً ولا ضراً .ربي، تب علي، واغفر لي، وثبتني على دينك .ربي، اجعل حبك أغلى عندي من كل أحد، وخوفك أشد في قلبي من كل شيء .ربي، أخرجن من أوهام المودة مع أعدائك، واهدني إلى سواء السبيل .ربي، أنت بصير بما أعمل، فاهدني لأحسن الأعمال، واصرف عني سيئها .آمين".

والآن ...قم، وتوضأ، وصل ركعتين، وجدد عهدك مع الله.

قل: اللهم إني أسألك الثبات على الحق، والبصيرة في الدين، والصدق في السر والعلن.

والله معك ...وهو بصير بما تعمل، سيحفظك ويثبتك إذا صدقت معه.

القسم الثانى

المبحث الأول

تفسير الآية الرابعة من سورة الممتحنة

﴿قَدْ كانتْ لكمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ وَالذِينَ مَعَهُ إذْ قَالوا لِقَوْمِهِمْ إنا بُرَآءُ مِنْكمْ وَمِمَا تعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كفَرْنَا بِكمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إلا قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَنَا عَلَيْكَ تَوَكلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾

أولا ً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من تبحث عن قدوة تسير على خطاها، يا من تريد أن ترى الإسلام تطبيقاً عملياً لا مجرد نظريات تتردد على الألسنة...

بعد أن سمعت في الآيات السابقة تحذيرات الله الشديدة من موالاة أعدائه، وبعد أن رأيت كيف أنهم - إن سنحت لهم الفرصة - يبسطون أيديهم وألسنتهم بالسوء، وكيف أن الأرحام والأولاد لن تنفع يوم القيامة... قد يثور في نفسك سؤال حائر: "كيف أعيش هذا المبدأ في واقعي؟ من أين أستمد القوة لأ طبقه عملياً؟ ومن لي بقدوة عملية تحتذي؟"

هنا تأتي هذه الآية العظيمة لترسم لك نموذجاً عملياً حياً، لتقدم لك أسوة حسنة تتجسد في شخصين عظيمين وخالدين: أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام - خليل الرحمن - والذين معه من المؤمنين الصادقين.

تأمل معي... إبراهيم الخليل، الذي حطم الأصنام بيده، وقارع النمرود بقلبه ولسانه، وألقي في النار فكانت برداً وسلاماً. إبراهيم الذي قال لأبيه وقومه بكل شجاعة ووضوح لا يقبلان التأويل: ﴿إنا بُرَآءُ مِنْكمْ وَمِمَا تعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾. هذا هو النموذج الذي أمرك الله أن تقتدي به، وأن تجعله نصب عينيك.

ولكن... هناك استثناء واحد دقيق: استغفار إبراهيم لأبيه. لم يقل الله لنا أن نقتدي به في هذا الفعل بالذات، لأن إبراهيم فعل ذلك قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله. فلما تبين له الحقيقة، تبرأ منه وأعلن براءته.

إذن، الآية تقدم لك نموذجاً كاملا ً متكاملا ً للبراءة من المشركين ومن آلهتهم، مع استثناء دقيق وحساس لا ينبغي أن يُفهم خطأً، لئلا يظن ظان أن البراءة تعني قطيعة الأرحام بلا ضوابط.

تعال... لنغوص معاً في بحر هذه الآية العظيمة، لنجد فيها القدوة الحسنة التي تحتاجها في زمن كثرت فيه الشبهات، وضعفت فيه العزائم، واختلطت فيه المفاهيم، وتاهت فيه البوصلة بين من والى

ومن عادى.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

هذه الآية العظيمة تأتي لتعالج في نفسك وفي واقعك قضايا جوهرية وعميقة، لم تتعرض لها الآيات السابقة بنفس هذا التفصيل:

القضية الأولى: الحاجة الملحة إلى نموذج عملي وقدوة حية

الناس بطبعهم وفطرتهم يتعلمون بالمشاهدة والرؤية أكثر بكثير مما يتعلمون بالنظريات المجردة والأ وامر والنواهي الجافة. بعد أن نزلت الآيات السابقة بالأوامر والنواهي التحذيرية، جاءت هذه الآية لتقول لك: "ليس الأمر مجرد نظريات تسمعها، انظروا بعيونكم إلى إبراهيم ومن معه، كيف فعلوا؟ كيف تبرؤوا؟ كيف أعلنوا العداوة؟ كيف واجهوا قومهم؟". هذه القضية تذكر بأهمية القصص القرآني وأهمية القدوة العملية في التربية والتغيير.

القضية الثانية: تحديد طبيعة العلاقة مع المشركين (البراءة الصريحة)

الآية تُرسي قاعدة عقدية كبرى من قواعد التوحيد العملي: البراءة من المشركين ومن آلهتهم ومن كل ما يعبدون من دون الله. وهذه ليست مجرد براءة قلبية خفية، بل هي براءة تعلن وتشهر وتمارس. ليست مجرد ترك للموالاة والمودة، بل إعلان صريح: "إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله". هذه القضية تخرج المسلم من دائرة "المسالمة السلبية" إلى دائرة "الموقف الإيجابي الواضح".

القضية الثالثة: العداوة والبغضاء كمنهج ثابت لا مؤقت

الآية تعلن أن العداوة والبغضاء بين المؤمنين والكافرين ليست عارضة أو مؤقتة أو ظرفية، بل هي "أبداً" مستمرة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وهذا يربك كثيراً من دعاة "الحب للجميع بلا تمييز" و"التسامح المطلق" الذين يروجون لذوبان الهويات، ويؤكد أن الصراع بين الحق والباطل مستمر لا ينقطع، وأن المؤمن لا بد أن يكون له موقف واضح.

القضية الرابعة: استثناء استغفار إبراهيم لأبيه (ضبط المواقف مع الأقارب)

ليس كل ما فعله إبراهيم يقتدى به، فقد استثنى الله من الأسوة الحسنة قول إبراهيم لأبيه "لأ ستغفرن لك". لماذا؟ لأن استغفاره لأبيه كان قبل أن يتبين له أنه عدو لله، فلما تبين له تبرأ منه. هذا الاستثناء يفتح باباً مهماً جداً في التطبيق العملي: كيف نتعامل مع الأقارب غير المؤمنين قبل أن يتبين لنا إصرارهم وعنادهم، وكيف يكون الموقف بعد التبين؟ هذه القضية تحل إشكالية كبيرة يعاني منها كثير من المسلمين.

القضية الخامسة: التوكل والإنابة والمصير كبديل للتعلق بالخلق

الآية لا تتركك في فراغ بعد أن أمرتك بالتبرؤ من الخلق، بل تختتم بتوجيه القلب والعقل والروح إلى الله وحده: "ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير". هذا تحويل للطاقة العاطفية والفكرية و الروحية من الخلق إلى الخالق. بعد البراءة من الكفار، لا بد من التعلق بـالله وبالإنابة إليه وبالتوكل عليه وبذكر المصير.

القضية السادسة: التفريق الواضح بين "العدل والإحسان" و"الموالاة والمودة"

استغفار إبراهيم لأبيه - في مرحلته الأولى - قد يظنه بعض الناس نوعاً من المودة القلبية أو الموالاة، لكنه لم يكن كذلك، بل كان دعوة ورحمةً وشفقةً ورجاءَ هداية. هذا يفرق بشكل واضح بين التعامل ا لإنساني (البر والإحسان والدعوة بالحكمة) وبين المودة القلبية والموالاة الدينية.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله منك تحديداً من خلال هذه الآية العظيمة؟ دعني أعددها لك بالتفصيل:

الهدف الأول: توفير نموذج عملي حي يحتذى

يريد الله ألا تبقى تعاليم الدين وتوجيهاته مجرد كلمات في الكتب أو خطب على المنابر، بل أن تراها متجسدة واقعية في أنبيائه وصالح عباده. إبراهيم هو "أبو الأنبياء" و"خليل الرحمن" وأسوتك في البراءة من الشرك وأهله، وفي إعلان الحق، وفي التضحية، وفي التوكل.

الهدف الثاني: ترسيخ مبدأ "البراءة من الشرك وأهله" كأصل من أصول التوحيد

هذا المبدأ هو روح التوحيد ولبابه. لا يكتمل إيمانك بأن "لا إله إلا الله" حتى تبرأ قلباً وقالباً من كل ما يعبد من دون الله، ومن أهله وعابديه. الآية تريد أن تجعل هذه البراءة شعوراً داخلياً وإعلاناً خارجياً وسلوكاً عملياً.

الهدف الثالث: تحديد أمد العداوة والبغضاء (حتى الإيمان)

العداوة والبغضاء المعلنة بين المؤمنين والكافرين ليست أبدية بمعنى أنها لا تنتهي أبداً مهما حدث، بل تنتهي وتتحول إلى محبة وأخوة إذا آمن الكفار بالله وحده. هذا الهدف يفتح باب الأمل في هداية المخالفين، لكنه في نفس الوقت يمنع من إلقاء المودة قبل الإيمان.

الهدف الرابع: تعليم التوازن الدقيق في التعامل مع الأقارب الكفار

من خلال استثناء استغفار إبراهيم لأبيه، يعلمك الله عز وجل كيف تتعامل مع والديك أو أقاربك الكفار: تدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحسن إليهم وتبرهم، وتستغفر لهم راجياً هدايتهم، ما لم يتبين لك إصرارهم على الكفر وعداوتهم لله. فإذا تبين لك ذلك، تبرأ منهم وأعلنت براءتهم.

الهدف الخامس: توجيه التوكل والإنابة إلى الله وحده بعد التبرؤ من الخلق

بعد أن تبرأت من الكفار وقطعت علاقات التبعية القلبية معهم، لا تبقَ في فراغ روحي ونفسي. أنت بحاجة ماسة إلى من تتوكل عليه وتنيب إليه وتلجأ إليه. هذا الهدف يملأ قلبك طمأنينة وقوة وعزة.

الهدف السادس: رفع الهمة والطموح إلى أعلى درجة (الأسوة بالأنبياء)

ليس المطلوب منك أن تكون قدوة للناس فقط، بل المطلوب منك أن تقتدي بالأنبياء والصالحين. هذا يرفع سقف الطموح والتحدي في حياتك، ويذكرك أن القدوة الحقيقية الكاملة ليست في البشر العاديين المعاصرين، بل في رسل الله وأنبيائه.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

التفسير الميسر (بأسلوب تفصيلي شامل)

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾

"قَدْ كَانَتْ" تفيد التحقيق والتوكيد، بمعنى أنه أمر ثابت لا شك فيه. "أُسْوَةٌ" - بضم الهمزة وكسرها - هي القدوة والمثال والموقف الذي يحتذى ويُقتدى به. "حَسَنَةٌ" أي كاملة جميلة في بابها، جامعة لصفات الخير والصلاح والعزة والثبات. "فِي إِبْرَاهِيمَ" أبو الأنبياء وخليل الرحمن، الذي فضله الله على الناس أجمعين. "وَالَّذِينَ مَعَهُ" أي المؤمنون الذين آمنوا معه واتبعوه، كإسماعيل وإسحاق ولوط ويعقوب والأسباط ومن تبعهم بإحسان.

أي: لقد كان لكم - أيها المؤمنون المخاطبون - قدوة حسنة كاملة جامعة في إبراهيم ومن آمن معه، في صفاتهم وأقوالهم وأفعالهم ومواقفهم، وخصوصاً في موقفهم الحاسم من قومهم المشركين.

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

"إِذْ قَالُوا" حين قالوا في موقف مشهود ومعلوم. "لِقَوْمِهِمْ" لقومهم الكافرين الذين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان. "إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ" نحن متبرؤون منكم، مقطوعو الصلة والولاء والمحبة معكم من ناحية الدين والاعتقاد. "وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ" ونحن متبرؤون أيضاً من آلهتكم الباطلة: الأصنام والأوثان و الصلبان والكواكب والأحجار والأشجار والملائكة والأنبياء... كل ما تعبدونه من دون الله فهو باطل، ونحن منه برآء.

هذا إعلان صريح حاسم بالبراءة، ليس فقط من الأشخاص المشركين، بل من معتقداتهم الباطلة وآلهتهم الزائفة.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾

جاءوا بصيغة المبالغة في التبرؤ والإنكار: ليس فقط أنكرناكم وأبغضناكم وتبنا منكم، بل "كفرنا بكم" أي جحدنا دينكم وطريقتكم ومعتقداتكم، وأظهرنا أنكم على باطل، وأعلنا إفلاسكم عقدياً.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾

"وَبَدَا" ظهر واتضح واستبان وصار أمراً مشهوداً لا يمكن إنكاره. "الْعَدَاوَةُ" في الأفعال والمواقف الخارجية (نحن نعاديكم عملياً). "وَالْبَغْضَاءُ" في القلوب والمشاعر الداخلية (نحن نبغضكم قلبياً). "أَبَدًا" أي مستمرة ودائمة غير منقطعة، مدى الحياة وطالما أنتم على كفركم. "حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ" غاية هذه العداوة والبغضاء هي إيمانكم بالله وحده، فإذا آمنتم انتهت العداوة وتحولت إلى محبة وأخوة ومودة.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾

هذا استثناء مهم من الأسوة الحسنة: لا تتبعوا إبراهيم في هذا القول الذي قاله لأبيه: "لأستغفرن لك". فإن إبراهيم قال ذلك عن موعدة وعدها إياه، قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله. فلما تبين له ذلك، تبرأ منه ولم يستغفر له. فلا تظنوا أن هذا الفعل من إبراهيم مشروع لكم ولأقاربكم الكفار بعد التبين.

﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾

هذا جزء من قول إبراهيم لأبيه: إني لا أملك لك من الله شيئاً، لا دفع عذاب ولا جلب نفع ولا مغفرة ولا رحمة. الاستغفار الذي وعدتك به هو دعاء ورجاء وطلب، ليس بضمان ولا حتم. فأنت نفسك - يا أبتِ - بين يدي الله، وهو الذي يملك لك الضر والنفع.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

هذا دعاء إبراهيم ومن معه بعد براءتهم من الكفار وآلهتهم. "رَبَّنَا" إقرار بالربوبية والألوهية، وهي شهادة أن الله هو المربي المالك المدبر الخالق الرازق. "عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا" اعتمدنا عليك وحدك وألقينا بأمورنا كلها إليك، ولم نكل أنفسنا إلى غيرك، ولم نعتمد على قوتنا ولا على نصر أحد من الخلق. "وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا" رجعنا إليك بالتوبة والطاعة والإخلاص والإنابة، وقطعنا قلوبنا عمن سواك، وأقبلنا عليك بكل جوارحنا. "وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" المرجع والمنقلب والمآب يوم القيامة، فاجزنا بما أنت أهله، واحكم بيننا وبين قومنا، فأنت خير الحاكمين.

المعنى العملي للآية – كيف تعيشها في واقعك اليومي؟

تطبيق عملي (1): عندما يُطلب منك التخلي عن دينك من أجل أحد

قد يطلب منك أقاربك أو زملاؤك أو مجتمعك أو رئيسك في العمل أن تتخلى عن بعض مظاهر دينك الظاهرة: "احلق لحيتك"، "اخلع حجابك"، "شاركنا في احتفالاتنا وأعيادنا"، "سلم على الأصنام والأوثان احتراماً وتوددا"، "اكتم إيمانك ولا تظهره حتى لا تحرجنا".

هنا تذكر قول الله: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم". إبراهيم لم يتنازل عن دينه لأجل أحد، ولم يمدح آلهة قومه مجاملة، ولم يشاركهم في احتفالا تهم الشركية. فكن مثله.

تطبيق عملي (2): عندما تزين لك نفسك وشيطانك محبة من يعادي الله

قد تشعر بمشاعر إعجاب أو مودة أو استلطاف لشخص مشهور أو قريب أو صديق يعادي الإسلام ويسخر من مقدساته ويحارب أهله، وذلك بسبب لطفه الظاهري أو ماله أو جمال صورته أو منصبه أو ثقافته.

قل لنفسك بكل حزم: إبراهيم أعلن البراءة والعداوة والبغضاء "أبداً". هذه المشاعر التي أشعر بها لا تليق بمؤمن يقتدي بإبراهيم. اقطع هذه المشاعر من جذورها.

تطبيق عملي (3): في التعامل مع الأقارب غير المسلمين (قبل تبين عنادهم)

كما فعل إبراهيم مع أبيه قبل أن يتبين له أنه عدو لله، يمكنك أن تتعامل مع أقاربك غير المسلمين ببر وإحسان ورحمة، وتدعوهم إلى الله بالحكمة، وتستغفر لهم راجياً هدايتهم، وتحسن إليهم وتصل رحمهم. هذا ليس من المودة القلبية والموالاة الدينية، بل هو من البر والإحسان والدعوة.

تطبيق عملي (4): بعد أن يتبين لك عناد قريبك وإصراره على الكفر والعداوة

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله (عند الموت أو عند اليأس من إيمانه)، تبرأ منه وأعلن براءته منه، ولم يعد يستغفر له. أنت أيضاً: إذا أصر قريبك على محاربة دينك والطعن فيه والاستهزاء به، وأغلقت أمامه كل سبل الدعوة، فعليك أن تعلن البراءة منه قلباً وقالباً، وإن بقيت صلة الرحم بالأحسن والأدب والإحسان دون مودة قلبية ودون موالاة دينية.

تطبيق عملي (5): في لحظات الضعف والخوف والفزع

عندما تخشى بطش الأعداء، أو تخاف على رزقك أو أهلك أو مستقبلك، أو تشعر بالوحدة بعد التبرؤ من الكفار، تذكر دعاء إبراهيم ومن معه: "ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير". إبراهيم ألقي في النار فكانت برداً وسلاماً. توكلك على الله هو قوتك وعزتك وأمنك.

خامساً: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: مفهوم الأسوة الحسنة ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

.1ماذا يعني "أسوة حسنة" في اللغة والاصطلاح؟

المعنى اللغوي: الأسوة - بضم الهمزة وكسرها - هي القدوة والمثال الذي يُقتدى به ويُحتذى. يقال: "ائتسيت به" أي اقتديت به واتبعت فعله. وهي مصدر بمعنى الاقتداء، وسميت أسوة لأن الإنسان يأتسي بصاحبه ويتأسى به.

المعنى الاصطلاحي: هي حالة من الاتباع والاقتداء والاحتذاء بشخص أو مجموعة من الأشخاص في أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم ومواقفهم، مع الإيمان بأنهم على صواب وحق في تلك الأمور التي يُقتدى بها.

لماذا "حَسَنَةٌ"؟ لتمييزها عن الأسوة السيئة التي يندفع إليها الناس بطباعهم الفاسدة. فهناك أسوة سيئة كالاقتداء بالطواغيت والمفسدين والفاسقين والمذنبين وأئمة الكفر والضلال. وأسوة حسنة كالاقتداء بالأ نبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين.

.2لماذا اختار الله إبراهيم تحديداً ليكون أسوة؟

لأن إبراهيم هو نموذج التوحيد الخالص الخالي من أي شائبة: فقد حطم الأصنام بيده، وقارع النمرود بلسانه وقلبه، وخرج من قومه مهاجراً إلى ربه، واختبر بامتحانات عظيمة فخرج منها ناجحاً. وقد أمرنا الله أن نتبع ملته: ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

لأنه جمع بين البراءة الصريحة والعداوة المعلنة والاعتماد الكامل على الله: فهو أبو الأنبياء الذي لم

يخضع لأحد قط، ولم يهادن على دينه، ولم يمدح باطلا ً قط. وهو الذي قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

لأنه الأب الروحي للمؤمنين في كل الأديان السماوية: كل الأديان السماوية الحنيفية تنتمي إليه وتنتسب له. فهو نموذج مشترك للتوحيد الخالص، وأسوة للمسلمين واليهود والنصارى المؤمنين الحقيقيين.

.3ماذا تفعل هذه الآية بالقلب المؤمن؟) التأثيرات النفسية والروحية(

هذه الآية تغرس في نفسك المآثر التالية:

· الطموح العالي والشعور بالقيمة: إذا كان إبراهيم الخليل قدوة لي وأنا مأمور بالاقتداء به، فأنا مدعو لأن أكون عظيماً مثل، وأن أرتفع بنفسي عن صغائر الأمور ودنايا الأخلاق.
· العزيمة والثبات والصلابة: إذا كانت هذه هي صفات الأنبياء - البراءة الواضحة والعداوة المعلنة - فأنا أحاول الاقتراب من هذه الصفات قدر المستطاع.
· الشعور بالانتماء إلى مدرسة النبوة والرسالة: لست وحدك في هذا الطريق. أنت تتبع خطى خليل الله وإمام الحنفاء. هذا يمنحك القوة والثبات.
· التخلص من أوهام "الواقعية" الانبطاحية التي تدعو إلى المساومة والمداهنة: إبراهيم لم يساوم على دينه قط، ولم يهادن على توحيده أبداً، فكيف بي وأنا أتبعه؟

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية (ما يحدث داخل نفسك):

.1رسالة رفع سقف التحدي النفسي وتوسيع دائرة الطموح: عندما تعلم وتتيقن أن أسوتك وقدوتك هو إبراهيم الخليل الذي واجه النمرود الجبار وحده، والذي ألقي في النار فكانت برداً وسلاماً، تزداد جرأتك في مواجهة تحدياتك الصغيرة والكبيرة .لم تعد تخاف من أحد بعد أن رأيت من هو أسوتك.
.2رسالة التحرر الكامل من عقدة "النقص الحضاري" و"التبعية الفكرية": لا تبحث عن قدواتك في الغرب أو الشرق، ولا في فلان وعلان من الناس، فلديك الأنبياء والمرسلون والصالحون قدوة حسنة . هذا يحررك من عقدة أن "الآخرين أفضل منا" التي يزرعها أعداء الإسلام في نفوس أبنائه.
.3رسالة بناء الشخصية المؤمنة المتكاملة: شخصيتك تتشكل وتتبلور من خلال هذه القدوات العظيمة . تأخذ شخصيتك من تلك القدوات صفات العزة والكرامة والثبات والتوكل والشجاعة والوضوح.

ثانياً: الرسائل العقلية (كيف يفكر عقلك):

.1رسالة إدراك أهمية القدوة العملية في عملية التغيير: الناس لا يتغيرون سلوكهم وأخلاقهم ومواقفهم بالنظريات المجردة والمواعظ الجافة، بل بالرؤية الحية والنموذج العملي الحي .القرآن يقدم لك نموذجاً حياً لتتبعه.
.2رسالة وجوب اختيار القدوة المناسبة بعناية: لا تتبع كل من هب ودب، ولا تنجرف وراء كل ناجح في الدنيا، بل اختر أسوة حسنة عند الله وعند رسوله .اختر قدوتك من سير الأنبياء والصحابة.
.3رسالة الارتقاء بمعايير المقارنة والتقييم: بدلا ً من أن تقارن نفسك بالضعفاء والمقصرين و الفاسدين، وتشعر بالرضا عن نفسك لأنك أفضل منهم، قارن نفسك بالأنبياء والمرسلين، لتعرف أين أنت من الطريق.

ثالثاً: الرسائل التربوية (لتربية نفسك ومن تحت يدك):

.1رسالة وجوب تربية الأبناء على الاقتداء بالصالحين: قدم لأولادك قدوات صالحة من سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة الهدى .لا تتركهم فريسة لقدوات السوء من المغنين والممثلين و الرياضيين والطواغيت.
.2رسالة أن الاقتداء والاتباع يجب أن يكون عملياً لا نظرياً: لا يكفي أن تقول "أنا أحب إبراهيم"، بل لابد أن تظهر ذلك في سلوكك ومواقفك .الأسوة الحسنة تظهر بالفعل، لا بالقول فقط.
.3رسالة تعليم أن القدوة لا تعني العصمة المطلقة: إبراهيم معصوم في تبليغ الرسالة، ولكن ورد منه فعل) الاستغفار لأبيه (ثم تبين له أنه غير مناسب، فاستثناه الله من الأسوة .هذا يعلم أن القدوة البشرية ليست معصومة في كل أفعالها، وأن الاقتداء يكون في الحسنات لا في الزلات.

رابعاً: الرسائل العملية (لواقعك اليومي):

.1رسالة وجوب دراسة سير الأنبياء والصحابة والصالحين: لا تقتصر على قراءة القرآن فقط، بل ادرس السير والمغازي والتاريخ، وتعرف على مواقف أبطال الإسلام، لتتأسى بهم وتقتدي.
.2رسالة مقارنة أفعالك وأقوالك ومواقفك بفعل القدوة وموقفه: في كل موقف تمر به، اسأل نفسك: "لو كان إبراهيم أو النبي ﷺ مكاني، ماذا كان سيفعل؟" .هذه المقارنة تصحح مسارك.
.3رسالة تطبيق مواقف الأسوة في الواقع العملي بحسب الاستطاعة: إذا مررت بموقف مشابه لموقف إبراهيم، تذكر فعله وافعل مثله قدر استطاعتك.

.5كيف نفهم "الأسوة الحسنة" فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

الفهم العميق الأول: الأسوة الحسنة ليست تقليداً أعمى وتشبهاً شكلياً

ليس المطلوب منك أن ترتدي مثل إبراهيم، أو تسكن كهفاً مثله، أو تمشي بنفس طريقته، أو تأكل نفس طعامه. المطلوب أن تستلهم منه المبادئ العظيمة والقيم الكبرى: التوحيد الخالص، البراءة الصريحة من الشرك وأهله، التضحية في سبيل الله، التوكل على الله، الهجرات في سبيل الله، الصبر على الأذى.

الفهم العميق الثاني: الأسوة الحسنة تشمل المواقف الكبرى لا التفاصيل الصغرى اليومية

إبراهيم كان يعمل في تجارة المواشي، وكان يمشي على قدميه، وكان يأكل الخبز والماء، وكان ينام على فراش بسيط. هذه التفاصيل الصغرى ليست محل اقتداء ولا يثاب أحد على تقليدها. محل الا قتداء هي المواقف الكبرى المصيرية: موقفه الحازم من الأصنام والأوثان، موقفه الواضح من أبيه وقومه الكافرين، مواجهته العلنية للنمرود، هجرته من قومه، صبره على البلاء.

الفهم العميق الثالث: الأسوة الحسنة تتطور وتختلف باختلاف الظروف والأزمان

إبراهيم في بداية دعوته كان مستضعفاً في قومه، ثم هاجر، ثم صار إماماً للناس يقتدى به. أنت أيضاً تمر بمراحل في اتباع الأسوة حسب قدرتك ومرحلتك وظروفك. لا تيأس إن لم تصل إلى درجة إبراهيم كاملة، فلكل إنسان قدراته وظروفه، والمطلوب السير في الاتجاه الصحيح.

الفهم العميق الرابع: الأسوة الحسنة وسيلة تربوية هادفة لا غاية في حد ذاتها

الأسوة بإبراهيم والذين معه تهدف إلى تقويم سلوكك وتوجيه حياتك وبناء شخصيتك، لا أن تتوقف عند الأسوة كطقس أو عادة أو شعيرة. الهدف النهائي هو أن تصل إلى ما وصلوا إليه: الإخلاص، التوحيد، التوكل، الإنابة، البراءة من الشرك، الاستعداد للمصير.

الأمر الثاني: إعلان البراءة ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

.1ماذا تعني "البراءة" هنا في العمق؟

البراءة في اللغة: مصدر برئ، وهي الخلوص والتنصل والانقطاع والتخلي والتبري.

البراءة هنا في الآية: هي أعلى مراتب "لا تتخذوا أولياء". فالنهي عن المودة والموالاة شيء، وإعلان البراءة والتبري شيء آخر أشد وأقوى. البراءة تعني أن تظهر بلسانك وحالك وقلبك أنك لست منهم، وأنك تنكر عليهم ما هم عليه من كفر وشرك، وأنك تعلن أن لا صلة بينك وبينهم من ناحية الدين و العقيدة.

.2لماذا جمعت البراءة من الأشخاص ومن الآلهة معاً؟) براءة مزدوجة(

لأن عبادة الأصنام والأوثان والطواغيت لا تنفصل عن عابديها. من يعبد صنماً أو طاغوتاً هو شريك في الإثم والضلال. والبراءة من الصنم والطاغوت تستلزم البراءة من عابده. والبراءة من العابد الكافر تستلزم البراءة من معبوده الباطل. هذا هو معنى لا إله إلا الله: نفي الآلهة الباطلة وعابديها، وإثبات ا لإله الحق وحده.

.3ماذا تفعل هذه العبارة بنفسية المؤمن؟) التأثيرات النفسية العميقة(

تزرع في نفسك وتغرس في وجدانك:

· الحسم والجزم والوضوح: لا تردد، لا غموض، لا مواربة، أنت مع الله ورسوله والمؤمنين، وضد الباطل وأهله. هذا يمنحك شخصية واضحة المعالم.
· الوضوح والشفافية في المواقف: لا خلط بين الحق والباطل، لا تلبيس، لا تقية في غير موضعها. أنت تعرف من أنت، ومن توالى، ومن تعادى.
· الشجاعة والإقدام وعدم الخوف: إعلان البراءة يحتاج إلى جرأة وشجاعة وعدم خوف من لومة لا ئم. هذه الآية تمنحك هذه الشجاعة.
· الانتماء الواضح والصريح: أنت تنتمي إلى الله ورسوله والمؤمنين، لا تنتمي إلى قومك أو عشيرتك أو مجتمعك إذا كانوا على كفر.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة تطهير النفس العميقة من الخوف والرهبة من المشركين: عندما تعلن براءتك من المشركين وأوثانهم وأديانهم الباطلة، تتحرر نفسيتك من الرهبة والخوف والوجل منهم .لم تعد خائفاً منهم، لأنك أعلنت أنك منهم براء.
.2رسالة الشعور بالكرامة والعزة والاستعلاء بالإيمان: أنت مع الله، والقوي مع الحق، والله هو القوي العزيز .من كان الله معه فلا يخاف أحداً، ومن كان الله معه فلا يذل أبداً.
.3رسالة القطع النفسي لعلاقات التبعية والولاء غير الشرعية: عندما تعلن البراءة، تقطع جذور التعلق النفسي والقلبي بالمشركين، وتخرجهم من دائرة ثقتك ومودتك.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة إدراك أن الدين ليس مجرد معتقد شخصي وعلاقة فردية بين العبد وربه: بل هو إعلان موقف صريح من المحيط والأهل والمجتمع .الإيمان موقف ومنهج حياة، لا مجرد شعائر يخفيها الإ نسان في قلبه.
.2رسالة عدم الخلط الخطير بين التعامل الدنيوي المباح والولاء الديني القلبي: البراءة من الكفار لا تمنع العدل والإحسان والبر لمن لم يقاتلوك في الدين .ولكنها تمنع المودة القلبية والموالاة الدينية و النصرة على المؤمنين.
.3رسالة إدراك أن المشركين والكافرين يعبدون الباطل: إدراك هذه الحقيقة العقلية يساعدك على عدم الاغترار بقوتهم أو كثرتهم أو تمدنهم أو أموالهم أو جاههم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة وجوب تربية الأبناء والبنات على البراءة من الشرك وأهله: لا تخف من تعليم أولادك هذه القيم العقدية، ولا تكتمها عنهم خوفاً من المجتمع أو من التطرف المزعوم.
.2رسالة تعليم أن البراءة ممارسة وسلوك وموقف، لا مجرد شعور داخلي خفي: البراءة الحقيقية أن تظهر بسلوكك وأفعالك وأقوالك ومواقفك أنك لست منهم، وأنك لا ترضى بدينهم، وأنك لا توافق على معتقداتهم.
.3رسالة التربية على عدم المداهنة والمجاملة على حساب الدين: لا تمدح باطلا ً ولا تثني على كفر لأجل مصلحة دنيوية .هذه التربية تصنع أجيالا ً تعرف كرامتها وقيمتها.

رابعاً: الرسائل العملية (لواقعك اليومي):

.1رسالة إعلان البراءة بلسانك في المواضع المناسبة التي لا ضرر فيها: كأن تقول بوضوح وصراحة: "أنا مسلم، وهذا حرام في ديني"، أو "أنا لا أوافق على هذا الكفر وهذا الضلال"، أو "لا علاقة لي بهذا الباطل وأهله".
.2رسالة إعلان البراءة بسلوكك وأفعالك: لا تشاركهم في احتفالاتهم الدينية، ولا تهنئهم بأعيادهم الشركية، ولا تلبس شعاراتهم، ولا تنطق بألسنتهم التي تخالف دينك.
.3رسالة إعلان البراءة بقلبك ونيّتك: أن تعتقد اعتقاداً جازماً وقطعياً ونهائياً أنهم على باطل وضلال

وكفر، وأن دينهم باطل، وأن ما هم عليه ليس من الله في شيء.

الأمر الثالث: الكفر بهم وإعلان العداوة والبغضاء ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾.

.1ما معنى "كفرنا بكم"؟ وما الفرق بينها وبين "برآء منكم"؟

"كفرنا بكم": جحدنا دينكم وأنكرنا طريقتكم وتبنا من ملتكم وكفرنا بما أنتم عليه. هي صيغة مبالغة وتوكيد في التبرؤ والإنكار.

الفرق الدقيق:

· برآء منكم: قطع الصلة والمحبة والولاء.
· كفرنا بكم: إعلان أنكم على كفر، وإبطال وإلغاء ما أنتم عليه من دين واعتقاد.

الأول سلبي (الابتعاد والانفصال)، والثاني إيجابي (إعلان الحق وإبطال الباطل). أنت لا تكتفي بتركهم، بل تعلن بكل وضوح أن دينهم باطل وأن إيمانك هو الحق الوحيد.

.2ما الفرق بين العداوة والبغضاء في الآية؟

· العداوة: تتعلق بالأفعال والمواقف الخارجية الظاهرة للعيان. وهي ممارسة عملية وسلوكية في الواقع (لا تنصرهم، لا تؤيدهم، لا تتخذهم أصدقاء، لا تشاركهم مناسباتهم).
· البغضاء: تتعلق بالمشاعر القلبية والداخلية. وهي شعور باطني في القلب (لا تحبهم، لا تميل إليهم، لا تود لهم الخير في دينهم).

إذن، الآية تأمرك بالأمرين معاً: لا توالهم ظاهراً بفعل، ولا تحبهم باطناً بقلب. هذا هو المنهج الكامل.

.3لماذا قال "أَبَدًا" ثم استثنى "حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ"؟

"أَبَدًا" هنا للتأكيد على الاستمرار والدوام وعدم الانقطاع وعدم الزوال. ولكن استمرارية هذه العداوة و البغضاء مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببقائهم على كفرهم وشركهم وضلالهم. فإن آمنوا بالله وحده وأخلصوا له الدين، انتهت العداوة وتحولت إلى محبة وأخوة ومودة.

الدرس: الباب مفتوح لهدايتهم، ولا تيأس من إسلامهم، ولكن لا تفتح لهم باب المودة القلبية قبل إسلا مهم.

.4ماذا تفعل هذه الآية بنفسية المؤمن؟

تزيل عنه وتحرره من:

· الوهم الخطير بأن العداوة مؤقتة أو ظرفية: هي أبدية مستمرة ما داموا على كفرهم. لا تنتظر أنها ستنتهي قريباً.
· الرغبة الضارة في المداهنة والمجاملة: لا جدوى من محاولة استرضائهم بإطرائهم أو مدح دينهم أو مشاركتهم، لأنهم سيظلون أعداء حتى يؤمنوا.
· التسويف والتأجيل في إعلان الموقف: لا تؤجل إعلان براءتك وتبرئك منهم ظناً أن الظروف ستتغير. موقفك واضح من الآن.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة التحرر الكامل من مشاعر الذنب تجاه كراهية الكفار: كراهيتهم ليست مذمومة، بل هي مطلوبة شرعاً، لأنهم كفروا بالله .يكفيك أن الله يكرههم، فهذا سبب كافٍ لكراهيتهم.
.2رسالة الوضوح العاطفي الداخلي وانتهاء الاضطراب النفسي: لا تخلط بين الرحمة الإنسانية الواجبة)في حدودها (والمودة القلبية المحرمة .أنت ترحم الكافر إنسانياً، ولكنك لا تحبه قلبياً لمخالفته الله.

.3رسالة الصبر والثبات على طول الأمد والتحدي النفسي: العداوة أبدية، فلا تنتظر نهايتها قريباً .هذا يحتاج منك صبراً نفسياً كبيراً.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم الأبدية المشروطة: "أبداً" في الآية ليست مطلقة، ولكنها مشروطة بـ "حتى يؤمنوا" . هذا يفتح باب الأمل ولكنه لا يفتح باب المودة قبل الإيمان.
.2رسالة عدم اليأس والقنوط من هدايتهم ودخولهم في الإسلام: غاية العداوة والبغضاء هي إيمانهم بالله وحده .هذا يعني أننا نتمنى لهم الهداية، ولكننا لا نهادنهم قبلها.
.3رسالة إدراك أن العداوة والبغضاء للمشركين ليست عداوة انتقامية شخصية: بل هي منهج ديني رباني، تستمر حتى يتركوا باطلهم ويؤمنوا بالله وحده.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة وجوب تربية الأبناء على العداوة للكافرين كمنهج ديني، لا على أنها كراهية شخصية عنصرية: نكره كفرهم، لا نكرههم كبشر .نفرق بين الشخص وفعله.
.2رسالة تعليم الأبناء أن العداوة الدينية تنتهي بالإيمان: هذا يعلمهم أن الباب مفتوح دائماً للتوبة و الدخول في الإسلام، فلا ييأسوا من هداية أحد.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تحديد موقفك الواضح من الكافرين: أنت معادٍ لهم ظاهراً وباطناً ما داموا كفاراً، لا تتردد في إعلان ذلك عند الحاجة.
.2رسالة عدم إتعاب نفسك بمحاولة صداقتهم وجذبهم بالمداهنة: لا تتعب نفسك في محاولة لا تجدي نفعاً .فالعداوة هي الأصل ما لم يؤمنوا.
.3رسالة الفرحة الحقيقية بهديتهم ودخولهم في الإسلام: إذا أسلم أحدهم، انتهت العداوة وتحولت فوراً إلى محبة وأخوة ومودة في الله.

الأمر الرابع: استثناء استغفار إبراهيم لأبيه ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾

.1لماذا استثنى الله هذا القول بالذات من الأسوة الحسنة؟

لأن استغفار إبراهيم لأبيه - عليهما السلام - كان عن موعدة وعدها إياه، وذلك قبل أن يتبين له علم اليقين أن أباه عدو لله ومات على كفره. قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

فلما تبين له أنه عدو لله عند موته أو عند اليأس من إيمانه، تبرأ منه ولم يستغفر له. إذن، هذا الا ستغفار ليس محل أسوة ولا قدوة، ولا يجب أن نقتدي به في المرحلة التي تبينت فيها عداوة الأب لله.

.2ماذا نتعلم ونستفيد من هذا الاستثناء العملي العظيم؟

نتعلم دروساً عظيمة:

· التدرج في البراءة والحكمة في الدعوة: لا تتبرأ من قريب كافر أعمى قبل أن يتبين لك علم اليقين عناده وإصراره على الكفر لك أن تستمهل وتدعو.
· الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة: تستطيع أن تستغفر لقريبك غير المؤمن، راجياً هدايته، داعياً له بالرحمة والهداية. هذا من البر والإحسان.
· القطع والفصل عند التبين واليقين: إذا أصر القريب على الكفر وأعلن عداوته لله ولرسوله وللمؤمنين، وتأكدت من ذلك، فعليك أن تتبرأ منه وأن تعلن براءتك، ولا تستغفر له بعد ذلك.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة تخفيف الألم النفسي والمعاناة الوجدانية لمن لهم أقارب كفار: لا تشعر بالذنب والحسرة والأ سى وأنت تستغفر لقريبك الكافر وتدعو له بالهداية قبل أن يتبين لك عناده .هذا الفعل ليس خطأ ولا محرماً، بل هو من البر والإحسان.
.2رسالة إضفاء الشرعية على مشاعر الرحمة والشفقة تجاه القريب الكافر في حدود الدعوة: لك أن تشفق على قريبك الكافر وتدعو له وتستغفر له راجياً هدايته، دون أن تصل إلى المودة القلبية والموا لاة الدينية.
.3رسالة الاستعداد النفسي والقلبي للتبرؤ عند التبين واليقين: لا تعلق قلبك بالقريب الكافر تعلقاً يمنعك من التبرؤ منه إذا تبينت عداوته لله .كن مستعداً نفسياً للتبرؤ والفصل إذا تطلب الأمر.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة التفريق الواضح بين المراحل الزمنية في التعامل مع القريب الكافر: موقف إبراهيم من أبيه اختلف وتغير جذرياً قبل التبين وبعد التبين .لا تخلط بين المرحلتين.
.2رسالة أهمية وجوب "التبين" الشرعي قبل إصدار أحكام البراءة: لا تبرأ من قريبك الكافر إلا بعد أن يتبين لك علم اليقين أنه عدو لله مصر على كفره، وأن الدعوة معه لا تجدي.
.3رسالة عدم تعميم الاستثناء والخلط بين المواقف: الاستثناء خاص بقول إبراهيم لأبيه فقط، لا بباقي أقواله وأفعاله ومواقفه .فلا تتخذ من هذا الاستثناء ذريعة لموالاة الكفار.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم الأبناء الواقعية في التعامل مع الأقارب الكفار: قد يكون لأحدهم أقارب كفار، وله معهم أحكام خاصة: الدعوة أولا ً بالحكمة، فإن أصروا وأعلنوا العداوة فالتبرؤ.
.2رسالة التربية على الاحترام مع البراءة من الدين: إبراهيم خاطب أباه باحترام وتأدب، مع أنه تبرأ من دينه وكفره .هذا علمه الأدب مع الوالدين وأصول الحوار.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة عدم القطيعة الفورية والعارمة لقريبك الكافر: لا تقطعه فوراً دون أن تدعوه وتحسن إليه وتستغفر له .ابدأ بالدعوة بالتي هي أحسن.
.2رسالة التوقف عن الاستغفار والدعاء إذا أصر القريب وأعلن عداوته لله: إذا أعلن عداوته لله ورسوله والمؤمنين بعد وضوح الحق، فتوقف عن الاستغفار له وتبرأ منه.
.3رسالة عدم جعل حب القريب وعاطفة القرابة تمنعك من إعلان الحق والبراءة من باطله: لا تجامل قريباً على حساب دينك .لا تكن أسيراً للعواطف.

الأمر الخامس: الإعلان بالعجز عن نفع الأقارب ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾

.1ماذا تعلمنا هذه العبارة العظيمة؟

تعلمنا أن القريب - مهما كان قربه منك، ومهما كانت درجة حبك له - لا يملك لك من الله شيئاً. لا يستطيع دفع ضر عنك ولا جلب نفع لك، لا في الدنيا ولا في الآخرة. هذا يقطع التعلق الزائد بهم وبأرحامهم، ويوجه التوكل والاعتماد إلى الله وحده.

.2الرسائل العملية من هذه العبارة

لا تضح بدينك ومبادئك وثوابتك من أجل قريب كافر، فهو لا يملك لك شيئاً عند الله. الله وحده هو المالك النافع الضار، وهو المعطي المانع، وهو الهادي المضل. علق قلبك بالله وحده.

الأمر السادس: التوكل والإنابة والمصير ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

.1معنى كل كلمة في هذا الدعاء العظيم

"رَبَّنَا": إقرار واعتراف بالربوبية والألوهية، وهي شهادة أن الله هو المربي المالك المدبر الخالق الرازق المحيي المميت. هذا النداء يذكر العبد بمن يلجأ إليه.

"عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا": اعتمدنا عليك وحدك، وألقينا بأمورنا كلها إليك، وفوضنا أمرنا إليك، ولم نكل أنفسنا إلى غيرك، ولم نعتمد على قوتنا، ولا على نصر أحد من الخلق.

"وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا": رجعنا إليك بالتوبة والطاعة والإخلاص والإنابة والندم، وقطعنا قلوبنا عمن سواك، وأقبلنا عليك بكل جوارحنا، وأنبنا إليك في كل صغيرة وكبيرة.

"وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ": المرجع والمنقلب والمآب يوم القيامة، فاجزنا بما أنت أهله، واحكم بيننا وبين قومنا، فأنت خير الحاكمين، وإليك الحشر والنشر والجزاء.

.2لماذا هذا الدعاء الجميل بعد البراءة؟

لأن الإنسان إذا تبرأ من الخلق وأعلن براءته منهم، لا بد أن يلجأ إلى الخالق ويعتمد عليه ويتعلق به، وإلا سيعيش في فراغ نفسي وروحي مرعب. وهذا الدعاء العظيم يملأ القلب طمأنينة وأمناً وقوة وعزة وسكينة.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الطمأنينة والسكينة النفسية العميقة: من توكل على الله كفاه وأعانه وأيده ونصره .لا خوف على من توكل على الله، ولا حزن لمن أناب إليه.
.2رسالة القوة والصلابة النفسية: من أناب إلى الله أعزه ورفع قدره وأعلى مكانته .لا ذل لمن أناب إلى الله، ولا خزي لمن توكل عليه.
.3رسالة اليقين والثقة بالله: من علم أن المصير إلى الله، استعد للحساب، وأحسن العمل، وتأهب للقاء.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة أن التوكل ليس ترك الأسباب والكسل: إبراهيم توكل على الله وهو يهاجر ويجاهد ويكافح ويكيد لأعداء الله .التوكل عمل وجهد مع الاعتماد على الله.
.2رسالة أن الإنابة هي العودة المستمرة والمتجددة إلى الله: كلما انحرفت، أنب .كلما أخطأت، أنب . كلما عصيت، أنب .الإنابة ليست مرة واحدة، بل هي حال دائمة.
.3رسالة أن تذكر المصير يصلح العمل ويصحح المسار: من علم أن الله سيجزيه على كل صغيرة وكبيرة، حرص على إصلاح عمله وتصحيح نيته.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة وجوب تربية الأبناء على التوكل على الله: لا تعودهم الاعتماد على الناس والذهاب إليهم و التملق لهم .علمهم أن الله هو المعتمد عليه وحده.
.2رسالة تعليم الأبناء الإنابة إلى الله والرجوع إليه بعد كل ذنب: لا تيأسهم من رحمة الله، وعلمهم أن باب التوبة مفتوح دائماً.
.3رسالة تذكير الأبناء بالمصير واليوم الآخر بين الحين والآخر: هذا يزرع فيهم الخشية والمراقبة والا ستعداد.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تكرار هذا الدعاء العظيم في صلاتك وأدعيتك: قل دائماً: "ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير" .اجعله شعار حياتك.
.2رسالة جعله شعارك في الشدائد والملمات: إذا خفت من أحد، أو شعرت بالوحدة، أو أحسست بـ الضعف، تذكر أنك توكلت على الله، وأنك أنبت إليه، وإليه المصير.
.3رسالة الإنابة المستمرة إلى الله والاستغفار الدائم: تب واستغفر كل يوم، واجعل الإنابة حالك.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هذه الآية؟

بعد كل هذا التحليل التفصيلي، هذه الآية العظيمة تريد منك:

1.أن تتخذ قدوة حسنة وقدوة عملية في حياتك: لا تترك نفسك بلا قدوة، ولا تجعل قدوتك أي شخص ناجح في الدنيا .أسوتك الأنبياء والمرسلون والصالحون، وعلى رأسهم إبراهيم الخليل.
2.أن تعلن البراءة الصريحة من الكفار ومن آلهتهم الباطلة: ليس فقط قلباً وضميراً، بل قولاً وفعلاً حيث أمكن وبحسب الاستطاعة.
3.أن تعيش حالة العداوة والبغضاء للكافرين ما داموا كفاراً: هذه حالة قلبية وشعورية، وحالة عملية وسلوكية .لا تحبهم، ولا توالهم، ولا تنصرهم.
4.ألا تجعل قرابتك وعلاقاتك العائلية عذراً لموالاة الكافر ومداهنته: إبراهيم تبرأ من أبيه لما تبين له أنه عدو لله .فكيف بمن هو دون الأب؟
5.أن تتوكل على الله وتنيب إليه وتذكر المصير: بعد البراءة من الخلق، تعلق بالخالق .بعد قطع التعلق بهم، توجه إليه وحده .هذا يملأ قلبك قوة وأمناً.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم الآية الرابعة من سورة الممتحنة فهماً عميقاً وشاملاً يتجاوز مجرد التفسير اللفظي السطحي، يجب أن ننظر إليها بوصفها "دستور العلاقة مع المخالفين عقدياً" و"نموذج القدوة العملية في التوحيد والبراءة" و"خريطة الطريق في التعامل مع الأقارب الكفار".

الفهم العميق الأول: "الأسوة الحسنة" لا تعني التماثل التام والتشابه الشكلي

أن تقتدي بإبراهيم وتتأسى به لا يعني أن تتحول إلى نسخة طبق الأصل عنه في كل صغيرة وكبيرة، وأن ترتدي مثل لباسه، وتأكل مثل أكله، وتمشي مثل مشيته. أنت تقتدي به وتتأسى به في المبادئ الكبرى والقيم العظمى: التوحيد الخالص، البراءة الصريحة من الشرك وأهله، التوكل الكامل على الله، الهجرة في سبيله، الصبر على الأذى، الثبات على الحق. أما التفاصيل العملية والجزئيات الصغرى فتختلف باختلاف العصور والظروف والأزمان والأمكنة.

الفهم العميق الثاني: البراءة المذكورة في الآية ليست قطيعة مطلقة ولا عداءً شخصياً

البراءة التي نادى بها إبراهيم ومن معه هي براءة عقدية قلبية، وبراءة دينية منهجية. لا تعني بالضرورة قطيعة الدنيا كلية، ولا المنع من التعامل الإنساني المباح. فإبراهيم كان يخاطب أباه ويحاوره ويجادله بالتي هي أحسن، ويطلب له الهداية ويستغفر له في مرحلة. لكن قلبه لم يكن مع أبيه في كفره، ومشاعره لم تكن توده على شركه. هذا فرق دقيق بين البراءة الدينية والتعامل الإنساني.

الفهم العميق الثالث: العداوة والبغضاء "أَبَدًا" مقيدة بشرط "حَتَّى تُؤْمِنُوا"

ليست العداوة والبغضاء التي أعلنها إبراهيم عداوة عمياء مطلقة لا تنتهي أبداً مهما حدث. بل هي عداوة مرتبطة باستمرار كفرهم وضلالهم وشركهم. هذا الشرط العظيم ("حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ") يفتح باب الأمل الكبير في هدايتهم ودخولهم في الإسلام، ويجعلنا لا نيأس من رحمة الله بهم. لكنه في نفس الوقت يمنعنا منعاً باتاً من إلقاء المودة القلبية والموالاة الدينية قبل الإيمان.

الفهم العميق الرابع: استغفار إبراهيم لأبيه ليس مداهنة ولا موالاة ولا محبة قلبية

قد يظن بعض الناس أن استغفار إبراهيم لأبيه يدل على جواز المودة القلبية للكافر، أو جواز الدفاع عنه، أو جواز موالاته. لكن الفهم العميق للآية وسياقها وتفسيرها يكشف أن هذا الاستغفار كان قبل التبين واليقين، ولما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله (عند الموت أو عند اليأس من إيمانه) تبرأ منه فوراً. إذن، هو نموذج للتعامل الدعوي الرحيم قبل اليأس من هداية القريب، وليس نموذجاً في المودة القلبية والموالاة الدينية.

الفهم العميق الخامس: التوكل والإنابة والمصير هو ملء الفراغ الروحي بعد البراءة

البراءة من الخلق والأهل والقريب والبعيد تترك فراغاً روحياً كبيراً في قلب الإنسان. لا يمكن للإنسان أن يعيش من غير أن يتعلق بشيء أو بشخص أو بمبدأ. لذلك وجه الله عباده المؤمنين بعد الأمر بـ البراءة إلى التعلق به وحده: توكلوا عليه، وأنيبوا إليه، وتذكروا أن إليه المصير. هذا ملء متكامل للفراغ الروحي، وتوجيه للطاقات النفسية والعاطفية نحو الله.

الفهم العميق السادس: تذكير المصير كحافز دائم للاستقامة والثبات

تذكير المصير ("وَإِلَيْكَ المَصِيرُ") في نهاية الآية يجعل المؤمن يعيش دائماً بوعي الآخرة واليوم الآخر. كل عمل يعمله اليوم، وكل موقف يقفه اليوم، وكل كلمة يقولها اليوم... سيُحاسب عليها غداً بين يدي الله. هذا التذكير يحفزه على البراءة من الكفار والثبات على الحق، لأن موالاتهم ستكون سبباً في سوء مصيره وفي حسابه العسير.

خلاصة الفهم العميق للآية:

الآية تعلمك وتدربك أن تكون قدوة حسنة في وضوح موقفك من الباطل وأهله، مع الحكمة والرحمة في الدعوة إلى الله، مع التوكل والإنابة على الله، مع الاستعداد الدائم للمصير يوم القيامة. لا تخلط بين البراءة من الكفر والقطيعة الظالمة، ولا بين الرحمة الإنسانية والمودة القلبية، ولا بين الدعوة بـ الحكمة والمداهنة في الدين.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

.1درس "القدوة الحية والنموذج العملي": لا يكفي أن نعرف الأحكام والنظريات، بل نحتاج بشدة لأن نرى نموذجاً عملياً يطبقها أمام أعيننا .اجعل سيرة الأنبياء والصحابة نصب عينيك ومنهج حياتك.
.2درس "البراءة الصريحة من الشرك وأهله": لا يمكن أبداً أن تجتمع في قلبك محبة الله ومحبة من يعبد غيره .البراءة من الشرك شرط لصحة التوحيد.
.3درس "العداوة المبدئية والبغضاء الدينية": تعلم أن تكون عدواً لمن عادى الله، وصديقاً لمن والاه . موازينك علوية إيمانية لا أرضية شخصية.
.4درس "التدرج والحكمة مع الأقارب الكفار": ابدأ معهم بالدعوة والرحمة والبر والإحسان والاستغفار راجياً هدايتهم، فإذا تبين عنادهم وإصرارهم وعداوتهم لله، أعلن البراءة منهم.
.5درس "التوكل والإنابة بعد التبرؤ": لا تخف أبداً من الوحدة والعزلة والغربة بعد مفارقة الكفار وترك موالاتهم، فـالله معك وهو حسبك ونعم الوكيل.

التطبيقات العملية (كيف تعيش هذه الدروس):

التطبيق (1): اختر قدواتك بعناية فائقة

لا تجعل قدوتك أي شخص ناجح في الدنيا، أو أي شخص مشهور، أو أي شخص قريب. اختر قدوتك ممن سيرتهم أسوة حسنة عند الله وعند رسوله. اقرأ سيرة النبي ﷺ، واقرأ سير الصحابة والأنبياء، واجعلهم نصب عينيك.

التطبيق (2): أعلن براءتك من الباطل كلما أمكن

في مواقف الحياة المختلفة، لا تخف من أن تقول بوضوح وصراحة: "هذا حرام"، أو "هذا شرك"، أو "هذا كفر"، أو "أنا لا أوافق على هذا الباطل". كن صريحاً وواضحاً وشجاعاً.

التطبيق (3): وازن بمهارة بين البراءة الدينية وحسن التعامل الإنساني

لا تخلط أبداً بين البراءة من كفر قريبك والقطيعة الظالمة له. يمكنك أن تبرأ من دينه وكفره، ولكن تعامله بالعدل والإحسان والبر إذا لم يقاتلك في الدين.

التطبيق (4): استثمر طاقة التبرؤ والقطيعة في التوكل والإنابة إلى الله

كلما تركت شيئاً لله، املأ الفراغ في قلبك بالتوكل عليه والدعاء له والإنابة إليه. قل دائماً: "ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير".

الأمر الرابع : المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية (مهارات التعامل مع الذات والآخرين)

1. مهارة اختيار القدوة المناسبة:
   · كيف تميز بين القدوة الحسنة والقدوة السيئة؟
   · كيف تجعل الأنبياء والصالحين قدوتك لا المشاهير والطواغيت؟
   · تطبيق عملي: اكتب قائمة بأسماء من تتأثر بهم في حياتك، ثم حلل: هل هم على منهج إبراهيم في البراءة من الباطل؟
2. مهارة إعلان الموقف بوضوح دون خوف أو تردد:
   · كيف تقول "لا" للباطل وأنت لا تخشى أحداً؟
   · كيف تعلن براءتك من الكفر وأهله بأسلوب حكيم؟
   · تطبيق عملي: درب نفسك على جملة "أنا لا أوافق على هذا" في مواقف صغيرة ثم انتقل إلى الكبيرة.
3. مهارة الموازنة بين البراءة الدينية والتعامل الإنساني:
   · كيف تبرأ من كفر قريبك ولا تقطعه ظلماً؟
   · كيف تحسن إلى والدك الكافر ولا تواليه قلبياً؟
   · تطبيق عملي: ارسم خطاً فاصلا ً في ذهنك: لله المودة وللناس العدل والإحسان.
4. مهارة ضبط المشاعر تجاه المخالفين:
   · كيف لا تحب من يعادي الله؟
   · كيف تفرق بين الرحمة الإنسانية والمودة القلبية؟
   · تطبيق عملي: كلما شعرت بمودة لكافر، تذكر أنه يتمنى لو تكفر.
5. مهارة التوكل العملي بعد القطيعة:
   · كيف تملأ الفراغ الروحي بعد ترك موالاة الكفار؟
   · كيف تثق بالله ولا تخاف من الوحدة؟
   · تطبيق عملي: ردّد "حسبي الله ونعم الوكيل" في كل لحظة ضعف.

ثانياً: المهارات المعرفية (مهارات التفكير والفهم)

1. مهارة تحليل السير والقصص القرآني لاستخلاص الدروس:
   · كيف تقرأ قصة إبراهيم بعيون تبصر المبادئ لا التفاصيل؟
   · كيف تستنبط الأحكام من الأحداث؟
   · تطبيق عملي: اقرأ قصة إبراهيم في القرآن كاملة، واستخرج ثلاثة مبادئ طبقتها في حياتك.
2. مهارة التفريق بين مراحل الدعوة والتدرج في المواقف:
   · كيف تفرق بين مرحلة الدعوة بالحكمة ومرحلة البراءة والإعلان؟
   · كيف تعرف متى يحين وقت التبرؤ؟
   · تطبيق عملي: حلل علاقتك بقريب كافر: هل مازلت في مرحلة الدعوة أم حان وقت التبرؤ؟
3. مهارة فهم النصوص الشرعية في سياقها:
   · كيف لا تفهم الاستثناء (استغفار إبراهيم) على أنه قاعدة؟
   · كيف تجمع بين آيات البراءة وآيات البر والإحسان؟
   · تطبيق عملي: عند قراءة أي آية، اسأل: ما سياقها؟ وما المستثنى منه؟
4. مهارة الوعي بفقه الموازنات:
   · كيف توازن بين حق القريب وحق الله؟
   · كيف توازن بين الرحمة والمودة؟
   · تطبيق عملي: في كل موقف، اكتب قائمة بالإيجابيات والسلبيات الشرعية.

ثالثاً: المهارات العملية (مهارات التطبيق والسلوك)

1. مهارة التطبيق العملي للأسوة الحسنة:

- كيف تحول سيرة إبراهيم إلى برنامج يومي؟
- خطوات عملية:
  - اقرأ سيرته أسبوعياً.
  - اختر صفة من صفاته تعمل عليها.
  - قيّم نفسك نهاية الأسبوع.

2. مهارة إعلان البراءة في المواقف الحياتية:
- كيف ترفض المشاركة في احتفالات دينية مخالفة؟
- كيف تعتذر عن كلمة مديح لباطل؟
- نماذج عملية:
  - "أنا أحترمك، لكن ديني لا يسمح لي بالمشاركة في هذا."
  - "لا أستطيع أن أقول هذا لأنه يخالف ما أؤمن به."

3. مهارة إدارة العلاقات مع الأقارب الكفار:
- كيف تصل رحمك ولا تواليهم؟
- كيف تدعوهم ولا تملقهم؟
- خطة عملية:
  - زُر قريبك الكافر في مرضه.
  - أهدِ له كتاباً عن الإسلام.
  - لا تشاركه في معصية ولا تمدح دينه.

4. مهارة التوكل العملي:
- كيف تتوكل على الله في قراراتك؟
- كيف تفوض أمرك إليه بعد الأخذ بالأسباب؟
- تطبيق يومي: قبل كل عمل قل "توكلت على الله"، وبعد كل عمل قل "الحمد لله".

5. مهارة الإنابة المستمرة:
- كيف ترجع إلى الله بعد كل ذنب؟
- كيف تجعل التوبة حالة دائمة؟
- تطبيق يومي: اختم كل يوم باستغفار 100 مرة.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

الآية الرابعة من سورة الممتحنة ليست مجرد قصة تُحكى، بل هي فلسفة حياة متكاملة تعيد صياغة نظرتك إلى كل شيء: إلى القدوة، إلى العلاقات، إلى الأهل، إلى المواقف، إلى الله.

التغيير الأول: من الاقتداء بالناس إلى الاقتداء بالأنبياء

النظرة القديمة: كنت تبحث عن قدواتك في الناجحين والمشاهير والأغنياء وأصحاب النفوذ. كنت تتأثر بفلان وعلان من الناس.

النظرة الجديدة: بعد هذه الآية، أصبحت تعلم أن أصدق قدوة وأكمل أسوة هم الأنبياء والمرسلون، وعلى رأسهم إبراهيم الخليل. لم تعد تنظر إلى الناس بعين التقديس، بل أصبحت تنظر إلى سير العظماء من أهل الإيمان.

التغيير الثاني: من المجاملة والمداهنة إلى البراءة الصريحة والوضوح

النظرة القديمة: كنت تخشى إعلان موقفك من الباطل خوفاً من ردود فعل الناس. كنت تمدح أحياناً ما لا تؤمن به مجاملة.

النظرة الجديدة: الآية تمنحك الشجاعة لتكون واضحاً. تقول: "إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ". لم تعد تخشى أحداً بعد الله.

التغيير الثالث: من الحب الأعمى للأقارب إلى الحب المشروط

النظرة القديمة: كنت تظن أن حب الأهل والولد مطلق، وأنه يبرر بعض التنازلات في الدين.

النظرة الجديدة: عرفت أن حب الأهل مشروط بعدم معصية الله. إبراهيم تبرأ من أبيه لما تبين له أنه عدو لله. هذا يغير نظرتك: الحب لله، والبغض لله.

التغيير الرابع: من الخوف من الوحدة إلى التوكل على الله

النظرة القديمة: كنت تخشى أن تكون وحيداً إذا تركت موالاة الكفار. كنت تخشى أن تفقد دعمهم ونصرهم.

النظرة الجديدة: الآية تعلمك أن تتوكل على الله، وتنيب إليه، وتعلم أن إليه المصير. لم تعد تخشى الوحدة لأن الله معك.

التغيير الخامس: من التفكير الدنيوي إلى التفكير الأخروي

النظرة القديمة: كنت تقيّم علاقاتك وقراراتك بناءً على مكاسبها الدنيوية العاجلة.

النظرة الجديدة: أصبحت تزن كل شيء بميزان المصير: ماذا سينتج عن هذا الموقف يوم القيامة؟ هل سينفعني أم يضرني؟

خلاصة النظرة الجديدة للحياة:

الحياة بعد هذه الآية لم تعد مجرد علاقات ومصالح وأهواء. أصبحت ميداناً للاقتداء بالأنبياء، وإعلان البراءة من الباطل، والثبات على الحق، والتوكل على الله، والاستعداد للمصير.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

لتعميق أثر هذه الآية في حياتك العملية، وتفعيلها كمنهج حياة، اتبع الاستراتيجيات التالية:

الاستراتيجية الأولى: "مشروع الأسوة الحسنة" (تطبيق عملي أسبوعي)

· اختر صفة واحدة من صفات إبراهيم كل أسبوع (مثل: البراءة من الشرك، الشجاعة في إعلان الحق، التوكل، الإنابة).
· اقرأ موقفاً واحداً من سيرته يبرز هذه الصفة.
· طبّق هذا الموقف في واقعك خلال الأسبوع.
· قيم نفسك في نهاية الأسبوع: هل اقتربت من هذه الأسوة؟

الاستراتيجية الثانية: "بطاقة البراءة" (تذكير يومي)

· اكتب على بطاقة صغيرة عبارة: "إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله".
· ضعها في مكان تراه يومياً (مكتبك، جيبك، هاتفك).
· كل صباح، اقرأها وتأمل فيها.
· اسأل نفسك: هل هناك موقف اليوم سأضطر فيه لإعلان براءتي من باطل؟

الاستراتيجية الثالثة: "تدريج العلاقات مع الأقارب الكفار"

· المرحلة الأولى (قبل التبين):
  · صل رحمك.
  · أحسن إليهم.
  · استغفر لهم.
  · ادعهم بالحكمة.
· المرحلة الثانية (بعد التبين والعناد):
  · اقطع المودة القلبية.
  · أعلن البراءة إذا اقتضى الأمر.
  · لا تستغفر لهم بعد الموت.
· تقييم شهري: في أي مرحلة أنت مع كل قريب كافر؟

الاستراتيجية الرابعة: "سجل التوكل والإنابة"

· ادفتر صغير تسجل فيه:
· المواقف التي توكلت فيها على الله وتركتَ الخوف من الناس.
· المواقف التي أنبت فيها إلى الله بعد ذنب.
· كيف تغيرت حياتك بعد هذا التوكل؟

الاستراتيجية الخامسة: "محاكاة المصير" (تخيل يوم القيامة)

· خصص 5 دقائق يومياً تتخيل فيها مشهد القيامة:
· الله يفصل بينك وبين أقاربك الكفار.
· أنت وحدك، لا ينفعك نسب ولا مال.
· ماذا تتمنى لو كنت فعلت في الدنيا؟

هذا التخيل يدفعك إلى تصحيح مسارك اليوم.

الاستراتيجية السادسة: "مراجعة القدوات" (شهرية)

· نهاية كل شهر، راجع قائمة من تتابعهم وتتأثر بهم:
· هل فيهم من يعادي الله؟
· هل فيهم من يمدح الباطل؟
· هل فيهم من هو أسوة سيئة؟
· احذف من يضرك، وأضف من ينفعك.

الاستراتيجية السابعة: "ورشة العمل العائلية"

· اجمع أسرتك (أولادك، إخوتك) مرة شهرياً.
· اقرأوا معاً قصة إبراهيم.
· ناقشوا: كيف نطبق البراءة في واقعنا؟
· شجعوا بعضكم على المواقف الشجاعة.

خلاصة ختامية للمهارات والتغيير والتعميق

بهذه الاستراتيجيات والمهارات، تتحول الآية الرابعة من سورة الممتحنة من مجرد نص قرآني تُتلى، إلى منهج حياة عملي:

· تختار قدوتك بعناية (إبراهيم).
· تعلن براءتك من الباطل بوضوح.
· تتعامل مع أقاربك الكفار بحكمة وتدرج.
· تتوكل على الله ولا تخشى الوحدة.
· تستعد للمصير كل يوم.

تذكر دائماً: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾. اجعله نصب عينيك، واسلك سبيله، تفلح في الدنيا والآخرة.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

البعد العقدي: ترسيخ التوحيد العملي بالبراءة من الشرك وأهله، وإبطال الأديان الباطلة.
البعد النفسي: بناء شخصية المؤمن القوية الشجاعة التي لا تخشى إلا الله، والتي لا تتردد في إعلان الحق.
البعد التربوي: تقديم القدوة العملية الحية والنموذج التطبيقي للأجيال المسلمة.
البعد الاجتماعي: تحديد علاقة المؤمن بالمجتمع الكافر وضبطها بضوابط شرعية واضحة.

البعد السياسي: رسم حدود العلاقات الدولية للمسلمين مع الدول الكافرة المحاربة.
البعد الأخروي: ربط العمل والمبادئ والمواقف بالمصير والجزاء يوم القيامة.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفس المسلمة والمجتمع

أولا ً: في نفس المسلم (قيم الفرد):

1.قيمة الاقتداء بالصالحين والأنبياء: بدلا ً من الاقتداء بالطواغيت والمشاهير وأئمة الضلال.
2.قيمة البراءة الصريحة الواضحة: بدلا ً من التخفي والمداهنة والمجاملة على حساب الدين.
3.قيمة التوكل على الله والإنابة إليه: بدلا ً من التعلق بالخلق والاعتماد عليهم.

ثانيا: في المجتمع المسلم (قيم الجماعة):

1.قيمة التماسك حول المبادئ والثوابت: لا حول الأشخاص أو الأهواء أو المصالح.
2.قيمة الوعي العميق بفقه العلاقات مع المخالفين: كيف نتعامل، متى نقترب، متى نبتعد، متى نوالى، متى نعاد.

ثالثا: في الدولة المسلمة (قيم الحكم والسياسة):

1.قيمة السيادة والاستقلالية الكاملة: لا تبعية لأعداء الدين، ولا خضوع لأجنداتهم.
2.قيمة الأمن القومي والفكري والثقافي: حماية المجتمع من الغزو الفكري والثقافي.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآية في حياتنا

1.مفهوم "الأسوة الحسنة" وأهميتها الحيوية في التغيير والتربية.
2.مفهوم "البراءة المزدوجة من الشرك وأهله" كأصل من أصول التوحيد.
3.مفهوم "العداوة المبدئية المشروطة") أبدا حتى يؤمنوا.(
4.مفهوم "التدرج والحكمة مع الأقارب الكفار") الاستغفار قبل التبين، البراءة بعده.(
5.مفهوم "التوكل والإنابة والمصير" كبديل روحي ونفسي عن التعلق بالكفار.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

· القوة النفسية المستمدة من القدوة الصالحة.
· التحرر من الخوف من الناس والمداهنة.
· الطمأنينة والسكينة بالتوكل والإنابة.
· الاستعداد النفسي للتبرؤ عند الحاجة.

المفاهيم الفكرية:

· الفهم العميق لطبيعة العلاقة مع المخالفين عقديا.
· إدراك فقه الموازنات بين البراءة والعدل، وبين الرحمة والمودة.
· الوعي بأن العداوة تنتهي بالإيمان.

المفاهيم التربوية:

· تعليم القدوة الصالحة ونماذجها.
· التربية على البراءة من الشرك دون غلو أو تطرف.
· التربية على التوكل والإنابة والمصير.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

الآية تقدم مفاهيم جوهرية لبناء الفرد والمجتمع وتنميتهما:

1.بناء الفرد على أساس العقيدة الصافية: لا على أساس الانتماءات القبلية أو العرقية أو الإقليمية.

.2تنمية الوعي العقدي والأمني والفكري: الوعي بطبيعة العدو، وبأساليب الاختراق.
.3تطوير المناعة النفسية والفكرية والثقافية: حماية النفس والمجتمع من الأمراض الفكرية.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

هذه الآية تعيد تشكيل المسلم من الداخل بشكل جذري:

إعادة التشكيل الذهني (بناء المرجعية الواحدة الصافية):

· قبل الآية: قد يكون ذهن المسلم مشتتاً بين حب الله وحب أهله أو قومه أو مجتمعه.
· بعد الآية: يصبح الله هو المرجعية الوحيدة، وكل حب دونه مشروط بغير إضرار بالدين.

إعادة التشكيل النفسي (تحقيق التحرر من الخوف والذل):

· قبل الآية: الخوف من الأهل والعشيرة والمجتمع كان يثقل كاهله، فيتردد في نصرة الحق.
· بعد الآية: يتحرر من هذا الخوف، ويعلم أن الله هو الحافظ الناصر وهو حسبه.

إعادة التشكيل العاطفي (تهذيب القلب وتوجيه المشاعر):

· قبل الآية: عواطفه قد تندفع نحو أقاربه الكفار، فيواليهم ويحسن ظنه بهم.
· بعد الآية: عواطفه موجهة لله ولرسوله وللمؤمنين، ويتعامل مع الكفار بحذر وواقعية.

إعادة التشكيل الفكري (الوضوح الاستراتيجي ووضوح الرؤية):

· قبل الآية: رؤيته ضبابية، يخلط بين من يعاديه فكرياً وعقدياً ومن يختلف معه في الرأي أو المصلحة.
· بعد الآية: رؤيته واضحة حاسمة: هناك عداء عقدي لا بد من استيعابه واستيعاب آثاره.

الصورة التي يريدها الله منك (المؤمن الرباني):

من خلال هذه الآية العظيمة، يريد الله لك أن تكون إنساناً:

.1مقتدياً: تتعلم من سير الأنبياء وتتأسى بهم في حياتك.
.2متبرئاً: تعلن براءتك من الباطل وأهله بكل وضوح.
.3مُعادياً: تعادي الكفار ما داموا كفاراً ولا تهادنهم على دينك.
.4حكيماً: تتعامل مع أقاربك الكفار بالحكمة والرحمة قبل التبين، وبالبراءة بعد التبين.
.5متوكلا ً: لا تخاف بعد البراءة فالله حسبك.
.6منيباً: ترجع إلى الله في كل أحوالك.
.7مستعداً للمصير: تذكر دائماً أنك ملاقٍ ربك ومحاسب على أعمالك.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت تقرأ هذه الآية العظيمة... وتتدبر هذه المعاني العميقة...

تخيل معي مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، واقفاً بشموخ وثبات وعزة أمام قومه، أمام أبيه الذي لم يؤمن به، أمام الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله.

يقول لهم بكل شجاعة ووضوح وصراحة: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾.

لم يخف، لم يتردد، لم يمدح دينهم مجاملة، لم يساوم على مبادئه، لم يهادن على توحيده، لم يطلب ودهم أو رضاهم.

ثم يُلقى في النار... فإذا هي برد وسلام.

ثم يهاجر من أرض إلى أرض، تاركاً أهله وقومه وبلده... ثم يصبح إماماً للناس وأبا للأنبياء وخليلا ً للرحمن.

هذا هو قدوتك. هذا هو أسوتك. هذا هو نموذجك.

إذا كنت تشعر اليوم بالضعف والوهن أمام ضغوط المجتمع وأهلك وأصدقائك وزملائك، أمام الذين يريدون منك التنازل عن دينك والتخلي عن مبادئك...

تذكر إبراهيم.

تذكر أنه كان وحده في بداية الطريق، ثم آمن به لوط، ثم كثر أتباعه حتى صار إماماً.

لا تخف من الوحدة في الحق.

لا تخف من إعلان البراءة من الباطل وأهله.

لا تخف من قطيعة الأقارب في الله، إذا أصروا على عداوتهم لله وعداوتك.

لا تخف من كلمة "إنا برآء منكم".

وتوكل على الله... وأنب إليه... وتذكر أن إليه المصير.

ستقف غداً وحيداً بين يديه، ويسألك: ماذا عملت في دنياك؟

هل ستقول له: خفت من أهلي؟ خفت من مجتمعي؟ خفت من الناس؟ خفت من فلان وفلان؟

أم ستقول له: ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير. آمنا بما أنزلت، واتبعنا الرسل، وبرئنا من الكفر وأهله، فاغفر لنا وارحمنا وتقبل منا إنك أنت الغفور الرحيم.

اختر اليوم... الآن... في هذه اللحظة... قبل أن يفوت الأوان.

اختر طريق إبراهيم.

طريق العزة والكرامة والشجاعة والوضوح والثبات والتوكل والإنابة.

والله معك... وهو حسبك... ونعم الوكيل.

فهل أنت مستعد لتكون من أتباع ملة إبراهيم حنيفاً؟

هل أنت مستعد لتعلن براءتك مما سوى الله؟

هل أنت مستعد للقاء ربك بقلب سليم؟

أنا أعرف أنك مستعد.

لأن في قلبك نوراً لا يطفئه إلا من أطفأه بنفسه.
لأن في روحك عزة لا يذلها إلا من أذلها بنفسه.

قم الآن... وتوضأ... وصل ركعتين... وجدد عهدك مع الله.

وقل من أعماق قلبك المكسور التائب:

"اللهم إني أسألك ثباتاً على الحق، وبصيرة في الدين، وشجاعة في الإعلان، وبراءة من الباطل، وتوكلا ً عليك، وإنابة إليك، واستعداداً للمصير. اللهم اجعل إبراهيم قدوتي وأسوتي، واحشرني في زمرته يوم القيامة. اللهم لا تجعل لأحد في قلبي مودة تخالف مرضاتك، ولا تعلق قلبي بمن لا يحبك."

المبحث الثاني
تفسير الآيتين الخامسة والسادسة من سورة الممتحنة
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦)﴾

أولاً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من قطعت أشواطاً في طريق الإيمان، يا من تعلمت من الآيات السابقة أن لا تتخذ أعداء الله أولياء، وأن تبرأ منهم وتعلن العداوة والبغضاء لهم...

بعد أن سمعت قصة إبراهيم الخليل وأصحابه، وكيف أعلنوا البراءة من قومهم الكافرين، وكيف قالوا لهم بكل شجاعة: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾... قد يساورك سؤال عميق ومؤلم:

"يا رب، أنا أعلنت براءتي منهم، وأظهرت عداوتي لهم، وأنا خائف... خائف أن يكون في هذا إغراء لهم، خائف أن يتسلطوا عليّ بسبب موقفي، خائف أن أكون فتنة لهم فيعذبوني أو يفتنوني عن ديني، خائف أن أكون سبباً في كفرهم أو زيادة ضلالهم..."

هذا الخوف النبيل، وهذا السؤال المشروع، يجيب عنه الله عز وجل في هاتين الآيتين العظيمتين، اللتين تختم بهما هذه المقاطع المحكمة من السورة.

تأمل معي... المؤمن بعد أن أعلن البراءة والعداوة، لا يترك في هواء، بل يلجأ إلى الله بدعاء خاشع: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا" ، أي لا تسلطهم علينا، ولا تمكنهم منا، ولا تجعلنا سبباً لافتتانهم بنا أو بضعفنا، بل احفظنا واعصمنا واغفر لنا.

ثم تأتي الآية السادسة لتكرر التذكير بالأسوة الحسنة في إبراهيم ومن معه، ولكن هذه المرة مع تحديد صفة المنتفع بهذه الأسوة: "لمن كان يرجو الله واليوم الآخر". ثم تختم بتوكيد عظيم: "ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد" ، أي من أعرض عن هذا المنهج ووالى الكفار، فسيخسر، والله غني عنه وعن طاعته، وهو المحمود في كل حال.

تعال... لنغوص معاً في بحر هاتين الآيتين، لنتعلم كيف ندعو الله بعد إعلان البراءة، وكيف نحمي أنفسنا من أن نكون فتنة للغير، وكيف نستمر على الأسوة الحسنة، وكيف نستشعر غنى الله وحمده.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآيتان

هاتان الآيتان تأتيان لتعالج في نفسك وفي واقعك قضايا جديدة ومهمة، لم تتعرض لها الآيات السابقة بنفس هذا التفصيل:

القضية الأولى: الخوف من أن نكون فتنة للكافرين

بعد أن أعلن المؤمن براءته وعداوته للكافرين، قد يخشى أن يكون إعلانه هذا سبباً في تسلط الكفار عليه، أو أن يكون موقفه سبباً في افتتان الكافرين به، فيزدادوا كفراً وضلالاً. هذه القضية تعالج هذا الخوف النبيل، وتعلم المؤمن كيف يرفع يديه إلى الله داعياً: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا".

القضية الثانية: الحاجة إلى المغفرة بعد التبرؤ والعداوة

الإنسان مهما بلغ من الصلاح والتقوى، فهو يحتاج إلى مغفرة الله. بعد أن أعلن البراءة والعداوة، قد يخاف من الزلل، أو من التقصير، أو من دخول شيء من الكبر أو العجب في نفسه. الآية تعلمه أن يلجأ إلى الله طالباً المغفرة: "واغفر لنا ربنا". هذه القضية تمنع المؤمن من الغرور والاعتداد بالنفس بعد أن قام بهذه المواقف الجليلة.

القضية الثالثة: تثبيت الأسوة الحسنة مع تحديد صفة المنتفعين بها

الآية السادسة تكرر التذكير بالأسوة الحسنة في إبراهيم ومن معه، ولكنها تضيف شرطاً جديداً: هذه ا

لأسوة تنفع فقط "لمن كان يرجو الله واليوم الآخر". أي أن من لا يرجو الله ولا يؤمن باليوم الآخر، لا قيمة عنده لهذه الأسوة، ولا ينتفع بها. هذه القضية تفصل بين المؤمن الصادق والمنافق أو الضال.

القضية الرابعة: استشعار غنى الله وحمده لمن يتولى

الآية تختم بتوكيد عظيم: "ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد". أي من أعرض عن هذا المنهج ووالى الكفار، فإن ضرر ذلك يعود عليه هو، والله غني عنه، لا تنفعه طاعته ولا تضره معصيته، والله محمود في كل حال، حميد إلى أبد الآبدين. هذه القضية تعالج حالة الضعف التي قد تدفع الإنسان إلى موالاة الكفار بحجة أن الله يحتاج إلى نصرته أو إلى طاعته.

القضية الخامسة: التوازن بين المواقف العملية والدعاء واللجوء إلى الله

قد يظن بعض الناس أن القيام بالأعمال العملية (كإعلان البراءة والعداوة) يغني عن الدعاء والتضرع إلى الله. الآيتان تظهران التوازن: إبراهيم أعلن البراءة، ثم دعا الله "ربنا لا تجعلنا فتنة واغفر لنا". العمل والدعاء متلازمان.

القضية السادسة: علاج الخوف من بطش الكفار بالتوجه إلى الله

الخوف من الكفار ومن بطشهم ومن تسلطهم هو أحد الأسباب التي تدفع الناس إلى مداهنتهم وموالا تهم. الآية تعالج هذا الخوف بالتوجيه إلى الله: ادعوه أن لا يجعلكم فتنة لهم، أي لا يسلطهم عليكم. من لجأ إلى الله، آمنه الله.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآيتين

ما الذي يريده الله منك من خلال هاتين الآيتين العظيمتين؟

الهدف الأول: تعليم المؤمن الدعاء الصحيح بعد إعلان البراءة

لا تترك المؤمن بعد أن يقوم بمواقف عملية جريئة دون أن يوجهه إلى اللجوء إلى الله والدعاء له. الهدف هو غرس التعلق بالله في كل لحظة، خاصة لحظات القوة والشجاعة.

الهدف الثاني: طمأنة قلب المؤمن من أن يقع فتنة للكافرين

قد يخاف المؤمن أن يكون إعلانه للبراءة سبباً في تسلط الكفار عليه. الله يوجهه أن يدعو "لا تجعلنا فتنة"، وهذه دعوة تطمئن قلبه وتجعله يترك الأمر لله.

الهدف الثالث: تأكيد أن النجاة من الكفار ومن فتنهم بيد الله وحده

لا يملك المؤمن لنفسه نفعاً ولا ضراً. الله هو الذي يمنعه من أن يكون فتنة للكافرين، والله هو الذي يمنع الكافرين من التسلط عليه.

الهدف الرابع: الحث على الاستغفار بعد كل موقف جليل

لا تغتر بنفسك بعد موقفك الجريء، بل استغفر الله واطلب مغفرته. الهدف هو تربية التواضع وعدم الغرور.

الهدف الخامس: تخصيص الأسوة الحسنة بمن يرجو الله واليوم الآخر

ليست الأسوة الحسنة بإبراهيم ومن معه لأي أحد، بل لمن كان قلبه معلقاً بالله، ومنتظراً للقائه، وخائفاً من عقابه. هذا يرفع قيمة الإيمان والرجاء.

الهدف السادس: تأكيد غنى الله وحمده عن خلقه

لا تظن أن الله يحتاج إلى موالاتك أو إلى نصرتك. الله غني عن العالمين، وهو المحمود في كل حال، فعل ما يشاء، وحكم ما يريد. هذا يعزز توحيد الربوبية والألوهية.

الهدف السابع: دفع المؤمن إلى الثبات على الأسوة الحسنة

بعد تذكيره بغنى الله، يزداد المؤمن ثباتاً على الأسوة الحسنة، ولا يخاف من تولي الكفار عنه، لأنه يعلم أن الله غني عنه.
رابعاً: تفسير الآيتين والمعنى العملي لهما

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

"رَبَّنَا" إقرار بالربوبية والألوهية، نداء من القلب مليء بالحب والخضوع. "لَا تَجْعَلْنَا" أي لا تجعلنا ولا تخلقنا ولا تصيرنا ولا تمكننا. "فِتْنَةً" أي اختباراً وامتحاناً وسبباً للضلال والعذاب. "لِّلَّذِينَ كَفَرُوا" أي للكافرين الذين أعلنا براءتهم منهم وعداوتهم لنا.

المعنى: يا ربنا، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى ألا تجعلنا سبباً في افتتان الكافرين بنا، بأن يظنوا أننا على باطل بسبب ابتلائنا، أو أن يسلطونا علينا فيعذبونا أو يفتنونا عن ديننا، أو أن ينظروا إلى ضعفنا أو تقصيرنا فيزدادوا كفراً وضلالا ً.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

"وَاغْفِرْ لَنَا" استر ذنوبنا وتجاوز عن سيئاتنا وتقبل توبتنا. "رَبَّنَا" تكرار للنداء تأكيداً للحاجة والضراعة. "إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ" أنت القوي الذي لا يغلبه أحد، القادر على كل شيء، المنتقم من أعدائك. "الْحَكِيمُ" الذي يضع كل شيء في موضعه، الذي يعلم ما يصلح عباده، الذي لا يفعل إلا لحكمة بالغة.

المعنى: واغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا وهفواتنا، يا ربنا، إنك أنت العزيز الذي يمنعنا من أن نكون فتنة للكافرين بقدرتك وعزتك، وأنت الحكيم الذي يعلم ما في مصلحتنا، وما يصلح أحوالنا.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

"لَقَدْ كَانَ" توكيد وتحقيق. "لَكُمْ" أيها المؤمنون. "فِيهِمْ" في إبراهيم والذين معه. "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" قدوة ومثال يحتذى. "لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ" لمن كان يخاف الله ويطمع في رحمته وثوابه. "وَالْيَوْمَ الْآخِرَ" ويؤمن بالبعث والحساب والجزاء.

المعنى: لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم ومن معه قدوة عملية حسنة، ينتفع بها ويهتدي بها من كان قلبه معلقاً بالله، وخائفاً من يوم القيامة، راجياً رحمة الله وجنته.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

"وَمَن يَتَوَلَّ" ومن يعرض عن هذا المنهج، ويترك الاقتداء بهذه الأسوة الحسنة، ويوال الكفار ويتخذهم أولياء. "فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ" فإن الله غني عن طاعته، غني عن عبادته، غني عن موالاته، غني عن العالمين. "الْحَمِيدُ" المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المحمود على كل حال، الذي له الحمد في الأولى والآخرة.

المعنى: ومن يعرض عن هذا الاقتداء، ويترك هذه الأسوة، ويوال الكفار، فإن الله غني عنه، ولا يضره توليه شيئاً، والله هو المحمود في كل حال، يحمده أولياؤه في الدنيا والآخرة، ويحمده على عدله وحكمته.

المعنى العملي للآيتين – كيف تعيشهما في واقعك؟

تطبيق عملي (1): عند شعورك بالخوف من بطش الكفار بعد إعلان البراءة

لنفترض أنك أعلنت براءتك من الكفار في بيئة عمل أو دراسة، وبدأت تشعر بالخوف من أن يتسلطوا عليك، أو يفصلوك من عملك، أو يرسوبك في دراستك، أو يؤذوك بأيديهم أو ألسنتهم.

تذكر هذه الآية، وارفع يديك إلى الله داعياً: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا". هذا الدعاء يطمئن قلبك ، ويرد خوفك، ويذكرك أن الله هو المالك لكل شيء، بيده تسلطهم عليك أو منعه.

مثال تقريبي: كما قال إبراهيم لما ألقي في النار: "حسبي الله ونعم الوكيل"، فجعل الله النار عليه برداً

وسلاماً.

تطبيق عملي (2): بعد كل موقف جريء، استغفر الله

لا تغتر بنفسك بعد أن أعلنت براءتك، أو واجهت الكفار، أو قلت كلمة الحق. تذكر أنك عبد ضعيف، وأنت بحاجة إلى مغفرة الله. قل: "واغفر لنا ربنا". الاستغفار يطهرك من الكبر والعجب، ويجعل عملك خالصاً لله.

مثال تقريبي: الصحابة بعد غزوة بدر العظيمة، نزل فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، لم يغتروا بالنصر، بل زادهم خوفاً وإنابة.

تطبيق عملي (3): ردد اسمي الله "العزيز الحكيم" عند الدعاء

في دعائك، استشعر أن الله عزيز قادر على حمايتك من أن تكون فتنة للكافرين، وحكيم يضع الأمور في مواضعها. قل: "إنك أنت العزيز الحكيم". هذا يزيدك يقيناً.

تطبيق عملي (4): اختبر رجاءك لله واليوم الآخر

اسأل نفسك: هل أنا من "يرجو الله واليوم الآخر"؟ هل أملي في الله وفي جنته أكبر من أملي في الناس؟ هل خوفي من يوم القيامة يمنعني من موالاة الكفار؟ إن كانت الإجابة بنعم، فأنت منتفع بالأسوة الحسنة.

تطبيق عملي (5): استشعر غنى الله عند الشعور بالحاجة إليهم

قد تشعر أحياناً أنك بحاجة إلى الكفار في وظيفة أو تجارة أو منصب. تذكر هذه الآية: "ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد". الله غني عنهم وعنك إن توليت. لا تبع دينك بحاجة وهمية.

خامساً: تحليل الآيتين وتفكيك دلالاتهما (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

1. ما معنى "الفتنة" هنا؟ (تحليل معمق)

الفتنة في اللغة: الاختبار والامتحان والإحراق. ومنه قيل للذهب المذاب بالنار: مفتون. وهي تشمل عدة معانٍ في هذا السياق:

· الفتنة بمعنى التسلط والقهر: أي لا تسلط الكفار علينا فيفتنونا عن ديننا، فيعذبونا أو يضطهدونا أو يقتلوننا.
· الفتنة بمعنى العذاب: أي لا تجعلنا سبباً في أن يعذبهم الله بسببنا.
· الفتنة بمعنى الاغترار والضلال: أي لا تجعل الكفار يغترون بضعفنا أو ببلائنا، فيظنوا أنهم على حق وأننا على باطل، فيزدادوا كفراً وضلالاً.
· الفتنة بمعنى العبرة والاختبار: أي لا تجعلنا عبرة للكافرين يختبروننا بها، فيفتخرون علينا.

خلاصة: الدعاء يشمل كل أنواع الفتنة: أن لا يكون المؤمن سبباً في تسلط الكافر عليه، ولا سبباً في عذاب الكافر، ولا سبباً في زيادة كفره.

2. لماذا خص "الذين كفروا"؟

لأن الكفار هم الأعداء الذين يُخشى منهم الفتنة والتسلط. المؤمن لا يدعو أن لا يكون فتنة للمؤمنين، لأن المؤمنين يتعاونون ويتواصون. لكنه يخاف من أن يكون فتنة للكافرين، أي سبباً في شر لهم أو شر منه.

3. ماذا تفعل هذه العبارة بالقلب المؤمن؟

تغرس في نفسك:

· التواضع: أنت لا تملك لنفسك شيئاً، ولا تمنع عن نفسك شيئاً إلا بإذن الله. لا تغتر بقوتك أو بمنعتك.
· الخوف النبيل: تخاف من أن تكون سبباً في شر للآخرين، حتى لو كانوا كفاراً. هذا من كرم الأخلاق.
· التوجه إلى الله: في كل خوف، وجه وجهك إلى الله، فهو الملاذ الآمن.
· طمأنينة القلب: بعد الدعاء، يطمئن قلبك أن الأمر بيد الله، وهو القادر على منع الفتنة.

4. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر (تفصيلاً)

أولاً: الرسائل النفسية (ما يحدث داخل نفسك):

1. رسالة طمأنة القلب وإزالة الخوف من بطش الكفار: عندما تدعو الله "لا تجعلنا فتنة للكافرين"، فأنت تترك الأمر لله، وتعلم أن الله هو الذي يمنع تسلطهم عليك. هذا يزيل من قلبك الخوف المرضي.
2. رسالة التواضع وعدم الغرور بالنفس: مهما بلغت من القوة والشجاعة في إعلان البراءة، تذكر أنك ضعيف، وأن الحافظ هو الله. هذه الرسالة تمنع الكبر والعجب.
3. رسالة استشعار المسؤولية تجاه الآخرين: أنت لا تخاف على نفسك فقط، بل تخاف أن تكون سبباً في شر للكافرين. هذه سمو في الأخلاق.

ثانياً: الرسائل العقلية (كيف يفكر عقلك):

1. رسالة إدراك أن النجاة من الكفار ومن فتنهم بيد الله وحده: لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. هذا يعزز التوحيد.
2. رسالة فهم حقيقة الفتنة بأنواعها: أن تتعرف على معاني الفتنة المختلفة، فتستعد لكل نوع منها بدعاء خاص.
3. رسالة التفريق بين التسبب والتسليط: قد يكون الإنسان سبباً في الفتنة (بضعفه أو تقصيره)، وقد يكون الله هو الذي يسلط الكفار عليه ابتلاءً. الدعاء يشمل دفع الحالتين.

ثالثاً: الرسائل التربوية (لتربية نفسك ومن تحت يدك):

1. رسالة تعليم الدعاء بعد العمل: لا تكتف بالعمل، بل ادع الله أن يتقبله ويحفظك من آثاره السلبية.
2. رسالة تعليم التواضع للأبناء: علم أبناءك ألا يغتروا بأعمالهم، وأن يلجأوا إلى الله بعد كل عمل صالح.
3. رسالة تعليم الخوف من أن يكون الإنسان فتنة للغير: هذه تربية راقية.

رابعاً: الرسائل العملية (لواقعك اليومي):

1. رسالة جعل هذا الدعاء ورداً يومياً: اردد في صلاتك وفي أدبار الصلوات: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا".
2. رسالة الدعاء به عند الخوف من الكفار: كلما شعرت بخوف من تسلطهم، ارفع يديك بهذا الدعاء.
3. رسالة الدعاء به عند الضعف أو التقصير: إذا شعرت بتقصير في دينك، فاخش أن يكون هذا التقصير فتنة للكافرين، فادع الله.

الأمر الثاني: الاستغفار واختتام الدعاء باسمي العزيز الحكيم ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

1. لماذا الاستغفار بعد الدعاء بعدم جعلهم فتنة؟

لأن المؤمن يعلم أنه قد يكون مقصراً في حق الله، وهذا التقصير قد يكون سبباً في تسلط الكفار عليه، أو في افتتانهم به. فطلب المغفرة هو طلب لإزالة الأسباب التي تجعل الله يسلط عليه الأعداء.

مثال تقريبي: كما قال النبي ﷺ: "ما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر". الذنوب سبب للبلاء.

2. ما العلاقة بين "العزيز" و"الحكيم" وبين مضمون الدعاء؟

· العزيز: قدرته تمنع الكفار من التسلط عليك إذا شاء. فلا تخف، فهو القوي العزيز.
· الحكيم: يضع الأمور في مواضعها، فلا يسلطهم عليك إلا لحكمة، وقد يكون في تسليطهم خير لك. فلا تعترض على حكمته.

3. ماذا تفعل هذه العبارة بالقلب المؤمن؟

تغرس في نفسك:

· الطمأنينة بقوة الله: هو عزيز، لا يغلبه شيء، فهو قادر على حمايتك.
· الرضا بحكمة الله: هو حكيم، يفعل ما هو خير لك، حتى لو رأيت ظاهر البلاء.
· التذلل والاستغفار: أنت مذنب، وهو الغفور، فاطلب مغفرته.
· اليقين بالإجابة: أنت تدعو العزيز الحكيم، الذي لا يرد دعاء من لجأ إليه.

4. الرسائل النفسية والعقلية والتربية والعملية من هذا الأمر (تفصيلا ً)

أولا ً: الرسائل النفسية:

1. رسالة تطهير النفس من الذنوب: الاستغفار يطهر النفس، والطهارة تمنع تسلط الأعداء.
2. رسالة الشعور بالأمان مع العزيز: من استشعر عزة الله، أمنه الله من خوفه.
3. رسالة الرضا بقضاء الله مع الحكيم: من أيقن بحكمة الله، رضي بكل ما يقع له.

ثانيا: الرسائل العقلية:

1. رسالة فهم العلاقة بين الذنوب والبلاء: الذنوب قد تكون سببا في تسلط الأعداء، فالحكمة تقتضي ا لاستغفار.
2. رسالة التوحيد في الدعاء: لا تدع إلا الله العزيز الحكيم.

ثالثا: الرسائل التربوية:

1. رسالة تربية النفس على الاستغفار الدائم: اجعل الاستغفار من وردك اليومي.
2. رسالة تعليم الأبناء أسماء الله الحسنى: علمهم أن الله عزيز حكيم، وعلق قلوبهم بها.

رابعا: الرسائل العملية:

1. رسالة ختم الدعاء بهذين الاسمين: في كل دعاء، اختم بـ "إنك أنت العزيز الحكيم".
2. رسالة الاستغفار في أدبار الصلوات: كان النبي ﷺ يستغفر ثلاثا بعد كل صلاة.

الأمر الثالث: تكرار الأسوة الحسنة وتخصيصها بمن يرجو الله واليوم الآخر ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

1. لماذا تكررت هذه الجملة (الأسوة الحسنة)؟

ذكرت الأسوة الحسنة في الآية الرابعة، وتكررت في الآية السادسة. لماذا؟

· للتأكيد: الأمر مهم جدا، يحتاج إلى تكرار ليترسخ في النفس.
· لإضافة شرط جديد: في المرة الأولى ذكرت الأسوة مطلقة، وهنا خصصتها بمن يرجو الله واليوم الآ خر.
· لربطها بالدعاء السابق: من يرجو الله واليوم الآخر هو الذي يدعو "لا تجعلنا فتنة ويستغفر".

2. ما معنى "يرجو الله واليوم الآخر"؟

الرجاء: هو الخوف الممزوج بالطمع. يخاف الله فيخشى عقابه، ويطمع في رحمته فيرجو ثوابه. الرجاء يجمع بين الخوف والطمع.

معنى رجاء الله: أن يكون أمله في الله أكبر من أمله في الناس. أن يكون قلبه معلقاً بالله.

معنى رجاء اليوم الآخر: أن يؤمن بالبعث والجزاء، ويستعد له، ويعمل له.

3. لماذا خصصت الأسوة بمن يرجو الله واليوم الآخر؟

لأن المنتفع بالأسوة الحسنة هو من كان قلبه حياً، يخاف الله ويطمع في رحمته. أما من لا يرجو الله ولا يؤمن باليوم الآخر، فلا قيمة عنده لهذه الأسوة، ولا ينتفع بها. هذا تشريف للمؤمنين وتخصيص لهم.

4. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر (تفصيلا ً)

أولا ً: الرسائل النفسية:

1. رسالة تحفيز النفس على الرجاء: من كان رجاؤه لله قوياً، كان أكثر تمسكاً بالأسوة الحسنة.
2. رسالة إشعار المؤمن بخصوصيته: أنت لست كأي أحد، أنت ممن يرجو الله واليوم الآخر، وهذه الأ سوة لك خاصة.
3. رسالة طرد الخوف من الناس: إذا كنت ترجو الله، فلن تخاف من الناس.

ثانياً: الرسائل العقلية:

1. رسالة فهم العلاقة بين الرجاء والاقتداء: لا يمكن أن تتدعي رجاء الله وأنت لا تقتدي بالأنبياء.
2. رسالة التفريق بين المؤمن وغيره: الأسوة الحسنة ليست للجميع، بل لخاصة المؤمنين.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

1. رسالة تربية الأبناء على الرجاء: علمهم أن يرجوا الله وحده.
2. رسالة تعليم الأبناء الإيمان باليوم الآخر: هذا الإيمان هو الدافع للاقتداء.

رابعاً: الرسائل العملية:

1. رسالة اختبار نفسك: هل أنت ممن يرجو الله واليوم الآخر؟ اختبر رجاءك.
2. رسالة تجديد الرجاء: كل يوم، جدد رجاءك في الله.

الأمر الرابع: الوعيد لمن يتولى وبيان غنى الله وحمده ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾

1. ما معنى "يتولى" هنا؟

يتولى: يعرض عن الاقتداء بهذه الأسوة الحسنة، ويترك البراءة من الكفار، ويواليهم ويتخذهم أولياء.

2. ما معنى "الله هو الغني الحميد"؟

الغني: هو الذي لا يحتاج إلى أحد، وكل أحد يحتاج إليه. غني عن طاعة العباد، غني عن عبادتهم، غني عن نصرتهم. لا تنفعه طاعة مطيع، ولا تضره معصية عاص.

الحميد: المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. يحمده أولياؤه على نعمه، ويحمده على عدله وإنصافه، وهو المحمود على كل حال.

3. ماذا تفعل هذه العبارة بالقلب المؤمن؟

تغرس في نفسك:

· الاستغناء بالله: لا تحتاج إلى موالاة الكفار، فالله غني وحده.

· الخوف من خسارة الآخرة: من يتول، فهو الخاسر، والله غني عنه.
· الحمد لله على كل حال: الله محمود، فاحمده في السراء والضراء.
· طرد الوسواس: لا يوسوس لك الشيطان بأن الله يحتاج إلى نصرتك.

4. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر (تفصيلا ً)

أولا ً: الرسائل النفسية:

1. رسالة العزة والكرامة: أنت مع الغني الحميد، فلا تذل لأحد.
2. رسالة الاستغناء عن الناس: لا تحتاج إلى ود الكفار، فالله أغنى الغنيين.
3. رسالة طرد الخوف من الفقر: الله غني، وسيرزقك من حيث لا تحتسب.

ثانياً: الرسائل العقلية:

1. رسالة إدراك أن الله غني عن العالمين: لا تظن أنك تنفعه بطاعتك.
2. رسالة فهم أن الطاعة تعود نفعتك على نفسك: الله غني، وأنت الفقير إليه.
3. رسالة معرفة أن الحمد لله دائماً: مهما كانت الظروف.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

1. رسالة تربية النفس على الاستغناء بالله: لا تسأل الناس، واسأل الله.
2. رسالة تعليم الأبناء أن الله هو الغني الحميد: اربط قلوبهم به.

رابعاً: الرسائل العملية:

1. رسالة عدم الخوف من تولي الناس عنك: إن تولوا، فالله معك.
2. رسالة الحمد في كل الأحوال: احمد الله على كل نعمة، وعلى كل بلاء.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيتين

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هاتان الآيتان؟

تريد منك هاتان الآيتان:

1. أن تلجأ إلى الله بالدعاء بعد كل موقف جريء: لا تكتف بموقفك، بل ارفع يديك إلى الله داعياً "ربنا لا تجعلنا فتنة".
2. أن تستغفر الله بعد كل قول وفعل: الاستغفار يطهرك ويحفظك.
3. أن تؤمن بأن الله وحده هو العزيز الحكيم: هو القادر على حمايتك، الحكيم في تدبيرك.
4. ألا تغتر بنفسك، بل تظل خائفاً وجلا ً: الخوف النبيل هو الذي يدفعك إلى الدعاء.
5. أن تختبر رجاءك لله واليوم الآخر: هذه هي صفة المنتفع بالأسوة.
6. ألا تخشى من تولي الناس عنك: فالله غني حميد.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآيتين فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هاتين الآيتين فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليهما بوصفهما "ختاماً عملياً وروحياً لمنهج البراءة" و "دستور الدعاء بعد المواقف الجريئة" و"معيار الانتفاع بالأسوة".

الفهم العميق الأول: الدعاء بعد العمل ليس ضعفاً، بل قوة

قد يظن البعض أن الدعاء بعد العمل يدل على ضعف الثقة بالله، أو على قلة الإيمان. الفهم العميق يكشف العكس: الدعاء بعد العمل هو تمام التوكل، وهو إقرار بأن النجاح من الله وحده، وهو تخلص من الكبر والعجب.

الفهم العميق الثاني: الخوف من أن تكون فتنة للكافرين يدل على سمو الأخلاق

ليس كل من يعلن البراءة يخاف على الكافرين. الفهم العميق أن المؤمن الصادق يخاف أن يكون بلاؤه أو ضعفه أو تقصيره سبباً في زيادة كفرهم أو ضلالهم. هذه رحمة حتى بالكافرين.

الفهم العميق الثالث: "العزيز الحكيم" هما الضمان لتحقيق الدعاء

العزيز يمنع تسلط الكفار. الحكيم لا يمنعهم إلا إذا كانت المصلحة في المنع. الجمع بين الاسمين يضمن أن الدعاء مستجاب إما بعين ما دعوت، أو بما هو خير لك.

الفهم العميق الرابع: الأسوة الحسنة ليست ميراثاً لكل أحد

ليست الأسوة الحسنة بإبراهيم لمن ينتمي إليه بنسب، ولا لمن يقرأ قصته. بل هي لمن يرجو الله و اليوم الآخر. الرجاء هو مفتاح الانتفاع.

الفهم العميق الخامس: غنى الله يحل مشكلة الخوف من الفقر أو العزلة

الذي يخاف من موالاة الكفار خشية الفقر أو فقدان المنصب أو الوحدة، يتذكر أن الله غني. لن يضيعك الله إن تركت شيئاً له.

خلاصة الفهم العميق:

هاتان الآيتان تعلمان المؤمن أنه بعد أن يعلن البراءة ويقوم بالعمل، عليه أن يلجأ إلى الله داعياً مستغفراً، وأن يتحقق من رجائه لله واليوم الآخر، وألا يخشى الفقر أو العزلة، فالله غني حميد.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

1. درس "الدعاء بعد العمل": العمل الصالح يحتاج إلى دعاء حتى يتقبله الله ويبارك فيه.
2. درس "الخوف من الفتنة": الخوف من أن تكون سبباً في شر للغير يدل على كرم الأخلاق.
3. درس "أهمية الاستغفار": الاستغفار يمنع تسلط الأعداء.
4. درس "رجاء الله واليوم الآخر": هو المفتاح للانتفاع بالأسوة الحسنة.
5. درس "غنى الله وحمده": لا تخف من ترك موالاة الكفار، فالله غني عنهم وعنك.

التطبيقات العملية:

· تطبيق (1): في نهاية كل يوم، ادع الله: "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا".
· تطبيق (2): بعد كل موقف جريء في إعلان الحق، استغفر الله 3 مرات.
· تطبيق (3): اكتب اسمي "العزيز الحكيم" وتذكرهما عند الخوف.
· تطبيق (4): اختبر رجاءك: هل تثق بالله أكثر من ثقتك بالناس؟
· تطبيق (5): تذكر غنى الله عند الشعور بالحاجة إلى الكفار.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآيتين

أولاً: المهارات الحياتية (مهارات التعامل مع الذات والآخرين)

1. مهارة الدعاء في الشدة والرخاء: كيف تدعو الله عند الخوف؟ كيف تدعوه عند القوة؟
2. مهارة الاستغفار المستمر: كيف تجعل الاستغفار عادة يومية؟
3. مهارة الخوف النبيل: كيف تخاف من أن تكون سبباً في شر للآخرين؟
4. مهارة التعامل مع الخوف من الكفار: كيف تحول خوفك إلى دعاء؟
5. مهارة الاستغناء بالله: كيف تستغني به عن الناس.

ثانياً: المهارات المعرفية (مهارات التفكير والفهم)

1. مهارة فهم معاني الفتنة المتعددة: تمييز أنواع الفتنة.
2. مهارة فهم العلاقة بين الذنوب وتسلط الأعداء: إدراك السنن الإلهية.

3. مهارة فهم الأسماء الحسنى وتطبيقها: كيف تستحضر العزيز الحكيم.
4. مهارة تحليل النصوص القرآنية واستخراج الدروس.

ثالثاً: المهارات العملية (مهارات التطبيق والسلوك)

1. مهارة ترتيب الدعاء: البدء بـ "ربنا" ثم الدعاء ثم ختمه بالأسماء الحسنى.
2. مهارة جعل الدعاء وِرداً يومياً: في الصباح والمساء.
3. مهارة اختبار الرجاء: بمراقبة القلب في المواقف المختلفة.
4. مهارة تذكر غنى الله عند الفقر أو الحاجة.

الأمر الخامس: كيف تغير الآيتان نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من الاكتفاء بالعمل إلى العمل والدعاء معاً

النظرة القديمة: كنت تعتقد أن العمل وحده كافٍ، وأن الدعاء ليس ضرورياً.

النظرة الجديدة: عرفت أن العمل الصالح والدعاء متلازمان. إبراهيم أعلن البراءة، ثم دعا "ربنا لا تجعلنا فتنة".

التغيير الثاني: من الخوف من الناس إلى الخوف من الله مع الرجاء

النظرة القديمة: كنت تخاف من الناس ومن بطش الكفار.

النظرة الجديدة: تخاف الله وترجوه، وتدعوه أن لا يجعلك فتنة لهم.

التغيير الثالث: من الاستغناء بالنفس إلى الاستغناء بالله

النظرة القديمة: كنت تعتمد على قوتك ومالك وجاهك.

النظرة الجديدة: تعتمد على الله الغني الحميد.

التغيير الرابع: من الأسوة العامة إلى الأسوة الخاصة

النظرة القديمة: كنت تظن أن كل من يقرأ قصة إبراهيم ينتفع بها.

النظرة الجديدة: عرفت أن الانتفاع بالأسوة لمن يرجو الله واليوم الآخر.

التغيير الخامس: من الخوف من الفقر والعزلة إلى الأمن بالغنى الإلهي

النظرة القديمة: كنت تخشى إن تركت موالاة الكفار أن تفتقر أو تنعزل.

النظرة الجديدة: تثق أن الله غني، ولن يضيعك.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآيتين في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "ورد الدعاء اليومي"

اجعل دعاء "ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم" وِرداً يومياً في الصباح والمساء، وفي أدبار الصلوات.

الاستراتيجية الثانية: "محاسبة الرجاء"

في نهاية كل أسبوع، اسأل نفسك: هل رجائي لله أكبر من رجائي للناس؟ هل خوفي من اليوم الآخر يمنعني من موالاة الكفار؟

الاستراتيجية الثالثة: "تذكير بالغنى الإلهي"

كلما شعرت بالحاجة إلى كافر، تذكر: "الله غني حميد". قل: "حسبي الله، لا حاجة لي بهم".

الاستراتيجية الرابعة: "الاستغفار بعد كل موقف"

اجعل عادة: بعد كل موقف جريء أقدم عليه في إعلان الحق، أستغفر الله ثلاثاً.

الاستراتيجية الخامسة: "تدبر الأسماء"

خصص وقتاً أسبوعياً لتدبر اسمي "العزيز الحكيم"، وتأمل كيف يتجليان في حياتك.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيتين

البعد العقدي: إثبات أن الله هو العزيز الحكيم الغني الحميد، وأنه لا يحتاج إلى أحد.
البعد النفسي: طمأنة قلب المؤمن وتحريره من الخوف من الكفار.
البعد التربوي: تعليم الدعاء والاستغفار بعد العمل الصالح.
البعد الأخلاقي: غرس الخوف من أن يكون الإنسان فتنة للغير.
البعد الأخروي: ربط الأسوة الحسنة برجاء اليوم الآخر.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآيتان في النفس المسلمة والمجتمع

في نفس المسلم:

· قيمة التوكل على الله بعد العمل.
· قيمة الاستغفار الدائم.
· قيمة الخوف النبيل (الخوف من أن يكون سبباً في شر للغير).
· قيمة الرجاء (رجاء الله واليوم الآخر).
· قيمة الاستغناء بالله وعدم التعلق بالخلق.

في المجتمع المسلم:

· قيمة التكافل الدعائي (أن يدعو بعضهم لبعض بهذا الدعاء).
· قيمة الوعي بفتنة الكفار وكيفية التعامل معها.
· قيمة القدوة الحسنة لمن يرجو الله.

في الدولة المسلمة:

· قيمة الأمن الجماعي بدفع فتنة الكفار عن الأمة.
· قيمة الاستقلال والغنى عن الكفار.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآيتين في حياتنا

1. مفهوم "الفتنة" بأنواعها وأشكالها.
2. مفهوم "العزة والحكمة" الإلهية في دفع الفتن.
3. مفهوم "الأسوة المخصوصة" بمن يرجو الله.
4. مفهوم "الغنى الإلهي" كمصدر للاستغناء عن الخلق.
5. مفهوم "الحمد" كحال دائمة للمؤمن.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

المفاهيم النفسية:

· الطمأنينة بعد الدعاء.
· التواضع بعد العمل.
· الخوف من الفتنة.
· الرجاء كمحرك للسلوك.

المفاهيم الفكرية:

· التمييز بين أنواع الفتنة.
· فهم السنن الإلهية في تسلط الأعداء.
· العلاقة بين الذنوب والبلاء.

المفاهيم التربوية:

· تعليم الدعاء الصحيح.
· تربية الرجاء في القلوب.
· تعليم الاستغناء بالله.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

الآيتان تقدم مفاهيم جوهرية للبناء والتنمية:

1. بناء الإنسان على التوكل بعد العمل: لا يكتفي بالعمل، بل يتكل على الله.
2. تنمية الوعي بفتنة الكفار: كيف نتجنبها وكيف نتعامل معها.
3. تطوير مناعة المجتمع بدفع الفتن: بالدعاء والاستغفار.

الأمر السادس: دور الآيتين في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني: من التفكير في الأسباب إلى التفكير في المسبب الحقيقي (الله).
إعادة التشكيل النفسي: من الخوف المرضي إلى الخوف النبيل الممزوج بالرجاء.
إعادة التشكيل الفكري: من الاعتماد على الذات إلى الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب.
إعادة التشكيل الروحي: من الغفلة إلى الدعاء والاستغفار الدائم.

الصورة التي يريدها الله منك (المؤمن الرباني):

من خلال هاتين الآيتين، يريد الله لك أن تكون إنساناً:

1. داعية: تلجأ إلى الله في كل أحوالك.
2. مستغفراً: تطهر نفسك باستمرار.
3. مؤمناً بالعزيز الحكيم: تستشهد قوته وحكمته.
4. راجياً لله واليوم الآخر: معلق قلباً بالله.
5. غنياً بالله: لا تخشى الفقر أو العزلة.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت الآن تقرأ هذه الكلمات...

بعد كل هذه الدروس والعبر... بعد أن عرفت كيف تدعو الله بعد إعلان البراءة، وبعد أن علمت أن الخوف من أن تكون فتنة للكافرين هو خوف نبيل، وبعد أن تذكرت أن الأسوة الحسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر، وبعد أن استشعرت غنى الله وحمده...

اسأل نفسك الآن بصدق:

· هل أدعو الله بعد كل موقف جريء أقوم به؟
· هل أخاف أن يكون تقصيري سبباً في فتنة الكفار؟

· هل أستغفر الله باستمرار؟
· هل رجائي لله واليوم الآخر هو ما يدفعني للاقتداء بالأنبياء؟
· هل أشعر بالغنى بالله، فلا أخشى الفقر أو العزلة؟

إن عرفتَ أنك مقصر في هذه الأمور، فها هو الله يفتح لك باب الدعاء والاستغفار.

قل بلسان حالك ومقالك:

"ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم. اللهم اجعلنا ممن يرجوك ويرجو اليوم الآخر، واجعلنا ممن يقتدي بالأسوة الحسنة، ولا تجعلنا ممن يتولى فيخسر، إنك أنت الغني الحميد."

لا تخف... الله معك... وهو عزيز حكيم... وهو غني حميد.

فثق به، وادعه، واستغفره، وكن على يقين بأنه لن يضيعك.

المبحث الثالث

تفسير الآيتين السابعة والثامنة من سورة الممتحنة

﴿عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَوَدَّةً ۚ وَاللهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لَّا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨) ﴾

أولاً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من سلكت طريق البراءة من الكفار، وأعلنت العداوة لهم، وأغلقت باب المودة القلبية معهم، وجاهدت نفسك على التمسك بهذا المنهج رغم صعوبته...

بعد أن تعلمت في الآيات السابقة:

· لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) الآية الأولى(
· إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) الآية الثانية(
· قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم) الآية الرابعة(
· ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) الآية الخامسة(

قد يثور في قلبك سؤال عميق، قد تشعر به في أعماقك ولا تجرؤ على البوح به:

"يا رب، هل العداوة والبغضاء مع كل الكفار إلى الأبد؟ هل كل كافر هو عدو لي بالضرورة؟ ماذا عن أولئك الذين لم يقاتلوني، ولم يخرجوني من داري، ولم يتعرضوا لي بسوء؟ هل يحرم علي أن أبرهم وأحسن إليهم وأقسمط معهم؟ وماذا عن المستقبل ...هل هناك أمل أن تتحول هذه العداوة إلى مودة يوماً ما؟"

هنا تأتي هاتان الآيتان العظيمتان لترد على هذه الأسئلة بمنتهى الوضوح والحكمة والرحمة.

تأمل معي ...الآية السابعة تفتح باباً واسعاً من الأمل: "عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَوَدَّةً" . يا لها من بشارة رائعة! قد ينقلب الحال، وقد تتحول العداوة إلى مودة، والله على ذلك قدير، وهو غفور رحيم يغفر لكم ويرحمكم ويهديهم.

ثم تأتي الآية الثامنة لترسم "الخط الفاصل" في العلاقة مع غير المسلمين: ليس كل كافر تبرأ منه وتحاربه .هناك فرق كبير بين "الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم" وبين "الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم" .مع هؤلاء، لا ينهاكم الله عن البر والإحسان والقسط.

هذا هو الفقه الرباني الدقيق: عداوة وبغضاء لمن قاتلك وحاربك وأخرجك، وبر وعدل وإحسان لمن سالمك ولم يعادك.

تعال ...لنغوص معاً في بحر هاتين الآيتين، لنتعلم متى تكون البراءة والعداوة، ومتى يكون البر و

القسط، ولنفتح قلوبنا على أمل التحول والمودة، ولنستشعر قدرة الله وغفرانه ورحمته.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآيتان

هاتان الآيتان العظيمتان تأتيان لتعالج قضايا عميقة ومهمة، لم تتعرض لها الآيات السابقة بنفس هذا التفصيل، بل تكملها وتوازنها:

القضية الأولى: فتح باب الأمل في تحول العداوة إلى مودة

بعد أن أمرت الآيات السابقة بالبراءة والعداوة والبغضاء للكافرين المحاربين، قد يظن البعض أن هذا ا لأمر مطلق، وأنه لا أمل في تحول هؤلاء الكفار أبداً .هنا تأتي الآية السابعة لتعالج هذه القضية: "عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً" .قد يحدث في المستقبل أن يهدي الله قلوبهم، أو يغير الظروف، فتنقلب العداوة مودة .هذا يمنع اليأس والقنوط، ويبقي باب الأمل مفتوحاً.

القضية الثانية: التفريق بين قسمين من الكفار

ليس كل كافر يُعامَل بنفس الطريقة .الآية الثامنة تفرق تفريقاً دقيقاً بين:

· القسم الأول: الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم) المحاربون العدوانيون .(مع هؤلاء الأ مر واضح: براءة وعداوة.
· القسم الثاني: الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم) المسالمون غير المحاربين .(مع هؤلاء لا نهاي، بل نأمر بالبر والقسط.

هذه القضية تمنع الغلو والتطرف في التعامل مع كل غير مسلم.

القضية الثالثة: إباحة البر والإحسان والقسط مع المسالمين

قد يفهم البعض من الآيات السابقة أن التعامل مع أي كافر محرم مطلقاً .الآية الثامنة تصحح هذا الفهم: "لَّا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ... أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ" .البر) الإحسان والعطاء (و القسط) العدل والإنصاف (مشروعان مع المسالمين، بل هما من محبوبات الله: "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ".

القضية الرابعة: التمييز بين "العداوة الدينية" و"البر الإنساني"

هذا تفريق دقيق: أنت تعادي الكافر دينياً وعقدياً، ولكنك تبره إنسانياً إذا لم يقاتلك .هذه القضية تمنع الخلط بين الكراهية العقدية والظلم الإنساني .يمكنك ألا تحب كفره، ولكنك تحسن إليه وتعدل معه.

القضية الخامسة: وضع ضابط "القتال والإخراج" كفاصل

لم يترك الله الأمر دون ضابط .حدد الضابط الذي يفرق بين من تعاديه ومن تبره: "الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم" .هذا الضابط يجعل الحكم واضحاً قابلا ً للتطبيق في كل زمان ومكان.

القضية السادسة: استحضار قدرة الله ومغفرته ورحمته

الآية السابعة تختم بقدرة الله ومغفرته ورحمته .هذا يعالج قضيتين:

· قدرة الله: يمكنه أن يغير القلوب، وأن يقلب الموازين.
· مغفرة الله ورحمته: يغفر لكم ما كان من تقصير، ويرحمكم ويرحمهم إذا تابوا.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآيتين

ما الذي يريده الله منك من خلال هاتين الآيتين؟

الهدف الأول: فتح باب الألم والرجاء في المستقبل

لا تيأس من هداية الكفار، ولا تجزم بأن العداوة باقية إلى الأبد .قد يجعل الله بينكم وبينهم مودة يوماً ما .هذا يمنع القنوط والتطرف.

الهدف الثاني: بيان ضوابط العلاقة مع الكفار المسالمين

وضع ميزان دقيق للعلاقة مع الكفار، لئلا يظن الناس أن الإسلام يأمر ببغض كل كافر ظلماً وعدواناً.

الهدف الثالث: إباحة البر والقسط وإعلان محبة الله للمقسطين

إعلان شرعية الإحسان والعدل مع غير المحاربين، وأن الله يحب من يفعل ذلك.

الهدف الرابع: إزالة الحرج عن المسلمين الذين لهم جيران أو أقارب أو زملاء من غير المحاربين

كان الصحابة يعيشون في المدينة ومحيطها مع قبائل لم تقاتلهم .الآية تريح ضمائرهم: لستم مذنبين إن أطعتموهم وأحسنتم إليهم.

الهدف الخامس: التمييز بين الأعداء والأصدقاء بناءً على السلوك لا مجرد العقيدة

العبرة ليست فقط بالاعتقاد، بل بالسلوك: هل قاتلوك؟ هل أخرجوك؟ هذا ضابط موضوعي للتعامل.

الهدف السادس: توجيه الدعوة إلى الكفار المسالمين

بالإحسان والعدل، يمكن جذبهم إلى الإسلام، وتحقيق هدف "عسى الله أن يجعل بينكم مودة".

رابعاً: تفسير الآيتين والمعنى العملي لهما

التفسير(

﴿عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾

"عَسَى" من الله واجبة، أي أن هذا الأمر واقع لا محالة، أو أنه قريب الحدوث ."أَن يَجْعَلَ" أي يخلق ويوجد ويصيّر ."بَيْنَكُمْ" أيها المؤمنون ."وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم" أي الذين أعلنتم عداوتهم من الكفار المحاربين ."مَّوَدَّةً" أي محبة قلبية وصداقة وصلة.

المعنى: قريب أن يحدث من الله أن يقلب القلوب، ويغير الأحوال، فيصير بينكم وبين الكفار الذين عاديتموهم مودة ومحبة، إما بإيمانهم ودخولهم في الإسلام، أو بزوال أسباب العداوة وانتفاء أسباب القتال.

﴿وَاللهُ قَدِيرٌ﴾

أي والله على هذا التحويل قادر، فلا تعجبوا من إمكانه .فهو القادر على أن يقلب القلوب في طرفة عين، وعلى أن يغير الأعداء إلى أصدقاء.

﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

أي وهو غفور لكم ولهم إذا تبتم، رحيم بكم وبهم .يغفر لكم ما سلف منكم من تقصير أو خوف، ويرحمكم ويرحمهم إذا أسلموا وأخلصوا.

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾

"لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ" أي لا يمنعكم الله ولا يحرم عليكم ."عَنِ الذِينَ" أن تتعاملوا مع الذين ."لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ" أي لم يحاربوكم بسبب دينكم ."وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ" أي لم يطردوكم من بيوتكم ومدنكم.

هؤلاء هم الكفار المسالمون غير المعتدين .معهم لا نهي ولا تحريم.

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾

"أَن تَبَرُّوهُمْ" مصدر البر، وهو الإحسان والعطاء والصدقة والمودة الإنسانية والرحمة ."وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ" من القسط، وهو العدل والإنصاف .أن تعاملوهم بالعدل في كل شيء: في المعاملة، في القضاء، في الشهادة، في العقود.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ" أي يثيب ويمدح ويرضى ."الْمُقْسِطِينَ" أي العادلين المنصفين في كل تعاملاتهم مع الناس، مسلمهم وكافرهم المسالم.

المعنى العملي للآيتين – كيف تعيشهما في واقعك؟

تطبيق عملي(1) : لا تيأس من هداية الكفار

قد يكون لديك قريب أو جار أو صديق كافر، وقد أغلقت باب قلبك في وجهه ظناً منه أنه لن يؤمن أبداً .تذكر "عسى الله أن يجعل بينكم وبينهم مودة" .ادعهم بالحكمة، وأحسن إليهم، لعل الله يهديهم.

مثال تقريبي: عمر بن الخطاب كان من أشد أعداء الإسلام، فجعل الله بينه وبين النبي ﷺ مودة، وأصبح من أعز أصحابه وأقربهم.

تطبيق عملي(2) : فرّق بين الكافر المحارب والكافر المسالم

لا تخلط بين كل الكفار .هناك كفار يقاتلونك، يخرجونك من دارك، يضطهدونك .أولئك هم أعداؤك . وهناك كفار لم يقاتلوك، ولم يظلموك .مع هؤلاء، أحسن إليهم، واعدل معهم.

تطبيق عملي(3) : في التعامل مع الجيران من غير المسلمين

جارك المسيحي أو اليهودي أو الهندوسي الذي لم يقاتلك، ولم يؤذك، ولم يخرجك من دارك .أنت مأمور ببره وإحسانه والعدل معه .تفتقد مريضه، تهنئه في مناسباته الإنسانية، تتعامل معه بالصدق وا لأمانة.

تطبيق عملي(4) : في العلاقات الدولية والتعامل مع الدول الأخرى

الدول التي لم تقاتل المسلمين، ولم تخرجهم من ديارهم، ولم تساند أعداءهم .يجوز بل يُشرَع التعامل معها بالبر والقسط: التجارة، المعاهدات، التبادل الثقافي، المساعدات الإنسانية.

تطبيق عملي(5) : استشعار قدرة الله ومغفرته ورحمته

عندما تتعامل مع مسالمي الكفار، لا تنس أن الله قدير على تغيير قلوبهم، وغفور لك ولهم، رحيم بك وبهم.

خامساً: تحليل الآيتين وتفكيك دلالاتهما) تفصيل كامل لكل أمر(

الأمر الأول: أمل تحول العداوة إلى مودة ﴿عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾

.1ما معنى "عسى" من الله؟

عسى في اللغة: تفيد التوقع والرجاء .ولكن "عسى" من الله واجبة وليست مترددة .أي أن هذا الأمر

متوقع وقريب الوقوع، أو أنه لا محالة واقع.

.2ما هي "المودة" التي قد يجعلها الله؟

المودة: هي المحبة القلبية والصداقة والميل والوئام .قد تكون:

· بهدايتهم ودخولهم في الإسلام: كما حدث مع عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وغيرهما.
· بزوال أسباب العداوة: كأن يعقد معهم صلح، أو يتحولوا من محاربين إلى مسالمين.

.3لماذا ذكر هذا الأمل هنا بالذات؟

لأن الآيات السابقة تحدثت عن البراءة والعداوة والبغضاء، فخشي بعض المسلمين أن يستمر ذلك إلى الأبد .فأخبرهم الله أن الأمر ليس مغلقاً، بل هناك أمل في التحول.

.4ماذا تفعل هذه العبارة بالقلب المؤمن؟

تغرس في نفسك:

· الأمل: لا تغلق باب الأمل في هداية أحد.
· الرحمة: لا تنسى أنهم بشر يمكن أن يهتدوا.
· حسن الظن بالله: الله قادر على تغيير القلوب.
· عدم القنوط: لا تيأس من روح الله.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الأمل والتفاؤل: حتى في أشد لحظات العداوة، يبقى الأمل في التحول والمودة .هذه الرسالة تحمي نفسك من اليأس والإحباط.
.2رسالة فتح القلب للغير: لا تحبس قلبك عن الأمل في هداية الكفار .هذا يجعلك أكثر رحمة وأكثر قدرة على الدعوة.
.3رسالة الحلم والأناة: لا تستعجل عليهم، فربما يأتي يوم يجعل الله بينكم مودة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة إدراك أن الأحوال تتغير: ما هو اليوم عداوة قد يكون غداً مودة .لا تجمد عقلك على الواقع الحاضر.
.2رسالة فهم قدرة الله على القلوب: الله مقلب القلوب، فثق بقدرته على التغيير.
.3رسالة أن العداوة ليست قدراً محتوماً: بل هي علاقة قابلة للتحول.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تربية النفس على الأمل: لا تعود نفسك على اليأس والقنوط.
.2رسالة تعليم الأبناء ألا ييأسوا من هداية أحد: علمهم أن الله على كل شيء قدير.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة الدعوة المستمرة: لا تتوقف عن دعوتهم، فالعسى من الله قد تتحقق على يديك.
.2رسالة الحسنى في التعامل: تعامل معهم بالأخلاق الحسنة لعلها تكون سبباً في المودة.

الأمر الثاني: إثبات قدرة الله ومغفرته ورحمته ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ ... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

.1ما معنى "قَدِيرٌ" هنا؟

أي أنه قادر على أن يجعل بينكم وبينهم مودة .قادر على أن يقلب القلوب .قادر على أن يحول البغضاء إلى حب.

.2ما معنى "غَفُورٌ رَحِيمٌ"؟

غفور: يغفر الذنوب الكثيرة، ومن ذلك ذنوب الكفار إذا تابوا وأسلموا.
رحيم: يرحم عباده، ومن ذلك رحمته بهم وبكم إذا آمنوا وأخلصوا.

.3لماذا ختم الآية بهذين الاسمين؟

لتأكيد أن التحول من عداوة إلى مودة يأتي بقدرة الله، ويتبعه مغفرته ورحمته لمن تاب وآمن.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة استحضار قدرة الله عند اليأس: إذا أغلقت الأبواب، تذكر أن الله قدير.
.2رسالة استشعار المغفرة والرحمة: لا تحكم على الكفار بالهلاك الأبدي، فالله غفور رحيم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة التوحيد الخالص: لا تقدر على تغيير القلوب إلا الله.
.2رسالة فهم أن الإسلام دين الرحمة: لمن دخل فيه.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم الأسماء الحسنى: علم أبناءك أن الله قدير غفور رحيم.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة كثرة الدعاء: اسأل الله القدرة والمغفرة والرحمة لك ولهم.

الأمر الثالث: تحديد المستثنى من النهي .﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾

.1ما هي صفات الذين لا ينهاكم الله عنهم؟

هذا وصف دقيق للكفار المسالمين غير المحاربين:

· الصفة الأولى: لم يقاتلوكم في الدين .أي لم يحاربوكم بسبب دينكم ومعتقدكم.
· الصفة الثانية: لم يخرجوكم من دياركم .أي لم يهجروكم ويشردوكم من بلادكم.

.2لماذا خص القتال والإخراج؟

لأنهما أعظم صور العدوان .من قاتلك في دينك، فقد آذاك في أعز ما لديك .من أخرجك من دارك، فقد سلبَك أغلى ما تملك من أمن واستقرار .هذان الفعلان هما اللذان يخلقان العداوة المطلقة.

.3ماذا يفعل هذا التحديد بنفسية المسلم؟

· يريح ضميره: من لم يقاتلني ولم يخرجني، أنا حر في التعامل معه.
· يوجه سلوكه: يجعله يفرق بين الأعداء الحقيقيين وغيرهم.
· يمنعه من الغلو: لا يتهم كل كافر بالعداوة تلقائياً.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة إزالة الحرج والذنب: المسلم ليس مذنباً إن أحسن إلى من لم يقاتله.
.2رسالة الشعور بالأمان مع المسالمين: لا كل كافر يبغضك، فمن لم يقاتلك قد يكون صديقاً.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة الموضوعية في الحكم: العبرة بالسلوك، لا بالاعتقاد فقط.
.2رسالة التفريق بين أنواع الكفار: لا يُعمم الحكم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم ضوابط العلاقات: علم أبناءك أن الكفار درجات.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تحليل العلاقات: حلل من حولك: هل قاتلك؟ أخرجك؟ إن لم يفعل، فتعامل معه بالبر و القسط.

الأمر الرابع: إباحة البر والقسط ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾

.1ما هو "البر"؟

البر: الإحسان والعطاء والصدقة والرحمة وحسن الجوار .أن تعطيهم مما آتاك الله، أن تواسيهم، أن تقدم لهم الخير.

.2ما هو "القسط"؟

القسط: العدل والإنصاف .أن تعاملهم بالمساواة في الحقوق والواجبات .لا تظلمهم، لا تأكل حقوقهم، تقف معهم في الحق.

.3الفرق بين البر والقسط

البر هو الإحسان) زيادة عن العدل(، والقسط هو العدل) أصل الحقوق .(البر أعلى من القسط، ولكن ك لاهما مأمور به مع المسالمين.

.4لماذا أباح الله البر والقسط معهم؟

لأنهم لم يعتدوا، فلا وجه لمعاداتهم .لأن الإسلام دين الرحمة والعدل .لأن هذه الأخلاق الحسنة قد تكون سبباً في هدايتهم.

.5ماذا تفعل هذه العبارة بنفسية المسلم؟

· توسع دائرة التعامل: لا ينحصر التعامل مع المسلمين فقط.
· ترفع الأخلاق: تدفعه إلى الإحسان والعدل.
· تجعله داعية بالحال: بره وإحسانه قد يجذبه إلى الإسلام.

.6الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة طمأنة الضمير: إحسانك إلى الكافر المسالم ليس خيانة للإسلام.
.2رسالة الشعور بالقوة الأخلاقية: أنت قادر على العفو والإحسان.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم حكمة الإسلام: الإسلام دين العدل والرحمة.
.2رسالة التفريق بين العداوة الدينية والبغض الشخصي: أنت تكره كفره، لا تكره إنسانيته.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على العدل: علم أبناءك العدل مع الجميع.
.2رسالة التربية على الإحسان: لا تبخل بالإحسان على من يستحق.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تطبيق البر: تصدق على جارك المسيحي إن كان فقيراً، وافتح له باب بيتك.
.2رسالة تطبيق القسط: عامل الموظف أو الزميل غير المسلم بالعدل.

الأمر الخامس: محبة الله للمقسطين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

.1ما معنى محبة الله للمقسطين؟

محبة الله: هي الثواب والمدح والرضى .من اتصف بالقسط) العدل (مع الناس جميعاً، يحبه الله ويرضى عنه ويثيبه.

.2لماذا خص المقسطين بالحب؟

لأن العدل من أجلّ الأخلاق وأعظمها .به تقوم السماوات والأرض .والله يحب من يتحلى بصفاته من عدله.

.3ماذا يفعل هذا الإعلان بنفسية المسلم؟

· يدفعه إلى العدل: طلباً لمحبة الله.
· يرفع همته: ليعمل ليصل إلى هذه المرتبة.
· يذكره بأن الله يراقبه: من أحبه الله، كان معه ونصره.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية) تفصيلا ً(

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الدافع للعدل: رغبة في نيل محبة الله.
.2رسالة الشعور بالعزة: من أحبه الله، عزيز مكرم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم أن العدل مطلوب حتى مع المخالف: ليس العدل خاصاً بالمؤمنين.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم الأبناء العدل: اجعل محبة الله حافزاً لهم.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تطبيق العدل في كل مجالات الحياة.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآيتين

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هاتان الآيتان؟

تريد منك هاتان الآيتان:

1.ألا تيأس من هداية الكفار، وألا تحكم على أحد بالعداوة المؤبدة.
2.أن تفرق بين الكفار المحاربين والكفار المسالمين، ولكل حكمه.
3.أن تبر وتقسط على من لم يقاتلك ولم يخرجك، فهذا من دينك وأخلاقك.
4.أن تستشعر قدرة الله على تغيير القلوب، فتكثر من الدعاء لهم.
5.أن تطلب محبة الله بالعدل، فهو يحب المقسطين.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآيتين فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هاتين الآيتين فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليهما بوصفهما "ميزان العلاقة مع غير المسلمين" و "دستور التعايش السلمي" و"باب الأمل في مستقبل العلاقات".

الفهم العميق الأول: العداوة ليست قدراً محتوماً، بل علاقة قابلة للتغير

الآية السابعة تعلن أن العداوة التي بينكم وبين الكفار المحاربين ليست أمراً أبدياً لا يتغير .الله قادر على أن يقلب الموازين، ويجعل بينكم مودة .هذا يمنع الجمود الفكري، ويفتح باب الدعوة والأمل.

الفهم العميق الثاني: الإسلام يفرق بين "العدو العقدي" و"العدو السلوكي"

العدو العقدي: هو من كفر بـالله، وهذا يُبغض بغضاً دينياً من حيث المبدأ .لكن هذا البغض العقدي لا يتحول إلى عداوة سلوكية ظالمة إلا إذا قاتلك وأخرجك .من لم يقاتلك ولم يخرجك، فليس عدوك في السلوك، وإن كان عدواً لك في العقيدة .هذا تفريق دقيق يحتاج إلى وعي.

الفهم العميق الثالث: البر والقسط ليسا مودة قلبية

الآية لا تأمرك بمودة الكفار المسالمين قلبياً، بل تأمرك بالبر والقسط معهم .البر: إحسان وعطاء .القسط: عدل .أما المودة القلبية فهي لا تكون إلا لمن آمن .فلا تخلط بينهما.

الفهم العميق الرابع: "عسى" تفتح باب الاستشراف الإيجابي

بدلاً من أن تنظر إلى المستقبل بتشاؤم وخوف، "عسى" تدعوك إلى النظر بتفاؤل وأمل .قد يصبح أعداؤك اليوم أصدقاءك غداً.

الفهم العميق الخامس: الإسلام دين واقعي لا مثالي

لا يطلب منك الإسلام أن تحب كل الناس بلا تمييز، ولا أن تبغض كل الناس بلا تمييز .بل يضع ضوابط واقعية: قاتلك فأعلن عداوته، سالمك فأحسن إليه.

خلاصة الفهم العميق:

الآيتان تؤسسان لفقه العلاقات الدولية والإنسانية في الإسلام: عداوة للمحاربين، وبر للمسالمين، وأمل في تحول العلاقات، وعدل مع الجميع.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر) المحور التأسيسي(:

1.درس "فتح باب الأمل": لا تغلق باب الأمل في هداية أحد، فـالله مقلب القلوب.
2.درس "التفريق بين الكفار": ليس كل كافر عدواً محارباً.
3.درس "جواز البر والإحسان" للمسالمين.
4.درس "وجوب العدل" مع الجميع.

.5درس "محبة الله للمقسطين" حافز للعدل.

التطبيقات العملية:

· تطبيق(1) : ادعُ لجارك غير المسلم بالهداية ولا تيأس.
· تطبيق(2) : حلل من حولك: من قاتلك؟ من لم يقاتلك؟ عامل كلا ً بما يستحق.
· تطبيق(3) : تصدق على فقير غير مسالم، وأعنه في حاجته.
· تطبيق(4) : احكم بالعدل في قضية بينك وبين غير مسلم.
· تطبيق(5) : ادرس سيرة النبي ﷺ في تعامله مع المشركين المسالمين.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآيتين

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة التعامل مع الأمل والألم: كيف تتمسك بالأمل في تغيير الآخرين.
.2مهارة التفريق بين أنواع المخالفين: تصنيف الناس بناءً على سلوكهم.
.3مهارة البر والإحسان مع المخالف: كيف تعطي وتتصدق وتحسن.
.4مهارة العدل مع المختلف: كيف تكون عادلا ً مع من لا يوافقك.
.5مهارة استحضار قدرة الله: في تغيير القلوب والأحوال.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة تحليل النصوص: فهم "عسى" و"لا ينهاكم" و"إن الله يحب".
.2مهارة التفريق بين المودة والبر والقسط: مفاهيم دقيقة.
.3مهارة فهم ضوابط العلاقات الدولية في الإسلام.
.4مهارة التمييز بين المحارب والمسالم.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة بناء العلاقات مع غير المحاربين.
.2مهارة الدعوة بالحسنى والقدوة العملية.
.3مهارة حل النزاعات بالعدل.
.4مهارة استثمار الأمل في التغيير.
.5مهارة تطبيق القسط في المعاملات اليومية.

الأمر الخامس: كيف تغير الآيتان نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من اليأس إلى الأمل

النظرة القديمة: كنت تظن أن الكفار أعداء إلى الأبد، ولا أمل في تغييرهم.

النظرة الجديدة: عرفت أن "عسى الله أن يجعل بينكم وبينهم مودة" .فتحت باب الأمل.

التغيير الثاني: من التعميم إلى التفريق

النظرة القديمة: كنت تنظر إلى كل غير مسلم على أنه عدو.

النظرة الجديدة: عرفت أن هناك فرقاً بين من قاتلك ومن لم يقاتلك.

التغيير الثالث: من المنع إلى الإباحة

النظرة القديمة: كنت تظن أن الإحسان والعدل مع غير المسلم محرم.

النظرة الجديدة: عرفت أن الله لا ينهاك عن البر والقسط مع المسالمين.

التغيير الرابع: من القسوة إلى الرحمة

النظرة القديمة: كانت العلاقة مع المخالف قائمة على القسوة والجفاء.

النظرة الجديدة: البر والقسط يزرعان الرحمة والعدل.

التغيير الخامس: من العداوة المطلقة إلى المودة المحتملة

النظرة القديمة: عداوة أبدية لا تنتهي.

النظرة الجديدة: عداوة قابلة للتحول إلى مودة بقدرة الله.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآيتين في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "قاعدة التصنيف الثلاثي"

صنف الناس في حياتك إلى ثلاث فئات:

· الفئة الأولى) الأعداء المحاربون(: الذين يقاتلونك ويخرجونك من دارك .معهم براءة وعداوة.
· الفئة الثانية) المسالمون(: الذين لم يقاتلوك .معهم بر وعدل.
· الفئة الثالثة) المسلمون(: معهم مودة ومحبة.

راجع هذا التصنيف أسبوعياً.

الاستراتيجية الثانية: "دفتر الأمل"

اكتب أسماء الكفار المحاربين الذين تعرفهم، وادع لهم كل يوم: "اللّهم اهدهم، واجعل بيننا وبينهم مودة".

الاستراتيجية الثالثة: "مشروع البر مع الجار"

اختر جاراً غير مسالم لم يقاتلك، وخصص له عملا ً من أعمال البر شهرياً: هدية، خدمة، مساعدة.

الاستراتيجية الرابعة: "ميزان القسط اليومي"

كل مساء، اسأل نفسك: هل اليوم عدلت في معاملاتي مع المخالفين؟ هل ظلمت أحداً؟

الاستراتيجية الخامسة: "تذكير بالقدرة"

عند الشعور باليأس من هداية أحد، تذكر: "والله قدير" .قل: "اللّهم إنك على كل شيء قدير، فاهدِ فلا نا".

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآيتين

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآيتين

البعد العقدي: إثبات قدرة الله ومغفرته ورحمته، وبيان أن الله يحب المقسطين.
البعد النفسي: غرس الأمل، وطرد اليأس، وطمأنة القلوب.
البعد الاجتماعي: تحديد العلاقة مع غير المسلمين في المجتمع الواحد.
البعد السياسي: وضع أسس العلاقات الدولية في الإسلام.
البعد الأخلاقي: الحث على البر والعدل حتى مع المخالفين.
البعد الدعوي: فتح باب الدعوة بالإحسان والقدوة.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآيتان

في نفس المسلم:

· قيمة الأمل وعدم اليأس.
· قيمة التمييز والموضوعية.
· قيمة البر والإحسان.
· قيمة العدل والقسط.
· قيمة استشعار قدرة الله.

في المجتمع المسلم:

· قيمة التسامح مع المسالمين.
· قيمة العدل مع الجميع.
· قيمة حسن الجوار.
· قيمة بناء الجسور مع المخالفين غير المعادين.

في الدولة المسلمة:

· قيمة السياسة الخارجية الواقعية.
· قيمة العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة.
· قيمة العدل في المعاهدات والاتفاقيات.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآيتين في حياتنا

.1مفهوم "المودة المحتملة" بدلا ً من العداوة الأبدية.
.2مفهوم "التفريق بين الكفار") محارب ومسالم.(
.3مفهوم "البر" كإحسان فوق العدل.
.4مفهوم "القسط" كعدل أساسي.
.5مفهوم "محبة الله للمقسطين" كحافز.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

المفاهيم النفسية:

· الأمل مقابل اليأس.
· طمأنينة القلب بإباحة البر.
· الشعور بالمسؤولية الأخلاقية.

المفاهيم الفكرية:

· فهم فقه الأولويات والعلاقات.
· التمييز بين مختلف أنواع المخالفين.
· فهم السنن الإلهية في تغيير القلوب.

المفاهيم التربوية:

· تعليم التسامح في حدود الشرع.
· تعليم العدل مع المخالف.
· تعليم الأمل في هداية الآخرين.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

.1بناء المجتمع على العدل: حتى مع غير المسلمين.
.2تنمية العلاقات الدولية القائمة على البر والقسط.
.3بناء الإنسان على الأمل والإيجابية.
.4تطوير خطاب التسامح الإسلامي الأصيل.

الأمر السادس: دور الآيتين في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني: من التفكير الثنائي) إما حب مطلق أو بغض مطلق (إلى التفكير الثلاثي)محارب فعداوة، مسالم فبر.(
إعادة التشكيل النفسي: من اليأس إلى الأمل، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن الخوف إلى الطمأنينة.
إعادة التشكيل الفكري: من التعميم إلى التفريق، ومن الجمود إلى المرونة.

الصورة التي يريدها الله منك) المؤمن الرباني(:

من خلال هاتين الآيتين، يريد الله لك أن تكون إنساناً:

1.متفائلا ً: عسى الله أن يجعل مودة.
2.مميزاً: تعرف عدووك من مسالميك.
3.محسناً: تبر من لم يقاتلك.
4.عادلا ً: تقسط مع الجميع.
5.محبوباً لله: بفضله ورحمته.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت تتدبر هاتين الآيتين ...وتنظر حولك...

كم من جار غير مسلم لم يقاتلك، ولم يخرجك من دارك؟ كم من زميل عمل أو صديق دراسة لم يعادِ دينك؟ كم من دولة لم تحاربك؟

هذه الآيات تفتح لك باباً جديداً: باب البر والإحسان والعدل.

لا تكن قاسياً مع كل من اختلف معك في الدين .لا تجعل عداوة المحاربين تسلبك رحمتك مع المسالمين.

الله يحب المقسطين ...فكن من المقسطين.
الله قدير على تغيير القلوب ...فادعُ لهدايتهم.
الله غفور رحيم ...فاغفر لهم وتجاوز.

وعد الله: "عَسَى اللهُ أن يَجْعَلَ بَيْنَكمْ وَبَيْنَ الذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَوَدَّة".

من يدري؟ لعل الذي يجلس أمامك اليوم كافراً، يكون غداً أخاً لك في الإسلام، صديقاً حميماً.

لا تغلق قلبك ...لا تغلق باب بيتك ...لا تغلق باب الخير...

وتذكر دائماً: الإسلام دين الرحمة والعدل، لا دين التطرف والغلظة.

والله يحب المقسطين ...فكن منهم.

المبحث الرابع

تفسير الآية التاسعة من سورة الممتحنة

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ قَاتَلُوكمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكم مِّن دِيَارِكمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

أولا ً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من قطعت مع الله عهداً على أن تكون على بصيرة من أمرك، يا من تريد أن تعرف حدود العلاقة مع المخالفين بدقة متناهية...

بعد أن سمعت في الآية الثامنة قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، وبعد أن فهمت أن البر والقسط مباحان مع الكفار المسالمين الذين لم يعتدوا عليك، قد يثور في نفسك سؤال عكسي مهم:

"إذا كان الله لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم، فمن هم الذين ينهاكم عنهم؟ وما هو النهي بالضبط؟ ولماذا هذا التفصيل الدقيق؟"

هنا تأتي هذه الآية التاسعة لترسم الخط الأحمر القاطع، ولتحدد فئة واحدة فقط هي التي ثهينا عن موالاتها، ولتضع صفات ثلاثة لا بد من اجتماعها أو أغلبها فيمن نتبرأ منه ونعاديه.

تأمل معي... الآية الثامنة كانت في جانب الإباحة (لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم)، وهذه الآية التاسعة في جانب التحريم (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم). هذا الأسلوب القرآني البديع (الإباحة في آية، والتحريم في التي تليها) يقطع الطريق على كل من يحاول التلبيس أو الخلط بين الأحكام.

وتأمل معي دقة الوصف الإلهي: لم يقل "عن الذين كفروا" فقط، بل وصفهم بثلاثة أوصاف مترابطة:

1. قاتلوكم في الدين - أي بذلوا جهدهم في حربكم بسبب إيمانكم.
2. أخرجوكم من دياركم - أي شرّدوكم من أوطانكم وآمنكم.
3. ظاهروا على إخراجكم - أي تعاونوا وتآزروا مع غيرهم لإخراجكم.

هؤلاء هم الذين ينهاكم الله عن موالاتهم. أما من دونهم فلكم أن تبروهم وتقسطوا إليهم.

ثم تختم الآية بوعيد شديد: "وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" - ليس عادياً، ولا مخطئاً، بل ظالم. ظلم نفسه وظلم غيره وظلم الحق.

تعال... لنغوص معاً في بحر هذه الآية الواحدة، فهي وحدها كافية لترسيخ مبدأ "الولاء والبراء" في أذهاننا، ولتفكيك أي التباس حول حقيقة علاقتنا مع غير المسلمين.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

هذه الآية العظيمة تأتي لتعالج قضايا عميقة ومهمة، وهي في الحقيقة تكمل وتفصل ما أجمله غيرها:

القضية الأولى: تحديد المنهي عن موالاتهم بدقة

بعد أن أباحت الآية الثامنة البر والقسط مع المسالمين، كان لا بد من تحديد من هم الذين ثهينا عن موالاتهم. الآية التاسعة تحددهم بثلاث صفات واضحة لا لبس فيها.

القضية الثانية: وضع ضوابط للعداوة (القتال والإخراج والمظاهرة)

ليس كل كافر ثنهى عن موالاته. الكافر المسالم الذي لم يقاتلك، ولم يخرجك، ولم يظاهر على إخراجك، لا يُنهى عن موالاته (بمعنى البر والقسط، لا المودة القلبية). أما من جمع هذه الصفات أو بعضها، فهو المحرم.

القضية الثالثة: بيان أن النهي هو عن "الموالاة" لا عن مطلق التعامل

الآية تقول "أن تولوهم" أي تتخذوهم أولياء وأصدقاء وأنصاراً. أما مجرد التعامل التجاري أو المهني أو الإنساني معهم، فلم تتعرض له الآية.

القضية الرابعة: تفنيد عذر "الظروف" و"الاضطرار"

قد يقول قائل: "نعم، هم قاتلونا وأخرجونا، لكن الظروف تغيرت، ونحن مضطرون لموالاتهم". الآية لا تترك مجالاً للأعذار في هذه الحالة، وتصف من يتولاهم بالظالم.

القضية الخامسة: بيان الفرق بين "النهي" في الآية الثامنة (لا ينهاكم) و"النهي" في هذه الآية (إنما ينهاكم)

استخدام "إنما" في بداية الآية يفيد الحصر. أي أن النهي عن موالاة الكفار ليس مطلقاً، بل هو محصور في هؤلاء الموصوفين بالقتال والإخراج والمظاهرة.

القضية السادسة: بيان عاقبة موالاة هؤلاء (الظلم)

ليس الأمر مجرد معصية عابرة، بل هو ظلم. وصف الله من يوالي هؤلاء بالظالمين. والظلم ظلمات يوم القيامة.

القضية السابعة: رفع الحرج عن المسلمين في موالاتهم

قد يشعر بعض المسلمين بالحرج من التعامل بالبر والقسط مع الكفار المسالمين ظناً منهم أن كل كفر هو عدو. الآية ترفع هذا الحرج.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله منك من خلال هذه الآية العظيمة؟

الهدف الأول: تحديد العدو الحقيقي بدقة

ليس كل من اختلف معك في الدين هو عدوك. العدو الحقيقي هو من قاتلك وأخرجك وظاهر على إخراجك. هذا يمنع التوسع في دائرة الأعداء.

الهدف الثاني: حماية المجتمع المسلم من الاختراق

لا ينبغي للمسلمين أن يتخذوا أولياء من الذين قاتلوهم وأخرجوهم، لأن ذلك سيكون خيانة وطعنة في ظهر الأمة.

الهدف الثالث: تفريق الصف بين الأعداء الحقيقيين والآخرين

بتمييز العدو الحقيقي، يستطيع المسلمون تركيز جهودهم على من يستحق العداوة، وعدم تشتيت أنفسهم بعداوة من لا يستحقها.

الهدف الرابع: إقامة العدل حتى في الحرب

حتى في موالاة الأعداء، هناك تفصيل. من قاتلك هو الذي تُعاديه، ومن لم يقاتلك يجوز بل يجب أن تبره وتقسط إليه.

الهدف الخامس: تحذير المسلمين من الظلم بالانحياز إلى الأعداء

موالاة الذين قاتلوا وأخرجوا وظاهروا هو ظلم عظيم. هذا الهدف يربى في نفس المسلم حب العدل وبغض الظلم.

الهدف السادس: تثبيت قاعدة "الولاء والبراء" على أسس موضوعية

ليست العلاقة مع الكفار مبنية على الأهواء أو العواطف، بل على أسس موضوعية: القتال والإخراج و المظاهرة.

الهدف السابع: ردع المسلمين عن التهاون في موالاة الأعداء

بوصف من يفعل ذلك بالظالمين، وهو وصف ثقيل على النفس، يردع المسلم عن هذا الفعل.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

التفسير
﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾

"إِنَّمَا" أداة حصر، تفيد أن النهي محصور في هؤلاء فقط. "يَنْهَاكُمُ اللَّهُ" يمنعكم ويحرم عليكم. "عَنِ الَّذِينَ" عن موالاة الذين. "قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ" أي حاربوكم بسبب دينكم وإيمانكم، وليس بسبب خلاف شخصي أو اقتصادي.

أي أن النهي عن موالاة الكفار ليس مطلقاً، بل هو مقصور على الذين بادروا بمحاربتكم بسبب دينكم.

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾

"وَأَخْرَجُوكُمْ" أي طردوكم من بيوتكم ومدنكم وقراكم. "مِّن دِيَارِكُمْ" من أماكن سكنكم واستقراركم التي أمنتم فيها.

هذا وصف ثانٍ، يزيد من قبح فعلهم. ليس فقط قاتلوكم، بل شرّدوكم من أوطانكم.

﴿وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾

"وَظَاهَرُوا" أي تعاونوا وتآزروا وشد بعضهم أزر بعض. "عَلَى إِخْرَاجِكُمْ" أي على إخراجكم من دياركم، بأن ساعد بعضهم بعضاً في هذا الإخراج.

هذا وصف ثالث، يبين أنهم لم يكتفوا بفعل الشر بأنفسهم، بل استعانوا بغيرهم وتآزروا عليه.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾

"أَن تَوَلَّوْهُمْ" أي أن تتخذوهم أولياء وأصدقاء وأنصاراً وأحباء، وتنصروهم وتؤازروهم.

هذا هو المنهي عنه: تولي هؤلاء الموصوفين بتلك الصفات.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

"وَمَن يَتَوَلَّهُمْ" وأي إنسان يتخذهم أولياء. "فَأُولَئِكَ" فأولئك الناس. "هُمُ الظَّالِمُونَ" هم الظالمون حقاً، الذين وضعوا الموالاة في غير موضعها، وآثروا أعداء الله على حب الله ورسوله والمؤمنين.

المعنى العملي للآية – كيف تعيشها في واقعك؟

تطبيق عملي (1): لا تخلط بين المسالم والمعتدي

عندما تتعامل مع غير المسلمين، اسأل نفسك: هل هذا الشخص أو هذه الجماعة أو هذه الدولة قاتلت المسلمين؟ هل أخرجتهم من ديارهم؟ هل ظاهرت على إخراجهم؟ إن كان الجواب لا، فلك أن تبرهم وتقسط إليهم. إن كان الجواب نعم، فإياك وموالاتهم.

تطبيق عملي (2): راجع موالاتك في ظل الصراعات المعاصرة

في عصرنا، هناك دول وجماعات قاتلت المسلمين واحتلت أراضيهم وأخرجوهم من ديارهم. هذه الآية تحرم موالاتهم. لا تكن من الذين يوالون المحتل والمعتدي بحجة "التطبيع" أو "المصلحة".

تطبيق عملي (3): لا تسوّغ موالاة المعتدين بظروفك

قد تقول: "نعم، هم قاتلوا المسلمين وأخرجوهم، لكن لي عندهم مصالح، أو أنا أعيش في بلادهم، أو أنا خائف عليهم". الآية تقول: من يتولهم فأولئك هم الظالمون. الظروف لا تبرر الظلم.

تطبيق عملي (4): كن واضحاً في موقفك من المعتدين

لا تمدحهم، لا تنصرهم، لا تتخذهم أصدقاء حميمين، لا تفضي إليهم بأسرار المسلمين، لا تؤيدهم في عدوانهم. هذا هو معنى "لا تتولوهم".

تطبيق عملي (5): تذكر وصف "الظالمين" عند الميل لموالاتهم

كلما مالت نفسك إلى موالاة من قاتل المسلمين وأخرجهم، تذكر أن الله وصف من يفعل ذلك بـ الظالمين. والظالمون في النار. فاحذر.

مثال تقريبي (1): التعامل مع الاحتلال

دولة احتلت أرض المسلمين، وأخرجت أهلها من ديارهم، وقتلت فيهم، وظاهرت عليها دول أخرى. هذه الآية تحرم موالاتها. لا يحل لك أن تتخذها ولياً، أو تنصرها، أو تفضي إليها بأسرار المسلمين.

مثال تقريبي (2): التعامل مع الجار المسالم

جارك غير المسلم الذي لم يقاتلك، ولم يخرجك من دارك، بل يعيش معك في سلام. هذه الآية لا تنهى عن بره والقسط إليه. بل تأمرك بأن تحسن إليه وتعدل معه.

خامساً: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: حصر النهي ·{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ}·

.1ما معنى "إنما" في بداية الآية؟) دراسة بلاغية(

"إنما" أداة حصر وقصر .تفيد أن النهي عن موالاة الكفار ليس مطلقاً ولا عاماً، بل هو محصور ومقيد بفئة معينة .هذا الأسلوب القرآني البديع يمنع الفهم الخاطئ للآيات السابقة التي قد توحي بعموم النهي.

الفائدة البلاغية: لو قال "ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم" بدون "إنما"، لأمكن أن يفهم أن هناك نواهي أخرى عن غيرهم. لكن "إنما" تفيد الحصر، أي أن النهي مقصور على هؤلاء فقط.

.2ماذا تفعل "إنما" بنفسية المؤمن؟

· ترفع الحرج: ليس كل كافر نهيت عن موالاته .هناك من لم ينه الله عن موالاتهم) بمعنى البر و القسط.(
· تمنع الغلو: لا تتهم كل غير مسلم بالعداوة.
· تضبط السلوك: تجعلك تبحث عن الصفات قبل أن تحكم.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة رفع القلق والاضطراب النفسي: كان المسلمون يشعرون بالحرج والقلق من التعامل مع كل غير مسلم .هذه الآية ترفع هذا القلق وتريح نفوسهم.
.2رسالة الشعور بالثقة في دين الله: عندما ترى دقة الإسلام في التفريق بين أنواع المخالفين، تزداد ثقتك بأن هذا الدين من عند الله العليم الحكيم.
.3رسالة إزالة عقدة "العداوة المطلقة": لا تحمل في قلبك عداوة لكل غير مسلم، بل عداوة لمن يستحقها.

ثانياً: الرسائل العقلية (كيف يفكر عقلك):

.1رسالة مبدأ "القصر والحصر": فهم أن النهي عن موالاة الكفار ليس مطلقاً، بل له شروط وقيود .هذا

يمنع التفكير الثنائي البسيط.
.2رسالة أهمية التفصيل في الأحكام: لا تأخذ الأحكام بشكل مطلق، بل ابحث عن القيود والشروط . هذا يطور مهارة التفكير النقدي.
.3رسالة الفرق بين النهي عن الشيء وإباحة غيره: النهي عن موالاة البعض لا يعني إباحة موالاة البعض الآخر، بل هناك منطقة وسطى) البر والقسط.(

ثالثاً: الرسائل التربوية (لتربية نفسك ومن تحت يدك):

.1رسالة تعليم "فقه الأولويات" في العلاقات: علم أبناءك أن علاقتهم بالناس درجات، وليست علاقة واحدة.
.2رسالة تعليم دقة التعبير القرآني: عندما تقرأ القرآن، انتبه إلى أدوات الحصر كـ "إنما"، فهي تغير المعنى بالكامل.
.3رسالة التربية على عدم الغلو والتطرف: لا تجعل من دينك سبباً في عداوة كل من خالفك.

رابعاً: الرسائل العملية (لواقعك اليومي):

.1رسالة وقف إطلاق الأحكام: قبل أن تحكم على أي شخص أو جماعة بأنهم أعداء، ابحث: هل قاتلوك؟ أخرجوك؟ ظاهروا على إخراجك؟
.2رسالة تصنيف الناس: قسم الناس في حياتك إلى أقسام) محارب، مسالم، مؤمن (وعامل كلا ً بما يستحق.
.3رسالة عدم تعميم تجاربك السابقة: لا تجعل عداوة بعض الكفار تدفعك إلى عداوة كل الكفار.

الأمر الثاني: صفات المنهي عن موالاتهم (الثلاث صفات)

الصفة الأولى: ﴿قاتلوكمْ في الدّين﴾

.1ما معنى "قاتلوكم في الدين"؟

القتال هنا: هو المحاربة والمقاتلة. "في الدين": أي بسبب الدين، أي أن الدافع للقتال هو عداوة الإسلام والمسلمين. هذا يفرق بين من قاتلك لخلاف شخصي أو اقتصادي، وبين من قاتلك لأنك مسلم.

.2لماذا اشترط الله "في الدين"؟

لأن من قاتلك لسبب غير ديني (كخلاف على أرض أو مال)، ليس بالضرورة أن يكون عدواً لك في الدين. قد تتصالح معه أو تبره وتقسط إليه.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة تحديد العدو الحقيقي: عدوك الحقيقي هو من يعادي إيمانك، لا من يختلف معك في المصالح.
.2رسالة عدم تحويل الخلافات الشخصية إلى عداوة دينية: لا تجعل كل من أخطأ في حقك عدواً للدين.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم الدوافع: قبل أن تحكم على شخص بعداوة، فهم دافعه.
.2رسالة التفريق بين أنواع القتال: قتال في الدين، وقتال في الدنيا.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم عدم المبالغة: لا تتهم كل مخالف بأنه يحارب الدين.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة التحقق من النوايا: هل هذا الشخص يقاتلك حقاً لأنك مسلم؟

الصفة الثانية: ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾

.1ما معنى "أخرجوكم من دياركم"؟

الإخراج: الإجلاء والطرد والتشريد. "دياركم": أوطانكم وبيوتكم ومدنكم. هذا أشد من القتال، لأنه انتهاك للأمن والسكن والاستقرار.

.2لماذا خص الإخراج؟

لأنه من أشد أنواع العدوان. الذي يخرجك من دارك يسلبك أمنك واستقرارك وكرامتك. هذا لا يغتفر، ويستوجب البراءة والعداوة.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولاً: الرسائل النفسية:

.1رسالة استشعار ألم التشريد: عندما تتذكر أن بعض الكفار أخرجوا المسلمين من ديارهم، يزيد ذلك في بغضهم وعدم موالاتهم.
.2رسالة تقدير نعمة الأمن والاستقرار: تذكر نعمة الله عليك بالديار الآمنة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم جسامة جريمة الإخراج: ليست مجرد خلاف، بل جريمة كبرى.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم حرمة المساكن والأوطان.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة مناصرة المستضعفين المطرودين من ديارهم.

الصفة الثالثة: ﴿وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾

.1ما معنى "ظاهروا"؟

مفاعلة من الظهر، أي تعاونوا وتآزروا وشد بعضهم أزر بعض. الظهار هو التعاون على الشيء، كل يعين الآخر بظهره.

.2لماذا أضاف هذه الصفة الثالثة؟

لأنه قد يكون هناك من لم يباشر القتل أو الإخراج بنفسه، لكنه ساعد وساند وأعان. هذا شريك في ا لإثم والعدوان. وهو داخل في النهي.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولاً: الرسائل النفسية:

.1رسالة عدم التبرؤ بالمشاركة غير المباشرة: لا تقل: أنا لم أقاتل، أنا لم أخرج، فقط ساعدت قليلاً . المشاركة في الظلم ظلم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة مفهوم المسؤولية الجماعية: من ساعد على العدوان فهو شريك فيه.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على عدم التعاون على الإثم والعدوان.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة مقاطعة كل من يعاون على إخراج المسلمين من ديارهم.

الأمر الثالث: النهي عن الموالاة ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾

.1ما معنى "تولوهم"؟

التولي: مصدر تولى، وهو اتخاذ الولي (الصديق الحميم، الناصر، المحبوب). يشمل:

· المودة القلبية.
· النصرة والتأييد.
· كشف الأسرار.
· الاعتماد عليهم والثقة بهم.
· اتخاذهم بطانة وأصدقاء.

.2لماذا النهي عن الموالاة فقط، وليس عن البر والقسط؟

لأن الموالاة أعمق من البر والقسط. البر: إحسان وعطاء. القسط: عدل. أما الموالاة: فمودة قلبية وتعلق. فالبر والقسط لا يعنيان أنك تتخذهم أولياء.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة تأطير المشاعر: أنت تبر وتقسط ولا توالى .هذا يضبط مشاعرك تجاههم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة التفريق بين درجات العلاقة: لا تساو بين الإحسان والموالاة.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم معنى "الولي" وأبعاده المختلفة.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة مراقبة حدود العلاقة: كم أنت قريب منهم؟ هل هذا قرب وبر أم قرب موالاة؟

الأمر الرابع: وصف من يتولاهم بالظالمين ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

.1ما معنى "الظالمون" هنا؟

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والظلم أنواع:

· ظلم النفس: بوضعها في موضع الخطر والغضب الإلهي.

· ظلم الحق: بتقديم حب أعداء الله على حب الله.
· ظلم المجتمع: بتعريضه للخطر بإفشاء أسراره لأعدائه.

.2لماذا هذا الوعيد الشديد؟

لأن موالاة الأعداء المحاربين هي خيانة عظمى لله ولرسوله وللمؤمنين. وهي مكيدة في الإسلام.

.3ماذا تفعل هذه التسمية بنفسية المؤمن؟

· تزرع الخوف: أن يتصف بهذا الوصف.
· تزرع الحذر: لا يتهاون في هذا الأمر.
· تزرع العزة: لا يذل بموالاة الأعداء.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الخوف من الظلم: الظلم ظلمات يوم القيامة.
.2رسالة الشعور بالذنب: من والاهم يشعر أنه ظلم نفسه ودينه.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة إدراك عِظم الجريمة: ليست معصية بسيطة، بل ظلم عظيم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على العدل ونبذ الظلم.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة محاسبة النفس: هل أنا واليت أحداً من هؤلاء؟ هل أنا ظالم؟

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هذه الآية؟

تريد منك هذه الآية:

.1ألا توسع دائرة أعدائك: ليس كل كافر عدوك، بل من قاتلك وأخرجك.
.2أن تفرق بين المحارب والمسالم: لكل حكمه.
.3ألا توالِ من قاتلك وأخرجك: هذا ظلم عظيم.
.4أن تبر وتقسط للمسالمين: هذا من دينك وأخلاقك.
.5أن تعلم أن موالاة المعتدين ظلم: تذكره دائماً.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هذه الآية فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليها بوصفها "معادلة الضبط" في العلاقة مع غير المسلمين، و"القانون الجنائي" للخيانة الكبرى.

الفهم العميق الأول: الإسلام لا يحارب "الكفر" المجرد، بل يحارب "العدوان"

الإسلام دين السلام. لا يحارب أحداً لمجرد أنه كافر. إنما يحارب من قاتل المسلمين وأخرجهم من ديارهم. هذا معنى عميق يجهله كثير من المنتقدين للإسلام.

الفهم العميق الثاني: "القتال في الدين" يعني حرب الهوية

"قاتلوكم في الدين" أي حاربوكم بسبب هويتكم الإسلامية .هذه حرب وجودية، وليست خلافاً عابراً . من يفعل ذلك فهو عدو.

الفهم العميق الثالث: الإخراج من الديار جريمة ضد الإنسانية والأمن

التشريد والتهجير من أشد الجرائم. الذي يخرج الناس من ديارهم يزرع الكراهية والعداوة. هذه الآية تؤكد أن الإخراج جريمة تستوجب البراءة.

الفهم العميق الرابع: الظهار (التعاون) على العدوان جريمة

من لم يفعل الشر بنفسه، لكنه ساعد عليه، هو شريك. المعاون شريك في الإثم.

الفهم العميق الخامس: "الولاية" أعمق من "البر"

البر والقسط مع المسالمين لا يعني الولاية. الولاية محصورة في المؤمنين. هذا التفريق العميق يضبط العلاقات.

خلاصة الفهم العميق:

الآية تؤسس لنظرية "العدو المحدد" في الإسلام. ليس كل كافر عدواً، بل من قاتلك وأخرجك وتعاون على إخراجك. هذا يمنع التطرف والغلو، ويحافظ على العلاقات الإنسانية مع المسالمين، مع الحزم مع المعتدين.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

.1درس "قاعدة الحصر": النهي عن موالاة الكفار ليس مطلقاً، بل مقصور على المعتدين.
.2درس "صفات العدو" ثلاث: قتال، إخراج، مظاهرة.
.3درس "النهي عن الموالاة" لا عن البر: تبر وتقسط ولا توالي.
.4درس "الظلم" نتيجة الموالاة: من والاهم فهو ظالم.
.5درس "حرمة التعاون على العدوان": ظاهروا على إخراجكم.

التطبيقات العملية:

· تطبيق(1) : اكتب قائمة بمن تعتبرهم أعداء، وطبق عليهم هذه الصفات الثلاث.
· تطبيق(2) : لا توال أي جهة قاتلت المسلمين أو ساعدت على إخراجهم.
· تطبيق(3) : لا تشعر بالذنب إن بررت مسالماً كافراً.
· تطبيق(4) : إذا طلب منك أحد موالاة معتد، تذكر أنك تصبح ظالماً.
· تطبيق(5) : شارك في دعم المستضعفين المطرودين من ديارهم.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة تصنيف الناس: إلى محارب ومسالم ومؤمن.
.2مهارة ضبط العلاقة مع المعتدين: الموالاة لا تجوز.
.3مهارة التعامل مع المسالمين: بالبر والقسط.
.4مهارة التمييز بين الموالاة والبر: لا تخلط بينهما.
.5مهارة تجنب الظلم: لا توال معتدياً.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة فهم أدوات الحصر في القرآن كـ "إنما".

.2مهارة تحليل النصوص واستنباط الصفات) ثلاث صفات.(
.3مهارة التفريق بين المفاهيم المتشابهة) الولاية، البر، القسط.(
.4مهارة تطبيق القاعدة على الواقع) من هو العدو اليوم؟.(

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة قراءة الأحداث السياسية بمنظار هذه الآية.
.2مهارة بناء العلاقات الدولية على أساس البر والقسط مع المسالمين.
.3مهارة مقاومة الضغوط لموالاة المعتدين.
.4مهارة الدعوة إلى الله بالبر والإحسان مع المسالمين.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من العداوة المطلقة إلى العداوة المحددة

النظرة القديمة: كنت تعتقد أن كل غير مسلم هو عدو.

النظرة الجديدة: عرفت أن العدو من قاتلك وأخرجك فقط.

التغيير الثاني: من الخلط بين المفاهيم إلى التمييز

النظرة القديمة: كنت تخلط بين الموالاة والبر والقسط.

النظرة الجديدة: عرفت أن تبر وتقسط ولا توالي.

التغيير الثالث: من الشعور بالذنب إلى الشعور بالطمأنينة

النظرة القديمة: كنت تشعر بالذنب إن أحسنت إلى كافر مسالم.

النظرة الجديدة: عرفت أن الله لا ينهاك عن ذلك.

التغيير الرابع: من الظلم إلى العدل

النظرة القديمة: قد تظلم المسالمين بعداوة غير مبررة.

النظرة الجديدة: تبرهم وتقسط إليهم.

التغيير الخامس: من الغلو إلى الوسطية

النظرة القديمة: إما موالاة مطلقة أو عداوة مطلقة.

النظرة الجديدة: موالاة للمؤمنين، عداوة للمحاربين، بر وعدل للمسالمين.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "بطاقة الصفات الثلاث"

اكتب على بطاقة الصفات الثلاث: قاتلوكم، أخرجوكم، ظاهروا. احملها معك. كلما فكرت في موالاة أحد ، انظر إلى هذه الصفات.

الاستراتيجية الثانية: "تصنيف العلاقات"

ارسم جدولا ً بأسماء الأشخاص والجهات التي تتعامل معها، وضعهم في أحد الأقسام: محارب (لا مو الاة)، مسالم (بر وعدل)، مؤمن (ولاية ومودة).

الاستراتيجية الثالثة: "مراجعة الحسابات"

في نهاية كل شهر، اسأل نفسك: هل واليتُ أحداً من المحاربين؟ هل بررتُ مسالماً كافراً؟

الاستراتيجية الرابعة: "دعم المستضعفين"

ابحث عن القضايا العادلة للمسلمين المطرودين من ديارهم، وادعمها.

الاستراتيجية الخامسة: "الدعوة بالقدوة"

تعامل مع المسالمين من غير المسلمين بالبر والقسط، ليحسنوا الظن بالإسلام.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

البعد العقدي: تحديد من يجوز ومن لا يجوز موالاتهم من الكفار.
البعد السياسي: وضع أسس العلاقات الدولية مع الدول المحاربة والمسالمة.
البعد الاجتماعي: تنظيم العلاقة مع غير المسلمين داخل المجتمع الواحد.
البعد الأخلاقي: الحث على العدل مع المسالمين، والحزم مع المحاربين.
البعد النفسي: إزالة الحرج والشعور بالذنب.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية

في نفس المسلم:

· قيمة التمييز والحذر من الخلط بين الأعداء والأصدقاء.
· قيمة العدل مع المسالمين.
· قيمة الولاء للمؤمنين فقط.
· قيمة نبذ الظلم) من والاهم ظالم.(

في المجتمع المسلم:

· قيمة الأمن المجتمعي بعدم موالاة المعتدين.
· قيمة التسامح مع المسالمين من غير المسلمين.
· قيمة حسن الجوار والبر معهم.

في الدولة المسلمة:

· قيمة السيادة والكرامة بعدم موالاة المحتلين.
· قيمة السياسة الخارجية الواقعية القائمة على البر والقسط.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآية في حياتنا

.1مفهوم "العدو المحدد" بثلاث صفات.
.2مفهوم "الفرق بين الموالاة والبر".
.3مفهوم "الظلم" نتيجة موالاة المحاربين.
.4مفهوم "التعاون على الإثم") ظاهروا.(

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

النفسية: إزالة الحرج، طمأنة الضمير، الخوف من الظلم.
الفكرية: التفريق بين أنواع الكفار، فهم الحصر، مهارة التطبيق.
التربوية: تعليم التصنيف، تعليم العدل، تعليم الحزم.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

1.بناء المجتمع على العدل مع المسالمين.
2.تنمية العلاقات مع الدول غير المحاربة بالبر والقسط.
3.بناء الأمن القومي بعدم موالاة المعتدين.

الأمر السادس: دور الآية في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني: من التفكير الثنائي إلى التفكير الثلاثي (محارب، مسالم، مؤمن).
إعادة التشكيل النفسي: من القلق إلى الطمأنينة، ومن الغلو إلى الوسطية.
إعادة التشكيل الفكري: فهم دقيق لمفاهيم الولاء والبراء.

الصورة التي يريدها الله منك:

أن تكون إنساناً:

1.مميزاً: تعرف عدوك من صديقك.
2.عادلا ً: لا تظلم مسالماً.
3.حازماً: لا توال معتدياً.
4.صائناً لكرامتك: لا تذل بموالاة أعدائك.
5.خائفاً من الظلم: لا تكن من الظالمين.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت تتدبر هذه الآية... وتفكر في علاقاتك...

تذكر أن الله لم ينهك عن البر والقسط مع كل كافر، وإنما نهاك عن موالاة فئة محددة: الذين قاتلوك وأخرجوك وظاهروا على إخراجك.

لا تجعل من دينك سيفاً تقطع به علاقاتك مع كل من اختلف معك.
لا تجعل من عداوة المحاربين تبريراً لظلم المسالمين.
لا تجعل من خوفك من الظلم سبباً في ظلم غيرك.

كن عادلا ً... وكن حازماً... وكن واعياً...

والعدل: أن تبر المسالمين وتقسط إليهم.
والحزم: ألا توال المحاربين المعتدين.
والوعي: أن تعرف من أين تؤكل الكتف، وأين حدودك.

ومن يتول المحاربين المعتدين، فهو ظالم. والظلم ظلمات يوم القيامة.

فانتبه... وحاسب نفسك... وكن على بصيرة.

والله يحب المقسطين... فكن منهم.
والله يبغض الظالمين... فلا تكن منهم.

القسم الثالث

المبحث الأول

تفسير قوله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أولا ً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من تعلقت روحك بروح إبراهيم الخليل، وأعلنت البراءة من الكفار المحاربين، وعرفت أن العداوة والبغضاء لمن قاتلك وأخرجك، والبر والقسط لمن سالمك...

هذه الآية العاشرة تأتي لتنزل هذه المبادئ من عنان السماء إلى أرض الواقع، لتجسدها في قضية إنسانية شائكة: قضية النساء المؤمنات اللواتي يهاجرن من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

تأمل معي هذا المشهد التاريخي العظيم الذي نزلت فيه هذه الآية:

كان صلح الحديبية، ذلك الصلح الذي بدا ظاهره فيه بعض المرارة، فقد اشترط المشركون شرطاً أليماً: "أن من أتاه منكم مسلماً ردّه إليهم، ومن أتانا منهم مسلماً لم يردوه إليكم". فالتزم النبي ﷺ بهذا الشرط في حق الرجال، وأعاد من جاء مسلماً منهم حفاظاً على مبدأ الوفاء بالعهد، ولأن المصلحة في ذلك الوقت كانت تقتضي ذلك.

ثم جاءت هذه الآية بعد فترة، تخص النساء المؤمنات المهاجرات، فأمرت بامتحانهن، وعدم ردهن إلى الكفار، وأباحت للمؤمنين الزواج منهن، ووضعت قواعد دقيقة لاختبار صدق إيمانهن، وحددت أحكام المهر، ونهت عن إمساك العصم من الكوافر.

لماذا هذا التفريق بين الرجال والنساء؟

لأن فتنة المرأة أشد، وخطر ردها إلى الكفار أعظم، فهناك من النساء من تهاجر بدافع العاطفة لا العقيدة، وقد تكون مهاجرتها هروباً من زوج كاره، أو حباً برجل مسلم، لا إيماناً بالله. فأمر الله بامتحانهن، وأمر بعدم ردهن، لأن ردّهن يُعرّضهن للفتنة في دينهن وأعراضهن.

والآية تتحدث إليك - يا من تعيش في أي زمان ومكان - ليس فقط لمن عاشوا في زمن الحديبية. فكل مؤمنة تهاجر بدينها من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، أو تطلب اللجوء والحماية، تنطبق عليها هذه الأحكام.

تعال... لنغوص معاً في هذه الآية العظيمة، التي تجمع بين: الفقه الدقيق، والرعاية الإنسانية، وحماية العقيدة، وضبط العلاقات الأسرية، والعدل حتى مع الكفار. إنها درس في "الولاء والبراء" متجسداً في قضية حقيقية، لتكون أسوة لنا في كل زمان.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

هذه الآية العظيمة تأتي لتعالج قضايا دقيقة وحساسة، وتنظم علاقة المسلمين بالمؤمنات المهاجرات و الكوافر، وذلك في سياق صلح الحديبية والتجارب اللاحقة:

القضية الأولى: التفريق بين حكم الرجال والنساء في الردة والهجرة

كان شرط صلح الحديبية عاماً في رد كل من يأتي مسلماً من المشركين، لكن الله خص النساء بحكم مغاير. هذه القضية تبرز أهمية التفريق بين الأحكام حسب الجنس، مراعاة للظروف والمفاسد و المصالح.

القضية الثانية: ضرورة امتحان المهاجرات لمعرفة صدق إيمانهن

ليست كل هجرة بدافع الإيمان، فقد تكون لأسباب عاطفية أو دنيوية. الآية توجب الامتحان والاختبار، لتمييز المؤمنات الصادقات ممن هاجرن خداعاً أو هروباً من واقع.

القضية الثالثة: حماية المؤمنات المهاجرات من الرد إلى الكفار

بعد التأكد من إيمانهن، يجب حمايتهن وعدم ردهن إلى أزواجهن الكفار، لأن في ردّهن مفسدة عظيمة: تعريضهن للفتنة في دينهن، أو العودة إلى الكفر، أو الاضطهاد.

القضية الرابعة: انقطاع عصمة النكاح بين المؤمنة والكافر

حكم الله بأن المؤمنات لسن حلا ً للكفار، ولا الكفار حل لهن. هذه القضية تؤسس لمبدأ أساسي في العلاقات الزوجية: أن الإيمان شرط لاستمرار الزواج. إذا أسلمت المرأة وزوجها كافر، انقطعت العلاقة الزوجية.

القضية الخامسة: حكم المهر بين الزوجين المفترقين بالإسلام

لحماية الحقوق، أمر الله المسلمين أن يردوا إلى الأزواج الكفار ما أنفقوه من مهر على الزوجات اللواتي هاجرن. وكذلك في المقابل، أن يطلب المسلمون من الكفار ما أنفقوه إن هاجرت نساؤهم الكوافر. هذه القضية تؤسس للعدل المالي حتى مع الأعداء.

القضية السادسة: إباحة زواج المؤمنين من المهاجرات

بعد أن تبين إيمانهن، وانقطعت علاقتهن بأزواجهن الكفار، أباح الله للمؤمنين أن يتزوجوهن، مع إعطائهن مهورهن كاملة. هذه القضية تحافظ على كرامة المرأة، ولا تتركها في فراغ عاطفي وأسري.

القضية السابعة: النهي عن إمساك العصم من الكوافر

في المقابل، نهى الله المؤمنين عن التمسك بزوجاتهم الكوافر اللواتي يهربن إلى الكفار. أي إذا ارتدت المرأة أو هاجرت إلى بلاد الكفر، فلا يجوز للزوج المسلم أن يمسكها، وعليه أن يفارقها ويطلب ما أنفق.

القضية الثامنة: بيان أن هذه الأحكام من عند الله العليم الحكيم

الآية تختم بالتأكيد على أن هذه الأحكام ليست من عند البشر، بل من عند الله العليم بما يصلح عباده، الحكيم في تشريعه.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله منك من خلال هذه الآية العظيمة؟

الهدف الأول: حماية عقيدة المؤمنات وكرامتهن

لا يُردّن إلى أرض الكفر والاضطهاد بعد أن آمنّ وخرجْنَ مهاجرات. هذا الهدف يحافظ على إيمانهن وحرّيتهن.

الهدف الثاني: تمييز الصادقات من غيرهن بالامتحان

لا تقبل كل هجرة على ظاهرها، بل لا بد من اختبار وامتحان لمعرفة البواعث الحقيقية. هذا يحمي المجتمع من الدخول والخيانة.

الهدف الثالث: تأصيل مبدأ "لا ولاية بين المؤمن والكافر"

إعلان أن المؤمنات لسن حلا ً للكفار، ولا الكفار حل لهن، هو تطبيق عملي لقاعدة "الولاء والبراء" في مجال الزواج والأسرة.

الهدف الرابع: العدل المالي حتى مع الأعداء

بأمر الله برد المهور إلى الأزواج الكفار، يبرز هدف العدل حتى مع من قاتلوا وأخرجوا. الإسلام لا يظلم أحداً، ولا يأخذ حقوق أحد.

الهدف الخامس: تنظيم العلاقات الأسرية بعد الهجرة

تحديد وضع الزوجات المهاجرات: انقطاع العلاقة، وإباحة الزواج منهن، ورد المهور. هذا يمنع الفوضى

ويحفظ الحقوق.

الهدف السادس: عدم التمسك بالزوجات الكوافر

تحذير للمسلمين من التشبث بزوجات كوافر يهربن إلى الكفار، فهذا يفسد العقيدة والأسرة.

الهدف السابع: التأكيد على أن هذه الأحكام من حكمة الله

ليطمئن المؤمنون أن هذه الأحكام ليست ظلمًا للمشركين، بل هي عدل وحكمة من الله العليم.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

التفسير

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" نداء تكرر في السورة لتذكير المؤمنين بهويتهم. "إِذَا جَاءَكُمْ" أي أقبلت إليكم وأتتكم. "الْمُؤْمِنَاتُ" النساء اللاتي يظهر عليهن الإيمان. "مُهَاجِرَاتٍ" أي تاركات أوطانهن وأهلهن في بلاد الكفر، آتيات إلى بلاد الإسلام مهاجرات في سبيل الله.

المعنى: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إذا أتتكم النساء المؤمنات مهاجرات من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، هرباً بدينهن من الاضطهاد...

﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾

"فَامْتَحِنُوهُنَّ" أي اختبروهن وامتحنوهن، لتعرفوا حقيقة إيمانهن، وهل هجرتهن لله حقاً، أم لأسباب دنيوية ككراهية الزوج أو حب رجل مسلم.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾

هذه الجملة مؤكدة أن علم الله وحده هو الكامل المحيط، وأنتم لا تعلمون السرائر، لكنكم تمتحنون ظاهراً. لا تزكوا أنفسكن، فالله أعلم بحقيقة إيمانهن.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾

"فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ" إذا تأكدتم وتبين لكم عن طريق الامتحان والاختبار أنهن مؤمنات صادقات. "مُؤْمِنَاتٍ" أي ذوات إيمان حقيقي بالله ورسوله.

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

أي لا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، ولا تسلموهن إلى أهل الكفر، بل احفظوهن وآووهن في بلاد الإسلام.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

"حِلٌّ" أي حلال وجائز في النكاح. معنى ذلك: أن المؤمنات غير جائزات للكفار زوجات، ولا الكفار جائزون للمؤمنات أزواجاً. الإسلام فرق بينهما، وقطع علاقة الزواج.

﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾

"وَآتُوهُم" أي أعطوا الكفار أزواج هؤلاء النساء. "مَّا أَنفَقُوا" أي ما دفعوه من مهور لهؤلاء النساء، ردوه إليهم كاملاً.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾

"وَلَا جُنَاحَ" لا إثم ولا حرج. "أن تنكِحُوهُنّ" أن تتزوجوهن. "إِذَا آتَيْتُمُوهُنّ أُجُورَهُنّ" أي دفعتم لهن مهورهن كاملة. فإذا تبين إيمانهن، ورددتم مهور أزواجهن السابقين، فلا حرج عليكم أن تتزوجوهن.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكوَافِرِ﴾

"وَلَا تُمْسِكُوا" لا تمسكوا، أي لا تبْقوا على الزوجية. "بِعِصَمِ الكوَافِرِ" العصم جمع عصمة، وهي علاقة الزواج والرابطة الزوجية. أي لا تبقوا زوجاتكم الكوافر عندهن إذا هربن إلى الكفار أو ارتددن.

﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾

واطلبوا أيها المؤمنون من أزواجكم الكوافر - أو من أهلهم - ما دفعتم من مهور، وكذلك أولئك الكفار فليسألوا ما أنفقوا من مهور لنسائهم المؤمنات.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾

ذلكم الذي ذكرته هو حكم الله الذي أنزله، وهو يحكم بينكم أيها المؤمنون والكافرون في هذه القضايا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ختم الآية باسمي "العليم" و"الحكيم": العليم ببواطن الأمور، الحكيم في تشريعه وتدبيره.

المعنى العملي للآية – كيف تعيشها في واقعك؟

تطبيق عملي (1): استقبال المهاجرات والمهاجرين اليوم

ما زالت هناك نساء وفتيات يهاجرن من بلاد الكفر أو الاضطهاد إلى بلاد الإسلام. هذه الآية تعلمك:

· لا تستقبلهن دون اختبار وامتحان لصدق إيمانهن.
· افحص أسبابهن، ولا تنخدع بكل من يقول "أنا مسلمة".
· إذا تأكدت من إيمانهن، فآوهن واحمهن ولا تردهن إلى بلاد الكفر.

تطبيق عملي (2): قضية اللاجئات

في عالمنا اليوم، هناك لاجئات من سوريا وميانمار وأفغانستان وغزة وغيرها. كثير منهن يهاجرن بدافعين: دافع الإيمان، ودافع الخوف من القتل. هذه الآية تعلمك:

· حاول معرفة بواعث هجرتهن، وهل هي دينية أم لا.
· إذا تبين صدقهن، فعليك واجب حمايتهن ورعايتهن.

تطبيق عملي (3): حكم زواج المؤمنة من الكافر

الآية تعلن قطعياً: "لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن". هذا حكم ثابت في الإسلام: لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير المسلم. إذا أسلمت المرأة وزوجها مصر على كفره، انتهت علاقتهما، ويجب التفريق.

تطبيق عملي (4): المهور والأموال

إذا حدث تفريق بسبب إسلام أحد الزوجين، فالعدل المالي واجب. دفع المهر إلى الطرف الآخر ليس تهاوناً، بل هو تطبيق لحكم الله العليم الحكيم.

تطبيق عملي (5): لا تمسك بزوجتك الكافرة

إذا كانت زوجتك كافرة، وهي تريد البقاء في دينها، فلا تجبرها على الإسلام، ولا تستمر في الزواج إن أبت. والأولى أن تفارقها. وإن هربت إلى بلاد الكفار، فليس لك أن تمسك عصمتها.

خامساً: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: النداء الإيماني ووصف المهاجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾

.1لماذا كرر النداء "يا أيها الذين آمنوا"؟

للتذكير بالهوية والمسؤولية. المؤمنون هم المخاطبون بهذه الأحكام، وهم المسؤولون عن استقبال المهاجرات وحمايتهن. كما أن تكرار النداء يوقظ الضمير ويجعل المؤمن في حالة استعداد.

.2ما معنى "جاءكم" و"مهاجرات"؟

"جاءكم": إقبال قريب، مع اختراق المسافات. "مهاجرات": من الهجر، أي ترك الأهل والوطن والعشيرة، وتوجه إلى بلاد الإسلام طلباً للحرية الدينية. الهجرة هنا هي الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

.3لماذا أضاف لفظ "المؤمنات" قبل "مهاجرات"؟

لأن الهجرة لا تصح إلا مع الإيمان. فهي هجرة مشروطة بالإيمان. وصفهم بـ "المؤمنات" أولاً، ثم "مهاجرات" ثانياً، يبين أن الإيمان هو الأساس، والهجرة ثمرته.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولاً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الشعور بالمسؤولية: أيها المؤمنون، أنتم المسؤولون عن استقبال وحماية المهاجرات.
.2رسالة اليقظة والانتباه: لا تغفلوا عن قضية المهاجرات، ففيها أجر عظيم وخطر كبير.
.3رسالة الأمل في الرحمة: من هاجرت بدينها فهي في حفظ الله أولاً، ثم في حفظ المؤمنين ثانياً.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة التفريق بين الهجرة الشرعية والهجرة العادية: الهجرة الحقيقية هجرة بدافع الإيمان.
.2رسالة إدراك أن الإيمان يسبق الهجرة: من لا إيمان له، لا قيمة لهجرته.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة الاهتمام بقضايا المهاجرين والمهاجرات: تربوية في الصدق.
.2رسالة تدريب النفس على استقبال طالبي اللجوء والحرية الدينية.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة استقبال المهاجرات فعلياً: إذا أتتك امرأة هاربة بدينها، فآوها ولا تردها.
.2رسالة دراسة قضية كل مهاجرة: لماذا هاجرت؟ من أين؟ ما ظروفها؟

الأمر الثاني: وجوب الامتحان والاختبار ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾

.1ما معنى "امتحنوهن"؟

الامتحان: الاختبار والابتلاء، لمعرفة حقيقة الشيء. والامتحان هنا يكون:

- بسؤالها عن سبب هجرتها.
- باختبار صدق إيمانها.
- بمعرفة علاقتها بزوجها الكافر.

· بمعرفة إن كانت هاجرت فراراً بدينها أو لأسباب عاطفية أو دنيوية.

.2لماذا أمر الله بالامتحان؟

لأن الهجرة قد تكون بدافع غير ديني. قد تكون المرأة هربت من زوج قاس، أو هربت بحب رجل مسلم، أو تريد مغامرة، وليس بدافع الإيمان. فأمر الله باختبار صدقها.

.3كيف يكون الامتحان؟) تطبيقي(

روي أن النبي ﷺ كان يأمر من تأتيه مهاجرة أن تحلف بالله ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة في دنيا، ولا هروباً من شيء، بل حباً لله ورسوله. وكان يسألها عن الإسلام وأركانه.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الحذر وعدم السذاجة: لا تقبل كل من جاءك بادعاء الإيمان دون اختبار.
.2رسالة الطمأنينة بعد الامتحان: بعد الامتحان والصدق، تنشرح الصدور لاستقبالها.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة التفريق بين الظاهر والباطن: نحكم بالظاهر، والله يعلم الباطن.
.2رسالة أن الهجرة ليست مجرد حركة جسد، بل عقيدة.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تعليم ضرورة التحقق قبل قبول الأخبار والانضمامات.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة وضع إجراءات لاستقبال المهاجرين الجدد.
.2رسالة السؤال والتحقق وليس التصديق الأعمى.

الأمر الثالث: علم الله بالبواطن ﴿اللهُ أعْلَمُ بِإِيمَانِهِنّ﴾

.1ما معنى هذه الجملة؟

الله أعلم منكم ومن كل أحد بحقيقة إيمانهن. أنتم تختبرون الظاهر، والله يعلم السرائر. فلا تزكوا أنفسكن، ولا تقطعوا بيقين أن فلانة مؤمنة قلباً، فهذا علم الغيب عند الله.

.2لماذا وردت هذه الجملة؟

لأمرين:

· لئلا يغتر المؤمنون باختبارهم: قد يخطئ الامتحان، فالله أعلم.
· لئلا يتهموا من لم يعجبهم اختبارها: قد تكون مؤمنة حقيقة ولكن امتحانكم لم يظهره.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة التواضع: لا تثق بنفسك كثيراً في الحكم على الآخرين.
.2رسالة ترك الغيبيات لله: لا تحكم على النيات بيقين، فهذا شأن الله.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة حصر علم البواطن بالله.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على عدم إصدار أحكام قطعية على النيات.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة التوقف عن تزكية النفس والآخرين.

الأمر الرابع: عدم رد المؤمنات إلى الكفار ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

.1ماذا يعني "علمتموهن مؤمنات"؟

"علمتموهن" أي وصلتم إلى علم ظاهر بالامتحان والاختبار والقرائن بأنهن مؤمنات صادقات.

.2لماذا النهي عن ردهن؟

لأن ردهن إلى الكفار يحمل مفاسد كبيرة:

- تعريضهن للفتنة في دينهن.
- تعريضهن للإيذاء والعذاب.
- إعطاء الكفار فرصة لانتزاع إيمانهن.
- إضعاف شوكة المسلمين.

.3ماذا يعني "لا ترجعوهن"؟

لا تردوهن، لا تسلموهن، لا تدفعوهن إلى أيديهم. بل احتفظوا بهن وآووهن في بلادكم.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولاً: الرسائل النفسية:

.1رسالة تعزيز الغيرة على الدين: من رأى مؤمنة مهددة بالردة، يغار لدين الله.
.2رسالة الشعور بالأمان للمهاجرات: لن تُردوا إلى الكفار.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم مبدأ "لا ضرر ولا ضرار": ردهم يضر.
.2رسالة قاعدة "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح".

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تقديم حماية الضعفاء على الوفاء بالعهود مع الأعداء.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة استقبال المهاجرات فعلياً وتوفير الحماية لهن.
.2رسالة عدم التفريط في اللاجئات.

الأمر الخامس: انقطاع العصمة بين المؤمنات والكفار ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾

.1ما معنى "لا هن حل لهم"؟

أي ليست المؤمنات حلالا ً وجائزات للكفار زوجات ومحرمات. أي إذا أسلمت المرأة وزوجها كافر، فقد انقطعت علاقتهما الزوجية من حين إسلامها. لا يجوز له وطؤها، ولا البقاء معها كزوجة.

.2ما معنى "ولا هم يحلون لهن"؟

ولا الكفار حلال للمؤمنات أزواجاً. وهذا حكم عام: لا يجوز للمسلم أن تتزوج كافراً.

.3لماذا هذا الحكم؟

لأن الإيمان هو أساس العلاقة الزوجية في الإسلام. الزواج ميثاق غليظ يقوم على المودة والرحمة، وهذه لا تتحقق مع اختلاف الدين في أصوله. وأيضاً حماية للمؤمنة من التأثير السلبي لزوجها الكافر.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة قطع التعلق: المؤمنة لا تتعلق بزوجها الكافر بعد إسلامها.
.2رسالة العزة: لا تذل المسلمة لزوج كافر.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة أن الإيمان أعظم رابطة.
.2رسالة فهم أن انقطاع الزواج ليس ظلماً، بل عدلا ً.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة تربية المسلمين على عدم الزواج من الكفار للمؤمنات.
.2رسالة تدريب المسلمين على تطبيق هذا الحكم دون تردد.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة التفريق القضائي بين المؤمنة وزوجها الكافر.
.2رسالة عدم جواز إكراه المرأة على البقاء مع زوجها الكافر.

الأمر السادس: رد المهور إلى الأزواج الكفار ·{وآتوهُم مّا أنفقوا}·

.1لماذا أمر الله برد المهر إلى الكفار مع أنهم أعداء؟

هذا من عدل الإسلام. المال حق لهم، فلا يجوز أخذه ظلماً بحجة أنهم كفار. الإسلام لا يظلم أحداً، ويحافظ على الحقوق المالية حتى مع الأعداء.

.2ما الحكمة من رد المهر؟

· العدل: ما أنفقوه عليهم، فلهم أن يستردوه.
· إزالة علة: حتى لا يبقى للأزواج الكفار حق أو مطالب.
· حسن المعاملة: يعطيهم المال، ليعلموا أن الإسلام دين عدل.
· قطع الذرائع: لا يبقى للكافر داع لطلب المرأة بالمال.

.3الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الطمأنينة للأزواج الكفار: لن يُظلموا في أموالهم.
.2رسالة الشعور بالعدل: الإسلام لا يأخذ حقوق أحد.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة أن العدل واجب حتى مع الأعداء.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على أداء الأمانات ورد الحقوق.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة رد المهر فعلياً عند التفريق بسبب الإسلام.
.2رسالة تسجيل المهور والعقود للحفاظ على الحقوق.

الأمر السابع: إباحة زواج المؤمنين من المهاجرات ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾

.1ما معنى "لا جناح عليكم"؟

لا إثم ولا حرج ولا ذنب. إذًا هو أمر جائز ومباح، بل قد يكون مطلوباً في بعض الأحوال، لأن في زواجهن صيانة لهن.

.2لماذا أضاف شرط "إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ"؟

لأن المهر هو حق للمرأة، ولا يصح الزواج بدونه. فإذا أردتم نكاحهن، فأعطوهن مهورهن كاملة، كما تعطون أي امرأة أخرى.

.3ما الفرق بين "ما أنفقوا") المردود للأزواج (و"أجورهن") المدفوع للمرأة(؟

"ما أنفقوا" هو المهر الذي دفعه الزوج الكافر سابقاً، ويرد إليه. "أجورهن" هو المهر الجديد الذي يدفعه الزوج المسلم الجديد للمرأة.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة إزالة الحرج عن المسلمين: لا تخجلوا من الزواج منهن.
.2رسالة إكراه المرأة: لا تحرجوها، وأكرموها بالمهر.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة إدراك أن المهر واجب للزواج.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على عدم بخس المرأة حقها.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة الزواج من المهاجرات عند الحاجة.
.2رسالة تيسير إجراءات النكاح.

الأمر الثامن: النهي عن إمساك العصم من الكوافر ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾

.1ما معنى "العصم"؟

العصم: علاقة الزواج والرابطة الزوجية التي تجمع الرجل والمرأة. سميت عصمة لأنها تعصم كل منهما من الوقوع في الزنا وتحفظ الحقوق.

.2من هم "الكوافر"؟

جمع كافرة، أي النساء الكافرات غير المؤمنات.

.3ما معنى "لا تمسكوا بعصم الكوافر"؟

لا تبقوا على زوجيتكم مع امرأة كافرة إذا هربت منكم وذهبت إلى بلاد الكفار، أو إذا ارتدت عن الإسلام. لا تحاولوا إجبارها على البقاء زوجة لكم.

.4ما الحكمة؟

إذا رغبت الزوجة الكافرة في الذهاب إلى دار الكفر، أو أصروا على كفرهم، فلا مصلحة في الإمساك بها. بل الأفضل فراقها، وطلب المهر منها.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولاً: الرسائل النفسية:

.1رسالة القطع النفسي: لا تتعلق بزوجة كافرة تريد الذهاب.
.2رسالة العزة: لا تذل لاستبقائها.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فقه الموازنة: المصلحة في الفراق قد تكون أعظم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على عدم التمسك بعلاقة فاسدة.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة التفريق القضائي.
.2رسالة طلب المهر عند التفريق.

الأمر التاسع: التساؤل حول المهور ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾

.1ماذا يعني "اسألوا ما أنفقتم"؟

أي اطلبوا من أزواجكم الكوافر أو من أوليائهم المهر الذي دفعتموه لهن إذا هربن أو ارتددن أو ذهبن إلى الكفار.

.2ما معنى "وليسألوا ما أنفقوا"؟

وليسأل الكفار منكم إذا هاجرت زوجاتهم المؤمنات إليكم، أن تردوا إليهم المهر الذي دفعوه.

.3لماذا هذه الإجراءات المالية؟

لحماية الحقوق المالية للطرفين، ومنع الظلم. فلا يأخذ الكفار أموال المسلمين بلا وجه حق، ولا يأخذ المسلمون أموال الكفار ظلماً.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الشعور بالعدل: الطرفان متساويان في المطالبة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة فهم قاعدة "المعاملة بالمثل".

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على المطالبة بالحقوق دون ظلم.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تدوين المهور لحفظ الحقوق.
.2رسالة المطالبة بها عند التفريق.

الأمر العاشر: ختم الآية باسمي العليم الحكيم ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

.1ما معنى "ذلكم حكم الله"؟

هذه الأحكام التي ذكرتها لكم في هذه الآية (الامتحان، عدم الرد، انقطاع العصمة، رد المهر، إباحة النكاح، عدم إمساك الكوافر، التساؤل حول المهور) هي حكم الله الذي أنزله، وهو الواجب الاتباع.

.2ما معنى "يحكم بينكم"؟

أي يفصل بينكم وبين الكفار في هذه القضايا، ويميز بين الحق والباطل.

.3لماذا ختم بـ "العليم الحكيم"؟

العليم: الذي يعلم بواطن الأمور ومصالح العباد، فلا يخفى عليه حال المهاجرات ولا نيات الأزواج.
الحكيم: الذي يضع كل شيء في موضعه، فلا يضع أحكامه عبثاً، بل لحكمة بالغة.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة التسليم لحكم الله: لا تعترض عليه، فهو حكم الحكيم العليم.
.2رسالة الطمأنينة: هذه الأحكام من عند الله فلا تخف من تطبيقها.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة أن الأحكام الشرعية ليست ظلمًا، بل عدلًا وحكمة.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على احترام حكم الله.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تطبيق هذه الأحكام قضائياً ومجتمعياً دون تردد.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هذه الآية؟

تريد منك هذه الآية:

.1أن تستقبل المهاجرات بحكمة: بالامتحان أولا ً، ثم الحماية ثانياً، ثم الزواج إن أمكن.
.2ألا ترد المؤمنات إلى الكفار: احم من يهاجر إليك بدينه، ولو خالفت بذلك عهوداً سابقة.
.3أن تدرك أن الإيمان يقطع علاقة الزواج مع الكافر: المؤمنات لسن حلا ً للكفار.
.4أن تلتزم بالعدل المالي مع الأعداء: رد المهور إلى الأزواج الكفار.
.5ألا تتمسك بزوجة كافرة تريد الذهاب: لا تمسك بعصم الكوافر.
.6أن تطلب حقوقك وتعطي حقوق غيرك: اسألوا ما أنفقتم، وليسألوا ما أنفقوا.
.7أن تستشعر حكمة الله وعلمه: فهو الذي شرع هذه الأحكام.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هذه الآية فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليها بوصفها "تطبيقاً عملياً لمبدأ الولاء والبراء" و "دستور حماية المهاجرات" و "معادلة العدل المالي في حال الافتراق بالإيمان".

الفهم العميق الأول: "الولاء والبراء" ليس شعاراً، بل تطبيق واقعي في قضايا الناس

كثير من الناس يتحدث عن "الولاء والبراء" نظرياً، لكن هذه الآية تنزله إلى أرض الواقع في قضية المرأة المهاجرة. أن تبرأ من الكفار يعني: ألا ترد إليهم من آمنت منهم. وأن توالى المؤمنين يعني: أن تحمي المهاجرة وتستقبلها.

الفهم العميق الثاني: الامتحان ليس انتهاكاً، بل حماية

الامتحان الذي أمرت به الآية ليس انتهاكاً لخصوصية المرأة، بل هو حماية للمجتمع ولها. فهو يفصل بين الصادقات والمخادعات، ويحمي المؤمنات من الاتهام بالكذب.

الفهم العميق الثالث: الهجرة من أجل الدين هي التي تُحمى، لا الهجرة لأسباب عاطفية

الهجرة المشروعة هي التي تكون "فراراً بالدين". أما إذا كانت المرأة تهاجر هروباً من زوجها فقط، مع بقائها على كفرها، أو حباً برجل مسلم، فهذا لا تستحق به الحماية؛ بل هي تستحق أن تُرد.

الفهم العميق الرابع: الإسلام يقرر أن الإيمان أصل العلاقة الزوجية

عندما يقول "لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن"، فإن الإسلام يؤصل مبدأ: الزواج ميثاق يقوم على ا لإيمان المشترك. فإذا اختلف الإيمان، فلا ميثاق. هذا يختلف عن القوانين الوضعية التي تسمح بزواج المسلمة من غير المسلم.

الفهم العميق الخامس: العدل المالي مع الأعداء دليل على كمال الإسلام

رد المهر إلى الكفار، والطلب منهم رد المهر للمسلمين، كل هذا يؤكد أن الإسلام دين عدل وإنسانية، لا يأخذ حقوق أحد ظلماً، ولا يسمح لأعدائه بأخذ حقوق المسلمين.

الفهم العميق السادس: الآية تحتوي على تشريعات تحمي "العصمة" و"المال" و"العقيدة"

ثلاثة مقاصد عظيمة: حفظ العقيدة (بعدم رد المؤمنات للكفار)، حفظ النسب والعصمة (بقطع الزواج بين المؤمنات والكفار، وعدم إمساك الكوافر)، حفظ المال (برد المهور).

خلاصة الفهم العميق:

هذه الآية تقدم نموذجاً متكاملا ً لكيفية تطبيق "الولاء والبراء" في قضايا الأسرة والهجرة، مع الحفاظ على العدل والكرامة وحماية العقيدة والمشاعر الإنسانية. إنها دعوة إلى مجتمع يحمي المستضعفين، ويضبط العلاقات الزوجية على أساس الإيمان، ويتعامل بالعدل حتى مع الأعداء.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

.1درس "أهمية الامتحان قبل القبول": لا تقبل أي شخص يدعي الإيمان أو الهجرة دون اختبار.
.2درس "تقديم حماية العقيدة على الوفاء بالعهود": إذا تعارض عهد مع كفار مع حماية مؤمنة، قدم حمايتها.
.3درس "الإيمان ميزان العلاقة الزوجية" : من فقد الإيمان، فقد شرط الزواج.
.4درس "العدل المالي حتى مع الأعداء" : لا تظلم الكفار في أموالهم، ولا تدعهم يظلمونك.
.5درس "عدم التمسك بعلاقة فاسدة" : إذا ذهبت زوجتك الكافرة، فلا تتمسك بها.

التطبيقات العملية:

· تطبيق (1): قبل استقبال أي لاجئ أو مهاجر، تأكد من دوافعه الحقيقية.
· تطبيق (2): إذا لجأت إليك امرأة هاربة بدينها، فآوها ولا تردها.
· تطبيق (3): إذا أسلمت امرأة وزوجها كافر، ففرق بينهما فوراً.
· تطبيق (4): إذا فرقت بين زوجين بسبب الإسلام، فاحرص على رد المهور.
· تطبيق (5): إذا ذهبت زوجتك الكافرة، فاطلب مهرها ولا تتمسك بها.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

.1مهارة استقبال طالبي اللجوء والهجرة: استقبال بالامتحان، ثم الحماية، ثم الحضن.
.2مهارة الامتحان والاختبار: كيف تختبر صدق الناس من حولك.
.3مهارة الفصل العاطفي عند الاقتضاء: لا تتمسك بزوجة كافرة تريد الذهاب.
.4مهارة إدارة الأموال في حالات الطلاق والتفريق.
.5مهارة التفريق بين الإيمان والعواطف: ليست كل هجرة عاطفية هي هجرة إيمانية.

ثانياً: المهارات المعرفية

.1مهارة فهم فقه "المفارقة بين الشرط والواقع") صلح الحديبية.(
.2مهارة التمييز بين النصوص العامة والخاصة) الرجال والنساء.(
.3مهارة فهم أحكام المهر والعدل المالي.
.4مهارة تحليل أسباب الهجرة الحقيقية.

ثالثاً: المهارات العملية

.1مهارة وضع اختبارات للمهاجرين الجدد.
.2مهارة تسوية النزاعات المالية بين المسلمين والكفار.
.3مهارة إجراء عقود الزواج للمهاجرات مع مراعاة مهورهن السابقة.
.4مهارة تسجيل الأموال والمهور في حال الزواج والتفريق.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من السذاجة إلى اليقظة

النظرة القديمة: كنت تقبل أي شخص يقول "أنا مسلم" أو "أنا مهاجر" دون سؤال.

النظرة الجديدة: تتعلم أن تختبر وتفحص وتتحقق.

التغيير الثاني: من التمسك بالعهود مع الأعداء إلى تقديم حماية المؤمنين

النظرة القديمة: الالتزام بالعهود حتى لو أدى إلى ضرر المؤمنين.

النظرة الجديدة: العهود مع الكفار محترمة، إلا إذا تعارضت مع حماية المؤمنات المهاجرات.

التغيير الثالث: من محاولة إصلاح الزواج مع الكافر إلى قطعه

النظرة القديمة: قد تتمسك بزوجة كافرة أو زوج كافر أملا ً في إصلاحه.

النظرة الجديدة: الإيمان هو الأساس، فلا زواج مع الكافر.

التغيير الرابع: من أخذ حقوق الكفار ظلماً إلى ردها لهم

النظرة القديمة: الكفار أعداء، فمالهم حلال.

النظرة الجديدة: العدل مع الأعداء مطلوب، ورد حقوقهم واجب.

التغيير الخامس: من التعلق بزوجة كافرة تريد الذهاب إلى التحرر منها

النظرة القديمة: الخوف من الفراق يدفعك للإمساك بها.

النظرة الجديدة: لا تمسك بعصم الكوافر، ودعها تذهب.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "إجراءات استقبال المهاجرين"

ضع إجراءات واضحة لاستقبال أي مهاجر أو لاجئ:

· مقابلة شخصية.
· التحقق من أوراقه.
· سؤال عن أسباب الهجرة.
· اختبار مستوى الإيمان.
· توفير الحماية المناسبة.

الاستراتيجية الثانية: "تدريب على الامتحان الشرعي"

درب نفسك وأفراد مجتمعك على كيفية اختبار القادمين الجدد، بأسلوب لبق وغير متجاوز.

الاستراتيجية الثالثة: "توعية المقبلين على الزواج"

قبل الزواج، ناقش موضوع الاختلاف في الدين، وعلم أن الإيمان شرط أساسي.

الاستراتيجية الرابعة: "تسجيل المهر"

دوّن المهر في وثائق الزواج، لحفظ الحقوق عند الافتراق.

الاستراتيجية الخامسة: "مراجعة العلاقات الزوجية"

إذا كان أحد الزوجين على غير الإسلام، فسارع إما بدعوته وإما بالتفريق.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

البعد العقدي: إثبات أن الإيمان هو أساس العلاقة الزوجية، وقطع الولاية بين المؤمنين والكفار.
البعد الاجتماعي: تنظيم قضية المهاجرات واللاجئات في المجتمع.
البعد التشريعي: وضع قواعد الامتحان والمهر وعدم الإمساك.
البعد الأخلاقي: العدل مع الأعداء، وحماية المستضعفين.
البعد السياسي: بيان كيفية التعامل مع معاهدات الصلح إذا تعارضت مع مصالح المؤمنات.
البعد الأسري: حماية الأسرة من التفكك بسبب اختلاف الدين.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفس المسلمة والمجتمع

في نفس المسلم:

· قيمة اليقظة وعدم السذاجة (امتحنوهن).
· قيمة التواضع أمام علم الله (الله أعلم بإيمانهن).
· قيمة الغيرة على الدين وحماية المؤمنات.
· قيمة العدل مع المخالفين (رد المهر).
· قيمة عدم التعلق المذموم (لا تمسكوا بعصم الكوافر).

في المجتمع المسلم:

· قيمة حماية اللاجئين والمهاجرين.
· قيمة الشفافية في القبول والإيواء.
· قيمة العدل المالي.
· قيمة الاستقرار الأسري المبني على الإيمان.

في الدولة المسلمة:

· قيمة السيادة والكرامة في العلاقات الدولية.
· قيمة العدل في المعاهدات.
· قيمة حماية حقوق المرأة المؤمنة المهاجرة.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآية في حياتنا

.1مفهوم "الامتحان الشرعي" قبل القبول.
.2مفهوم "عدم الرد إلى الكفار" للمؤمنات.
.3مفهوم "انقطاع العصمة بالإيمان".
.4مفهوم "رد الحقوق المالية") المهر.(
.5مفهوم "إباحة نكاح المهاجرات" مع المهر الجديد.
.6مفهوم "عدم إمساك الكوافر".
.7مفهوم "التساؤل عن المهور" بين الطرفين.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

النفسية:

· الحذر وعدم السذاجة.
· الطمأنينة بعد الامتحان.
· العزة وعدم التذلل للكفار.
· التحرر من التعلق بزوج كافر.

الفكرية:

· فهم فقه "الصلح والمصالح".

· فهم مبدأ "درء المفاسد".
· قاعدة "العدل مع الأعداء".
· قاعدة "الإيمان أصل الزواج".

التربوية:

· تعليم الامتحان والتحقق.
· تعليم حماية المهاجرات.
· تعليم عدم التمسك بالعلاقة الفاسدة.
· تعليم إدارة المال والزواج.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1بناء المجتمع على أسس عقدية واضحة: الزواج بالإيمان، والهجرة بالإيمان.
.2تنمية قدرات الاستقبال والإيواء: تطوير إجراءات استقبال اللاجئين والمهاجرين.
.3بناء نظام مالي عادل: في المهور والتعويضات.
.4تنمية الوعي الفقهي: بخصوص قضايا الزواج من الكفار والهجرة.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني:

· من التفكير العاطفي إلى التفكير الفاحص: لا تقبل كل هجرة دون اختبار.
· من التفكير الأحادي إلى التفكير الثنائي: هناك هجرة إيمانية وهجرة غير إيمانية.

إعادة التشكيل النفسي:

· من السذاجة إلى اليقظة.
· من التعلق المذموم إلى القطع السليم.
· من الظلم إلى العدل.

إعادة التشكيل الفكري:

· فهم أن الإيمان هو معيار العلاقات الأسرية.
· فهم أن الوفاء بالعهود ليس مطلقاً إذا تعارض مع حماية المؤمنين.

الصورة التي يريدها الله منك:
أن تكون إنساناً:

.1فاحصاً يمتحن: لا يخدع بالمظاهر.
.2حامياً للمؤمنات: لا يردهنهن إلى الكفار.
.3مطبّقاً لحدود الله: فيقطع الزواج مع الكافر.
.4عادلا ً مع الخصم: يرد مهره.
.5غير متعلق بزوجة كافرة: يتركها تذهب.
.6عالماً بحكمة الله: يوقن أن هذه الأحكام من العليم الحكيم.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت تتدبر هذه الآية العظيمة...

تخيل مشهد امرأة مؤمنة، تترك أهلها وديارها وزوجها، وتأتي إليك هاربة بدينها. تخيل خوفها، وقلقها، ووحدتها.

هذه الآية تقول لك: استقبلها، ولكن امتحنها. لا تكن ساذجاً. تأكد من صدقها. اسألها. تعرف على

أسباب هجرتها.

فإذا تبين لك إيمانها حقاً، فلا تردها إلى الكفار. احمها، وآوها. لا تظن أن الوفاء بصلح الحديبية مع الكفار أهم من حماية هذه المرأة.

وإذا كانت متزوجة من كافر، فاعلم أن علاقتهما قد انتهت بالإيمان. لا هي حلال له، ولا هو حلال لها. هذا حكم الله.

وأعطه مهره الذي دفعه، كاملا ً لا ينقص. فالله يأمرك بالعدل، حتى مع عدوّك.

ثم إن أردت أن تتزوجها، فافعل، ولكن أعطها مهرها الجديد. لا جناح عليك.

أما إذا كانت امرأة كافرة تريد الذهاب إلى بلاد الكفر، فلا تمسك بها. دعها تذهب، واسأل مهرك الذي أنفقت.

هذا كله حكم الله العليم الحكيم. لا تعترض عليه، ولا تتوانَ في تطبيقه.

تعيش هذه الآية في قلبك، وتنطق بها على لسانك، وتراها في واقع مجتمعك. تطبيقاً عملياً للولاء و البراء، وحماية للعقيدة والكرامة، وعدلا ً مع الجميع.

والله العليم الحكيم يهديك إلى سواء السبيل.

المبحث الثاني

تفسير قوله تعالى

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكفار فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الذين ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفقوا ۚ وَاتَّقُوا اللهَ الذي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

أولا ً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من تابع معي آيات هذه السورة العظيمة خطوة بخطوة، وبدأت تتشكل في وجدانك صورة واضحة عن "الولاء والبراء" كمنهج حياة، وعن أحكام الهجرة والمهاجرين...

بعد أن سمعت في الآية السابقة تفصيلا ً دقيقاً لأحكام النساء المؤمنات المهاجرات: امتحانهن، وعدم ردهن إلى الكفار، وانقطاع عصمتهن من أزواجهن الكفار، ورد مهور أولئك الأزواج إليهم، وإباحة زواج المؤمنين منهن، والنهي عن إمساك عصم الكوافر... وبعد أن عرفت أن هذه الأحكام قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان على اللاجئات والمهاجرات...

قد يثور في نفسك سؤال مكمل ومهم، يتعلق بالجانب الآخر من المعادلة:

"ماذا عن الرجال المؤمنين الذين تفوتهم أزواجهم وتهاجر زوجاتهم إلى الكفار؟ أو تذهب زوجاتهم الكوافر إلى بلاد الكفر؟ ماذا نفعل؟ وكيف نحمي هؤلاء الرجال المؤمنين من الضياع المالي والنفسي؟ ومن أين نعوضهم عن مهورهم التي ذهبت هدراً؟"

هنا تأتي هذه الآية الحادية عشرة لتصور المشهد الآخر بكل دقة ورحمة وعدل، ولتؤكد مبدأ "المعاملة بالمثل" و"العدل المالي" بين المؤمنين والكافرين.

تأمل معي... الآية السابقة تكلمت عن النساء المؤمنات اللواتي يهاجرن إلى المسلمين، وأمرت برد مهور أزواجهن الكفار إليهم، وأباحت زواج المؤمنين منهن. وهذه الآية تكلمت عن الرجال المؤمنين الذين تفوتهم أزواجهم (تهاجر زوجاتهم إلى الكفار أو تذهبن إليهم)، فأمرت بأن يعوّضوا من الغنائم التي يحصلون عليها من الكفار، وبأن يُعطوا هؤلاء الرجال مثل ما أنفقوا من مهور.

وهذا من تمام عدل الإسلام ورحمته: لا يترك المؤمنين يتألمون مادياً ومعنوياً بسبب هجرة زوجاتهم إلى الكفار، بل يشرع لهم طريقة للتعويض.

ثم تختم الآية بتذكير عظيم: "وَاتَّقُوا اللهَ الذي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ" . أي راقبوا الله في كل هذه الأحكام والتطبيقات، فهو الذي آمنتم به، وهو الذي يعلم مصالحكم.

تعال... لنغوص معاً في هذه الآية، لنتعلم كيف نتعامل مع حالات "فوات الأزواج" إلى الكفار، وكيف نطبق مبدأ العدل والعقاب بالمثل، وكيف نحافظ على حقوق المؤمنين المالية والنفسية، وكيف نربي أنفسنا على التقوى في كل أحوالنا.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

هذه الآية العظيمة تأتي لتعالج قضايا دقيقة ومهمة، تكمل ما بدأته الآية السابقة، وتضبط جانباً آخر من علاقات المؤمنين بالكفار في قضايا الزواج والهجرة:

القضية الأولى: فوات الأزواج إلى الكفار

لما كانت الآية السابقة قد تكلمت عن حالة "مجيء المؤمنات مهاجرات إلى المسلمين"، فإن هذه الآية تأتي لتتكلم عن الحالة العكسية: "أن تفوتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار" ، أي أن تهاجر زوجات المؤمنين إلى الكفار أو تذهبن إليهم، سواء أكانت تلك الزوجات مؤمنات فارتدن، أم كن كوافر أصلاً .

القضية الثانية: حق المؤمنين في التعويض المالي

إذا ذهبت زوجة المؤمن إلى الكفار، فإن المهر الذي أنفقه عليها يضيع. والآية تتدخل لتعالج هذه القضية: شرعت أن يُعوّض المؤمن من الغنائم التي يحصل عليها من الكفار، فيُعطى مثل ما أنفق.

القضية الثالثة: مبدأ "العقاب بالمثل" (فَعَاقَبْتُمْ)

كلمة "فَعَاقَبْتُمْ" تحمل معنى المعاقبة والمقابلة. أي إذا فعلتم بالكفار فعلة مماثلة لفعلتهم (مثل أن تغزوا وتغنموا منهم، أو تطالبوهم بما لكم عليهم)، فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا.

القضية الرابعة: عدم التمييز بين أنواع الزوجات الفائتات

لم تفرق الآية بين زوجة مؤمنة ارتدت وذهبت إلى الكفار، وبين زوجة كافرة أصلاً ذهبت إليهم. الحكم واحد: التعويض للمؤمن.

القضية الخامسة: التأكيد على التقوى كضابط للتعامل

الآية ختمت بـ "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ". هذه الجملة تذكر المؤمنين أن يلتزموا بهذه الأحكام تقوى لله، لا طمعاً أو انتقاماً.

القضية السادسة: التأكيد على إيمان المؤمنين بالله كمصدر للعدل

"الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ" تذكير بأن إيمانكم بالله هو الذي يوجب عليكم تطبيق أحكامه والتقوى فيه.

القضية السابعة: ضمان عدم ضياع حقوق المؤمنين هدراً

تؤكد الآية أن الله لا يضيع حق المؤمن، بل يجعل له من الكفار تعويضاً.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله منك من خلال هذه الآية الكريمة؟

الهدف الأول: حماية حقوق المؤمنين المالية

لا يترك الله المؤمنين يتألمون مادياً بسبب هجرة زوجاتهم إلى الكفار، بل يشرع لهم التعويض. هذا الهدف يحفظ كرامتهم ويمنع الإحباط.

الهدف الثاني: تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين المؤمنين والكفار في المعاملات المالية

كما أعطى الكفار مهورهم عندما هاجرت زوجاتهم المؤمنات إلى المسلمين (في الآية السابقة)، كذلك يعطي المؤمنين من أموال الكفار عندما تذهب زوجاتهم إليهم.

الهدف الثالث: تشجيع المؤمنين على الجهاد والغزو لتعويض خسائرهم

كلمة "فَعَاقَبْتُمْ" تشير إلى أن التعويض يأتي من خلال العقاب للكفار (بالغزو والغنائم). هذا يحفز المؤمنين على الجهاد.

الهدف الرابع: رفع الحرج والهم عن الذين فاتتهم أزواجهم

بدلا ً من أن يعيش المؤمن مهموماً محزوناً بسبب ذهاب زوجته وضياع مهره، تأتي الآية لتقوله: هناك تعويض، فلا تحزن.

الهدف الخامس: تثبيت قواعد العدل المالي بين المسلمين والكفار

تأسيس قاعدة: لكل طرف ما أنفق إذا انفصل الزواج بسبب الهجرة أو الردة.

الهدف السادس: تأكيد أن التقوى هي أساس تنفيذ هذه الأحكام

ليس الأمر مجرد معاملات مالية جافة، بل هو تقوى لله. فتطبيق هذه الأحكام عبادة.

الهدف السابع: تذكير المؤمنين بأن إيمانهم بـالله هو الذي يوجب عليهم التقوى

"الذي أنتم به مؤمنون" يذكرهم بأن إيمانهم ليس مجرد كلمة، بل هو التزام بأحكام الله وتقواه.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

التفسير

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

"وَإِن فَاتَكُمْ" من الفوات، أي ذهب وخسر وخرج عن ملككم. "شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ" أي بعض أزواجكم أو واحدة من زوجاتكم. "إِلَى الْكُفَّارِ" أي إلى جهة الكفار، بأن تهاجر الزوجة إليهم، أو تذهب إلى بلادهم.

المعنى: وإذا ذهبت ولحقت إحدى زوجاتكم - أيها المؤمنون - بالكفار، سواء كانت كافرة أصلا ً أم مؤمنة ارتدت وذهبت إليهم، أو هربت منكم...

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾

"فَعَاقَبْتُمْ" من العقاب والمقابلة، أي فعلتم بهم عقوبة أو غزوتموهم وأصبتم منهم غنائم. وقيل معناها: فغزوتموهم وظفرتم بهم. وقيل: فغرمتموهم وعاقبتموهم بمثل فعلتهم.

المعنى: فإذا نال الكفار منكم عقاباً بأن غزوتموهم وأخذتم منهم غنائم، أو طالبتموهم بحقوقكم...

﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾

"فَآتُوا" أي أعطوا. "الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم" أي الرجال المؤمنين الذين ذهبت زوجاتهم إلى الكفار. "مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا" أي مثل ما دفعوه من مهور لزوجاتهم التي ذهبت.

المعنى: فأعطوا أولئك الرجال المؤمنين من الغنائم التي أصبتموها من الكفار مقداراً مساوياً لما أنفقوه من مهور على زوجاتهم التي فاتتهم.

﴿وَاتقوا اللهَ الذي أنتم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾

"وَاتقوا اللهَ" أي خافوا الله وراقبوه في تطبيق هذه الأحكام. "الذي أنتم بِهِ مُؤْمِنُونَ" أي الذي آمنتم به وصدقتم رسله.

المعنى: واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، بأن تلتزموا بهذه الأوامر، وتقفوا عند حدود الله، وتعلموا أن الله مطلع عليكم ومجازيكم على تقواكم.

المعنى العملي للآية – كيف تعيشها في واقعك؟

تطبيق عملي (1): إذا ذهبت زوجتك إلى بلاد الكفر

في عصرنا، هناك حالات لنساء مسلمات يهاجرن أو يذهبن إلى بلاد الكفر. إذا كانت تلك المرأة مؤمنة وذهبت بدافع الشهوات أو ضعف الإيمان، أو كانت كافرة أصلا ً، فإنك تتعرض لخسارة مهرك ومعاناتك النفسية. هذه الآية تذكر أن الله سيعوضك من حيث لا تحتسب، إما بالغنائم، أو بالعدل المالي مع الكفار.

تطبيق عملي (2): لا تظلم الكفار، ولا تسمح بظلمهم لك

عندما تذهب زوجة رجل مسلم إلى الكفار، فلا يحق له أن يأخذ من ماله شيئا بغير حق. ولكن له الحق في أن يطالب الكفار أو المسلمين بتعويض من أموالهم التي تغنموها منهم.

تطبيق عملي (3): تطبيق العدل المالي في المنظمات والدول

يمكن تطبيق روح هذه الآية على مستوى المؤسسات والدول: إذا ذهبت موظفة أو تابعة لدولة إلى جهة معادية، فعلى الدولة تعويض المتضررين من الغنائم أو الأموال المصادرة من تلك الجهة.

تطبيق عملي (4): التوبة والصبر مع التقوى

الآية تختم بـ "واتقوا الله". أي: لا تتخذوا هذه الأحكام وسيلة للظلم أو الانتقام، بل طبقوها بتقوى الله وخشيته.

تطبيق عملي (5): تذكر أن الله الذي آمنت به يراك

عندما تطبق هذه الأحكام، تذكر أن الله الذي آمنت به يراقبك. هذا يمنعك من التهاون أو الغش أو الظلم.

مثال تقريبي (1):

رجل مسلم تزوج امرأة وأعطاها مهرا قدره 5000 دولار. ثم ارتدت هذه المرأة وذهبت إلى بلاد الكفار. المسلمون بعد فترة غزوا تلك البلاد أو استردوا منها أموالا ً. في هذه الحالة، يجب على المسلمين أن يعطوا هذا الرجل 5000 دولار تعويضا له.

مثال تقريبي (2):

على مستوى المنظمات الإسلامية: إذا لجأت امرأة مسيحية إلى دولة إسلامية وأسلمت، فقد حكم الله في الآية السابقة بأنها لا ترد إلى زوجها النصراني، ويرد مهره. أما إذا ذهبت زوجة مسلمة إلى دولة غير إسلامية، فهذه الآية توجب على المسلمين تعويض زوجها من أموال تلك الدولة أو من الغنائم.

خامسا: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: فوات الأزواج إلى الكفار ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾

.1ما معنى "فَاتَكُمْ"؟

الفوات: الذهاب والخروج عن الحيازة والملك. يقال: فاتني الشيء أي ذهب مني ولم أستطع الإمساك به. والفوات هنا هو ذهاب الزوجة ولحاقها بالكفار سواء بسفرها إليهم أو بارتدادها وهجرتها.

.2ما المقصود بـ "شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ"؟

"شيء" هنا تعني "بعض". لأن الرجل قد يكون له أكثر من زوجة. فتفوت إحداهن إلى الكفار، ويبقى معه الأخريات. والآية تتحدث عن تلك الزوجة الفائتة.

.3من هم هؤلاء الأزواج الفائتون؟

هناك حالتان:

· زوجة كافرة أصلاً: تزوجها قبل الإسلام أو بعد الإسلام وهي على كفرها، ثم هاجرت إلى الكفار.
· زوجة مسلمة ارتدت: أسلمت ثم ارتدت وهاجرت إلى الكفار.

في كلتا الحالتين، هي "فاتت" زوجها المسلم.

.4ماذا تفعل هذه الجملة بالقلب المؤمن؟

· تذكره باحتمالية الفوات: قد لا تستمر الحياة الزوجية.
· تذكره بعدم اليأس: الفوات لا يعني نهاية كل شيء.
· تذكره باللجوء إلى الله: بعد الفوات، لا بد من حل.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذا الأمر) تفصيلاً(

أولاً: الرسائل النفسية (ما يحدث داخل نفسك):

.1رسالة تقبل الواقع الأليم: الفوات لا يعني نهاية العالم .قد تفوتك زوجتك، ولكن الله يعوضك .هذه الرسالة تمنحك الصبر.
.2رسالة عدم التعلق المفرط بالزوجة: ليس معنى الزواج أن الزوجة ملك يمين لا يزول .قد تذهب، فكن مستعداً نفسياً.
.3رسالة إدارة الألم بخيارات عملية: الحزن طبيعي، لكن الآية تقدم حلاً عملياً) التعويض .(فحوّل ألمك إلى عمل.

ثانياً: الرسائل العقلية (كيف يفكر عقلك):

.1رسالة فهم تنوع أحوال الزوجات: ليست كل زوجة مؤمنة ثابتة .بعضها قد يرتد أو يذهب إلى الكفار .هذا يجعل عقلك يقظاً.
.2رسالة التفريق بين الزوجات الثابتات والفائتات: لا تخلط بين من بقيت ومن ذهبت، لكل حكمها.
.3رسالة دراسة أسباب الفوات: لماذا ذهبت الزوجة إلى الكفار؟ هل كان هناك تقصير من الزوج؟ تأمل الأسباب لتتعلم.

ثالثاً: الرسائل التربوية (لتربية نفسك ومن تحت يدك):

.1رسالة تربية النفس على عدم التعلق بالدنيا: حتى الزوجة قد تفوتك .تعلق بالله وحده.
.2رسالة تعليم الزوجين: في دورات الزواج، ناقشوا موضوع "الفوات" وكيفية التعامل معه.
.3رسالة إعداد النفس للطوارئ الأسرية: لا تظن أن العائلة مستقرة إلى الأبد، جهز نفسك لأي طارئ.

رابعاً: الرسائل العملية (لواقعك اليومي):

.1رسالة توثيق المهور: حتى إذا فاتتك زوجتك، تعرف كم أنفقت لتطالب به.
.2رسالة تسجيل عقود الزواج: للحفاظ على الحقوق عند الافتراق.
.3رسالة وجود جهة تحكم بين الزوجين: تحتوي النزاعات عند الفوات.

الأمر الثاني: مفهوم "عاقبتم" ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾

.1ما معنى "فَعَاقَبْتُمْ" في الآية؟

العقاب هنا ليس بمعنى الانتقام الشخصي، بل بمعنى المقابلة والمكافأة. يقال: "عاقبت الرجل" إذا فعلت به مثل ما فعل بك، أو أخذت منه مقابل ما أخذ منك. وفي سياق الآية: إذا فعلتم بالكفار فعلا ً مماثلا ً لفعلتهم، بأن غزوتموهم وأصبتم غنائم، أو أخذتم منهم أموالا ً تعويضاً عن أزواجكم التي ذهبت إليهم.

.2ما هي صور "العقاب" هنا؟

· الغزو والجهاد: إذا غزا المسلمون الكفار وغنموا منهم.
· المقاصة المالية: إذا أخذ المسلمون من أموال الكفار تعويضاً عما أخذوا.
· طلب الحقوق بالطرق المشروعة: عبر المفاوضات أو التحكيم.

.3لماذا هذا الأسلوب) العقاب (بدلا ً من التعويض المباشر؟

لأن الكفار ليسوا ملتزمين برد الحقوق طواعية. فلجأ الإسلام إلى أسلوب "العقاب" عبر الغنائم لتعويض المؤمنين. هذا يحفزهم على الجهاد.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة التوجيه الإيجابي للألم: بدلا ً من أن تبقى حزيناً على زوجتك، حوّل طاقتك إلى فعل إيجابي) الجهاد والمطالبة.(
.2رسالة العدل النفسي: لن تشعر بالظلم، لأن الله شرع لك التعويض.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة قاعدة "المقابلة بالمثل" في العلاقات الدولية: تفعل بالآخرين كما يفعلون بك في إطار العدل.
.2رسالة جواز الغزو والعقاب الجماعي: إذا أخذوا أموالكم، فخذوا منهم.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على عدم السلبية: لا تكتف بالشكوى، بل قم بإجراء عملي.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة استغلال الفرص: إذا سنحت لك فرصة لاسترداد حقك من الكفار، فافعل.

الأمر الثالث: التعويض للذين ذهبت أزواجهم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾

.1من هم "الذين ذهبت أزواجهم"؟

هم الرجال المسلمون الذين لحقت زوجاتهم بالكفار، سواء كانوا قد أنفقوا مهوراً على تلك الزوجات أم لا. والآية تتحدث خصوصاً عن الذين أنفقوا.

.2ما معنى "مثل ما أنفقوا"؟

أي مقداراً مساوياً لما دفعوه من مهور. وهذا يدل على العدل التام: لا تزيد، ولا تنقص.

.3من أين يُعطون هذا التعويض؟

من الغنائم التي حصل عليها المسلمون من الكفار، أو من الأموال التي أخِذت منهم.

.4لماذا لم يقل "فآتوهم مثل ما أنفقوا" دون شرط العقاب؟

لأن الآية تريد أن تربط التعويض بالجهاد والعقاب للكفار. فالمسلمون لا يعوضون من جيوبهم مباشرة، بل من أموال الكفار المغتنمة.

.5الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة طمأنة المؤمن: لن يضيع مهرك هدراً، بل سيعوض.
.2رسالة الشعور بالعدل: كما أعطينا الكفار مهورهم، نعطيك أنت أيضاً.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة أهمية تسجيل المهر: لمعرفة قيمته بالضبط.
.2رسالة قاعدة: "لك ما أنفقت وعليك ما أنفقت".

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة التربية على حفظ الحقوق المالية والتوثيق.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة المطالبة بالتعويض: إذا ذهبت زوجتك فاطلب حقك من الجهات المعنية.
.2رسالة إنشاء صناديق تعويض: للمتضررين من هجرة الزوجات.

الأمر الرابع: الأمر بالتقوى وتذكير الإيمان ·﴿وَاتقُوا اللهَ الذِي أنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾·

.1ما معنى التقوى هنا؟

التقوى: الخوف من الله والمراقبة والامتثال. أي في تنفيذ هذه الأحكام، راقبوا الله، ولا تظلموا، ولا تزيدوا، ولا تنقصوا.

.2لماذا خص "الذين أنتم به مؤمنون"؟

لأن إيمانكم بالله هو الذي يوجب عليكم تقواه. والإيمان ليس مجرد تصديق، بل هو التزام عملي بكل أوامر الله.

.3ماذا تفعل هذه الجملة بالقلب المؤمن؟

· تذكر بالمحاسبة: الله يراقبك.
· تذكر بعلاقة الإيمان: كل ما تفعله ينبثق من إيمانك.
· تذكر بثواب التقوى: من اتقى الله جعل له مخرجاً.

.4الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

.1رسالة الخوف المحمود: تخاف من الله فلا تظلم.
.2رسالة الشعور بالمسؤولية الدينية: إيمانك يدفعك للعدل.

ثانياً: الرسائل العقلية:

.1رسالة أن التقوى ليست مجرد شعائر، بل تشمل الأحكام المالية.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

.1رسالة ربط الأحكام بالإيمان: كل حكم ديني يجب أن ينبع من الإيمان.

رابعاً: الرسائل العملية:

.1رسالة تطبيق التقوى في كل التعاملات المالية.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هذه الآية؟

تريد منك هذه الآية:

.1ألا تيأس إذا فاتتك زوجتك وذهبت إلى الكفار: فالله سيعوضك.
.2أن تطالب بحقك المالي: فلك مثل ما أنفقت من تعويض.
.3أن تشارك في جهاد الكفار وعقابهم ليكون لك نصيب في الغنائم التي تعوضك.
.4أن تلتزم بالعدل: فلا تطلب أكثر مما أنفقت.
.5أن تتقي الله في كل أحوالك: فهو الذي آمنت به، ويراقبك.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هذه الآية فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليها بوصفها "معادلة العدل المالي في الافتراق بين الزوجين بسبب الهجرة" و "ضمان عدم ضياع حقوق المؤمنين" و "الربط بين التقوى والعدل المالي".

الفهم العميق الأول: الإسلام لا يضيع حق أحد

الآية السابقة تكفلت بحق الأزواج الكفار عندما هاجرت زوجاتهم المؤمنات (برد المهر). وهذه الآية تكفلت بحق الأزواج المؤمنين عندما تذهب زوجاتهم إلى الكفار (بتعويضهم). هذا تأكيد على أن الإسلا م لا يظلم أحداً، ولا يضيع حقاً.

الفهم العميق الثاني: "العقاب" ليس عقاباً، بل استرداد حق

قد يظن البعض أن "فَعَاقَبْتُمْ" تفيد الانتقام. لكن الفهم العميق أنها تفيد المقابلة واسترداد الحق. المسلم لا ينتقم، لكنه يسترد حقه بالوسائل المشروعة.

الفهم العميق الثالث: التعويض من أموال الكفار، لا من جيوب المسلمين

لم يأمر الله المسلمين بأن يعوضوا بعضهم من أموالهم الخاصة، بل من الغنائم التي يأخذونها من الكفار. هذا يخفف العبء عن المسلمين، ويجعل العدل ممكناً.

الفهم العميق الرابع: الآية تشجع على الجهاد والمقاومة

بما أن التعويض مرتبط بـ "فَعَاقَبْتُمْ"، فإن الآية تشجع المسلمين على الجهاد والمقاومة ضد الكفار الذين أخذوا زوجاتهم، ليستردوا حقوقهم.

الفهم العميق الخامس: التقوى هي الضمان لتنفيذ العدل

بدون التقوى، قد يظلم المسلمون في التعويض (يطلبون أكثر أو يعطون أقل). فالتقوى هي الرادع الداخلي الذي يضمن العدل.

خلاصة الفهم العميق:

هذه الآية تؤسس لمبدأ التعويض المالي عن الأضرار الناجمة عن هجرة الزوجات إلى الكفار، مع ربط ذلك بالجهاد والغنائم، والتأكيد على التقوى كضابط للعدل.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

1. درس "أن الله لا يضيع حق المؤمن": فوات الزوجة لا يعني ضياع المهر.
2. درس "قاعدة المعاملة بالمثل": كما تفعل الكفار بنا نفعل بهم في حدود العدل.
3. درس "ارتباط التعويض بالجهاد": الجهاد وسيلة لاسترداد الحقوق.
4. درس "أهمية توثيق المهور": لمعرفة قيمة التعويض.
5. درس "التقوى أساس التنفيذ العادل": بدون تقوى، يفسد العدل.

التطبيقات العملية:

- تطبيق (1): إذا ذهبت زوجتك إلى جهة معادية، فوثق المهر واطلب تعويضك من الجهات المسؤولة.
- تطبيق (2): في عقود الزواج، حدد المهر بوضوح مكتوب وشهود.
- تطبيق (3): إذا كنت قائداً أو مسؤولاً، أنشئ صندوقاً لتعويض المتضررين من هجرة زوجاتهم.
- تطبيق (4): درب نفسك على التقوى في التعاملات المالية.
- تطبيق (5): كن على يقين أن العدل سيأتي ولو بعد حين.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولاً: المهارات الحياتية

1. مهارة التعامل مع الفوات والخسارة العاطفية: كيف تتصرف إذا ذهبت زوجتك.
2. مهارة طلب الحقوق بالطرق المشروعة: لا تيأس، واطلب تعويضك.
3. مهارة الصبر مع الألم: فقدان الزوجة مؤلم، لكن الله يعوض.
4. مهارة التخطيط المالي: سجل المهر والأموال.

ثانياً: المهارات المعرفية

1. مهارة فهم معنى "فَاتَ" و"عَاقَبَ" في السياق القرآني.
2. مهارة التفريق بين الغزو العقابي والعدوان الظالم.
3. مهارة قاعدة "لك مثل ما أنفقت".

ثالثاً: المهارات العملية

1. مهارة توثيق عقود الزواج.
2. مهارة تأسيس صناديق تعويض للمتضررين.
3. مهارة التفاوض مع الكفار لاسترداد الحقوق.
4. مهارة تطبيق التقوى في المال.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من اليأس إلى الأمل

النظرة القديمة: إذا ذهبت زوجتي، ضاع مهرها وضاع حقي.

النظرة الجديدة: الله سيعوضني من أموال الكفار، فلا أيأس.

التغيير الثاني: من السلبية إلى الإيجابية

النظرة القديمة: أبقى حزيناً على زوجتي ولا أفعل شيئاً.

النظرة الجديدة: سأشارك في الجهاد والمطالبة بحقي.

التغيير الثالث: من الظلم إلى العدل

النظرة القديمة: قد أظلم أو أطلب أكثر من حقي تعويضاً لألمي.

النظرة الجديدة: أطلب مثل ما أنفقت بالضبط، عدلا ً.

التغيير الرابع: من نسيان التقوى إلى استحضارها

النظرة القديمة: أهتم بحقي فقط، ولا أراقب الله.

النظرة الجديدة: أتقي الله في طلبي وأخضي.

التغيير الخامس: من العشوائية إلى التنظيم المالي

النظرة القديمة: لا أوثق المهور.

النظرة الجديدة: أوثق كل شيء لحفظ حقوقي.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "توثيق المهور"

في كل عقد زواج، اكتب المهر واضبطه بشهود وتوثيق. هذا سيساعدك عند المطالبة بالتعويض.

الاستراتيجية الثانية: "إنشاء صندوق التعويضات"

على مستوى الجماعة المسلمة، أنشئ صندوقاً تعويضياً يخصص جزءاً من الغنائم لتعويض من فاتتهم زوجاتهم.

الاستراتيجية الثالثة: "رفع الوعي بحقوق الزوجين"

في دورات التوعية الأسرية، ناقش حق الزوج في التعويض إذا ذهبت زوجته إلى الكفار.

الاستراتيجية الرابعة: "التدريب على التقوى المالية"

اجعل التقوى دافعاً لأداء الأمانات المالية، فلا تطلب أكثر من حقك ولا تنقص حق غيرك.

الاستراتيجية الخامسة: "الدعاء عند الفوات"

إذا فاتتك زوجتك، فلا تيأس، وادع الله: "اللهم عوضني خيراً منها، واجعل لي من أموال الكفار تعويضاً".

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

البعد العقدي: إثبات عدل الله وحكمته، وأن إيمان المؤمنين يوجب التقوى.
البعد المالي: تنظيم التعويضات المالية عن الزوجات الفائتات.
البعد الجهادي: تشجيع الجهاد كوسيلة لاسترداد الحقوق.
البعد الأسري: تنظيم حالة افتراق الزوجين بسبب الهجرة إلى الكفار.

البعد الأخلاقي: الحث على التقوى والعدل.
البعد النفسي: طمأنة المؤمنين بأن حقهم غير ضائع.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفس المسلمة والمجتمع

في نفس المسلم:

· قيمة الصبر على الفوات.
· قيمة المطالبة بالحق.
· قيمة العدل في التعويض (مثل ما أنفق).
· قيمة التقوى في المال.
· قيمة التوكل على الله (لن يضيع حق المؤمن).

في المجتمع المسلم:

· قيمة التكافل المالي (بين المجاهدين والمتضررين).
· قيمة العدل في المال مع الأعداء.
· قيمة توثيق العقود لحفظ الحقوق.

في الدولة المسلمة:

· قيمة سياسة الردع المالي تجاه الكفار.
· قيمة صناديق التعويض للمواطنين المتضررين.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآية في حياتنا

.1مفهوم "فوات الزوجات" وأحكامه.
.2مفهوم "العقاب بالمثل" في المال.
.3مفهوم "التعويض من الغنائم".
.4مفهوم "المثلية في التعويض") مثل ما أنفقوا.(
.5مفهوم "التقوى كضابط للعدل".

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

النفسية: الصبر، الأمل، طلب الحق، التحرر من اليأس.
الفكرية: قاعدة "المعاملة بالمثل"، قاعدة "العدل أساس المال"، قاعدة "التقوى في المال".
التربوية: تعليم توثيق المهور، تعليم المطالبة بالحق بالطرق الشرعية، تعليم الصبر عند الفوات.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1بناء النظام المالي للأسر: توثيق المهور والعقود.
.2تنمية الجهاد والدفاع: ليكون مصدراً للتعويضات.
.3بناء صناديق التكافل: لتعويض المتضررين.
.4تنمية الوعي بحقوق الزوجين: في حالات الهجرة.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني:

· من اليأس إلى الأمل.
· من العشوائية المالية إلى التوثيق والتنظيم.
· من الظلم إلى العدل المالي.

إعادة التشكيل النفسي:

· من الشعور بالظلم إلى الطمأنينة.

· من السلبية إلى الإيجابية بالمطالبة.
· من التعلق المفرط بالزوجة إلى التوكل على الله.

إعادة التشكيل الفكري:

· فهم أن الإسلام لا يضيع حق أحد.
· إدراك أن الفوات قد يكون خيراً.
· إدراك أهمية التقوى في المال.

الصورة التي يريدها الله منك:
أن تكون إنساناً:

.1صابراً على الفوات.
.2عادلا ً في طلب التعويض.
.3تقياً في كل تصرفاتك المالية.
.4مؤمناً بأن الله سيعوضك.
.5مشاركاً في الجهاد لاسترداد الحقوق.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت تتدبر هذه الآية... وتتألم ربما لفوات شيء عزيز...

قد تكون الزوجة التي ذهبت هي فلانة التي أحببتها وأعطيتها قلبك ومهرك. قد تشعر بالغضب و الحسرة والظلم.

هذه الآية تمسح على رأسك بحنان، وتقول: لا تحزن. لا تيأس.

·﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾·

نعم، فاتتك. هذا أمر مؤلم. لكنه ليس نهاية العالم.

·﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾·

قم، تحرك، جاهد، استرد حقك بالطرق المشروعة. لا تبق ساكناً.

·﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾·

وستأتي الأيام التي يعوضك الله فيها. ستعطى مثل ما أنفقت، عدلا ً لا ظلم فيه، وإنصافاً لا بخس فيه.

·﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾·

وفي كل هذا، اتق الله. لا تطلب أكثر من حقك. لا تظلم. لا تنتقم انتقاماً شخصياً. كن عادلا ً، كن تقياً.

فالله الذي آمنت به يراك. وهو الذي سيجازيك على صبرك وعدلك وتقواك.

لا تضيع حقك، لكن لا تظلم.
لا تيأس من التعويض، لكن لا تطلب حراماً.
لا تحزن على زوجة فاتت، فربما يعوضك الله خيراً منها في الدنيا والآخرة.

هذا وعد الله، والله لا يخلف الميعاد.

فثق بالله، وتق الله، وسترى العوض قريباً.

القسم الرابع

تفسير الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

أولاً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من قطعت مع الله عهداً على السمع والطاعة، يا من تريد أن تعيش روح هذه السورة العظيمة في أعماق قلبك، وتنقل أحكامها إلى واقع حياتك...

بعد أن سمعت في الآيات السابقة:

- النهي عن موالاة أعداء الله (الآية الأولى).
- حقيقة عداوتهم وإخراجهم للرسول والمؤمنين (الآيات 2-3).
- الأسوة الحسنة في إبراهيم والذين معه (الآية 4).
- دعاء المؤمنين ألا يكونوا فتنة للكافرين (الآية 5).
- بيان الأسوة الحسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر (الآية 6).
- فتح باب الأمل في تحول العداوة إلى مودة (الآية 7).
- إباحة البر والقسط مع الذين لم يقاتلوكم (الآية 8).
- تحديد المنهي عن موالاتهم بالصفات الثلاث (الآية 9).
- أحكام النساء المؤمنات المهاجرات وأزواجهن (الآية 10).
- تعويض الذين فاتتهم أزواجهم إلى الكفار (الآية 11).

والآن تأتي هذه الآية الثانية عشرة لتضع خاتمة عملية وعقدية وأخلاقية لهذه السورة، ولتقدم نموذج البيعة التي كان النبي ﷺ يأخذها على النساء المؤمنات، والتي أصبحت دستوراً للبيعة الإسلامية للنساء في كل زمان ومكان.

تأمل معي... هذه الآية تخاطب النبي ﷺ مباشرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. وفي هذا تشريف له وتكليف. ثم تأمره بأخذ البيعة من المؤمنات اللواتي يأتينه، على سبعة أمور عظيمة، هي خلاصة الدين العملي للمرأة المسلمة.

تأمل هذه البنود السبعة:

1. ألا يشركن بالله شيئاً – أصل التوحيد.
2. ولا يسرقن – حفظ المال.
3. ولا يزنين – حفظ العرض والنسل.
4. ولا يقتلن أولادهن – حماية النفس والطفل (وهذا يشمل وأد البنات، والإجهاض).
5. ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن – أي لا تنسبن إلى أزواجهن أولاداً ليسوا منهم (نفي النسب بالزنا)، أو لا يتهمن الأبرياء.
6. ولا يعصينك في معروف – طاعته ﷺ في كل ما هو معروف شرعاً.

ثم الأمر: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾. ثم الوعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ما أجمل هذه البيعة! إنها بيعة لا تحتوي على حرب مباشرة، بل تحتوي على التزامات أخلاقية وعقدية وإنسانية. إنها بيعة تليق بكرامة المرأة المسلمة، تحفظ دينها، ومالها، وعرضها، وولدها، وبيتها.

والمؤمنات في كل زمان ومكان مدعوات لتجديد هذه البيعة في قلوبهن، بتجديد العهد مع الله على هذه المبادئ السامية.

تعال... لنغوص معاً في هذه الآية، لنتعلم كيف كانت بيعة النساء، وكيف تكون توبتهن واستغفارهن، وكيف نطبق هذه المبادئ في واقعنا اليوم.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

هذه الآية العظيمة تأتي لتعالج قضايا مهمة في علاقة المرأة المسلمة بدينها وبنبيها وبالله:

القضية الأولى: بيعة النساء وأهميتها

لما كانت بيعة الرجال في بداية الإسلام تتضمن القتال والجهاد (بيعة الرضوان)، كانت بيعة النساء مختلفة، لأنهن لسن مكلفات بالجهاد القتالي بنفس الصورة. فنزلت هذه الآية لتحدد بنود بيعة النساء.

القضية الثانية: تحديد التزامات المرأة المسلمة الأساسية

سبعة أمور جامعة مانعة، تشمل: التوحيد، حفظ المال، حفظ الفرج، حفظ النفس، حفظ النسب، الطاعة في المعروف. هذه الأمور هي خلاصة ما يطلبه الإسلام من المرأة.

القضية الثالثة: تحريم وأد البنات (قتل الأولاد)

كان في الجاهلية وأد البنات (دفنهن أحياء) خوفاً من العار أو الفقر. الآية تحرم هذا الفعل، وتعتبره جريمة كبرى.

القضية الرابعة: تحريم البهتان ونفي النسب (الزنا ثم إلصاق الولد بالزوج)

"يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن" - هذا تعبير بليغ عن الزنا ثم إلصاق الولد بالزوج. الجاهليات كن يفعلن ذلك. والإسلام حرمه.

القضية الخامسة: الطاعة في المعروف لا في المنكر

"ولا يعصينك في معروف" أي يطعنك في كل ما هو معروف شرعاً، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فالمعروف هو ما أمر به الشرع.

القضية السادسة: الاستغفار للنساء بعد البيعة

النبي ﷺ مأمور أن يستغفر لهن بعد مبايعةهن. وهذا من رحمته بهن، ووسيلة لتطهيرهن من الذنوب السابقة.

القضية السابعة: مغفرة الله ورحمته للنساء التائبات

ختم الآية بـ "إن الله غفور رحيم" ليبشر النساء بقبول التوبة والمغفرة والرحمة.

القضية الثامنة: مكانة النبي ﷺ في أخذ البيعة والاستغفار

تخاطب الآية النبي ﷺ مباشرة، لتبين مكانته كقائد روحي وأخلاقي، وأنه هو الذي يتولى أخذ البيعة والاستغفار.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله من خلال هذه الآية الكريمة؟

الهدف الأول: تأسيس بيعة خاصة بالنساء

لأن النساء لهن طبيعة خاصة، وليس عليهن جهاد القتال، فقد شرع الله لهن بيعة تناسب طاقتهن، تركز على الجهاد الأخلاقي والتربوي.

الهدف الثاني: حماية المجتمع من كبائر الذنوب

الآية تحرم كبائر الذنوب التي كانت شائعة في الجاهلية: الشرك، السرقة، الزنا، قتل الأولاد، البهتان. ف الحفاظ على هذه الحدود يحمي المجتمع.

الهدف الثالث: تنشئة المرأة على التوحيد والفضيلة

المرأة هي نواة الأسرة، فإذا صلحت صلح المجتمع. الآية تربي المرأة على التوحيد الخالص، والصدق، والعفة، وحماية الأولاد.

الهدف الرابع: القضاء على وأد البنات

وكان من أقبح عادات الجاهلية. الآية تحرمه نهائياً، وتعتبره جريمة كبرى.

الهدف الخامس: حماية الأنساب وحقوق الأطفال

منع البهتان الذي ينفي النسب الصحيح، أو يلصق ولداً بغير أبيه، حفاظاً على الأنساب وحقوق الأطفال في الميراث والنسب.

الهدف السادس: تحديد حدود الطاعة "في المعروف"

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فالنساء يطعن النبي ﷺ فيما هو معروف شرعاً، وليس في ما يخالف الشرع.

الهدف السابع: فتح باب التوبة والاستغفار

لا ييأس النساء من رحمة الله، فالآية توجب الاستغفار لهن، وتخبر أن الله غفور رحيم.

الهدف الثامن: تعظيم مكانة النبي ﷺ

بجعله المتلقي للبيعة والمستغفر للنساء، وإظهار شرفه ومكانته.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

التفسير
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾

يا محمد رسول الله، يا من اصطفاه الله واختاره لتبليغ الرسالة. هذا النداء من الله لنبيه، فيه تشريف وتكليف.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾

إذا أتتك النساء المؤمنات (المصدقات بالله ورسوله) يبايعنك: يضعن أيديهن في يدك (أو يبايعنك بـ القول) تعهداً والتزاماً.

﴿عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾

أول شرط وأهمه: ألا يشركن بالله شيئاً، أي يخلصن العبادة لله وحده، ولا يعبدن معه صنماً ولا وثناً ولا بشراً ولا قبراً.

﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾

أي لا يأخذن أموال الناس بغير حق، لا من مال الزوج ولا من مال الغير، سرقة خفية أو علانية.

﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾

أي لا يمارسن الفاحشة والزنا، سواء زنا محصن (متزوجة) أو غير محصن.

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾

أي لا يقتلن أولادهن، سواء كان ذلك وأداً للبنات في الجاهلية، أو قتلا ً لأطفال بعد ولادتهم، أو إجهاضاً للأجنة.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾

أي لا ينسبن إلى أزواجهن أولاداً ليسوا منهم، بأن تزني ثم تجيء بولد وتقول إنه من زوجها. كأنها تختلق الكذب وتفتريه بين يديها ورجليها (أي في موضع الزنا والفراش).

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

أي لا يعصينك في أمر هو معروف عند الله ورسوله، أي ليس معصية. فلا طاعة لك في ما يخالف شرع الله. (والمعروف هو كل ما أمر به الشرع، والمنكر ما نهى عنه).

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾

أي فاقبل بيعتهن على هذه الشروط، وخذ عليهن العهد والميثاق.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾

أي اطلب المغفرة لهن من الله، وادعُ الله أن يغفر لهن ذنوبهن السابقة.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

إن الله غفور لذنوب التائبات، رحيم بهن، يقبل توبتهن ويبدل سيئاتهن حسنات.

المعنى العملي للآية – كيف تعيشها في واقعك؟

تطبيق عملي (1): تجديد البيعة في قلبك

كل امرأة مسلمة، بل كل مسلم، مدعو لتجديد هذه البيعة في قلبه مع الله ومع رسوله ﷺ. اجلس مع نفسك، وتعهد:

- ألا أشرك بالله شيئاً.
- ألا أسرق.
- ألا أزني.
- ألا أقتل أولادي (بالإجهاض أو الوأد المعنوي).
- ألا أبهت (أي لا أتهم الأبرياء، ولا أنسب ولداً لغير أبيه).
- ألا أعصي رسول الله في معروف.

تطبيق عملي (2): تحريم الإجهاض

كثير من النساء اليوم يقدمن على الإجهاض لأسباب واهية (كره الحمل، ضيق المال، عدم الرغبة في ا لأطفال). هذه الآية تحرم "قتل الأولاد". والإجهاض قتل لطفل لم يولد بعد. لا يجوز إلا لضرورة قصوى تبيحه.

تطبيق عملي (3): تحريم نفي النسب

لا يجوز للمرأة أن تنسب ولداً لغير أبيه، أو أن تنفي ولداً عن أبيه الحقيقي. هذا من البهتان العظيم.

تطبيق عملي (4): الاستغفار بعد التوبة

إذا تابت المرأة من هذه الذنوب، فلها أن تطلب الاستغفار من الله، وللمسلمين أن يستغفروا لها. والله غفور رحيم.

تطبيق عملي (5): الطاعة في المعروف

لا طاعة لأحد في معصية الله. إذا أمر الزوج أو الوالد أو الحاكم بمنكر، فلا طاعة له.

مثال تقريبي:

امرأة كانت في الجاهلية ترتكب بعض هذه الكبائر، ثم جاءت إلى النبي ﷺ تريد الإسلام والمبايعة. فيأخذ عليها البيعة بهذه الشروط، ثم يستغفر لها. وهي تدخل الإسلام صفحة جديدة بيضاء.

خامساً: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: نداء النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾

1. لماذا خاطب الله نبيه بهذا النداء؟

"يا أيها النبي" نداء تكريم وتشريف. وفي هذا إشارة إلى أن هذه الأحكام خاصة بالنبي ﷺ في تلقي البيعة، لكنها عامة للأمة في العمل بها. والنبي هو القدوة والأسوة.

2. ماذا تفعل هذه الجملة بنفسية المؤمن؟

· تعظيم النبي: أنه المخاطب بهذا الشرف.
· الاتباع: ما يأخذه النبي علينا أن نتبعه.
· التقدير: مكانة النبي في التشريع.

3. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولاً: الرسائل النفسية:

1. رسالة احترام النبي وتوقيره.
2. رسالة الشعور بأن النبي هو القائد والقدوة.

ثانياً: الرسائل العقلية:

1. إدراك أن النبي هو المتلقي للوحي.
2. إدراك أن سنته هي التطبيق العملي.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

1. تعليم الأبناء مكانة النبي.
2. التربية على اتباع سنته.

رابعاً: الرسائل العملية:

1. الاقتداء بالنبي في أخذ البيعة.
2. تطبيق أحكام البيعة في المجتمع.

الأمر الثاني: مجيء المؤمنات للمبايعة ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾

1. ما معنى المبايعة؟

المبايعة: المعاهدة والعهد على السمع والطاعة، كأن كل واحدة تبيع نفسها لله ورسوله، وتجعل التزامها ثمناً للجنة.

2. لماذا خص النساء بمبايعة خاصة؟

لأن النساء لم يؤمرن بالجهاد القتالي، فكانت بيعتهن على أمور أخرى تناسب طبيعتهن. لكن هذا لا يعني أنهن لا يُؤمرن بالمعروف ولا ينهين عن المنكر.

3. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الشعور بالمسؤولية الدينية.
عقلياً: الفرق بين بيعة النساء وبيعة الرجال.
تربوياً: تعليم قيمة البيعة والتزام العهد.
عملياً: تنظيم مبايعة للنساء في المجتمعات الإسلامية.

الأمر الثالث: الشرط الأول: لا يشركن بالله شيئاً ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾

1. ما هو الشرك؟

الشرك: جعل شريك لله في العبادة، أو في الربوبية، أو في الأسماء والصفات. وهو أعظم الذنوب، لا يغفره الله لمن مات عليه.

2. لماذا جاء هذا الشرط أولا ً؟

لأن التوحيد هو أساس الدين، وأول واجب. ولا تصح الأعمال بدونه.

3. أشكال الشرك التي كانت تفعلها النساء الجاهليات:

· عبادة الأصنام والأوثان.
· النذر لغير الله.
· الذبح للأصنام.
· الاستغاثة بغير الله.

4. ماذا يعني هذا الشرط اليوم؟

· لا تطلب الحوائج من الأموات أو الأولياء.
· لا تحلف بغير الله.
· لا تسجد لغير الله.
· لا تذبح لغير الله.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: تطهير القلب من الشرك.
عقلياً: فهم أن التوحيد هو أول واجب.
تربوياً: تعليم الأطفال التوحيد قبل كل شيء.
عملياً: ترك كل مظاهر الشرك.

الأمر الرابع: الشرط الثاني: لا يسرقن ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾

1. ما هي السرقة؟

أخذ مال الغير بغير حق، خفية أو علانية، بغير رضاه.

2. لماذا خص السرقة بالذكر؟

لأنها كانت منتشرة في الجاهلية، ولأن حفظ المال من الضروريات الخمس (الدين، النفس، المال، العرض، النسل).

3. أشكال السرقة التي كانت تفعلها النساء:

· سرقة مال الزوج.
· سرقة جاراتها.
· أخذ حق الغير.

4. ماذا يعني هذا الشرط اليوم؟

· ألا تسرق من مال الزوج بغير إذنه.
· ألا تسرق من عملها (اختلاس، غش).
· ألا تأخذ حقوق الآخرين.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الشعور بحرمة مال الغير.
عقلياً: إدراك أن السرقة كبيرة.
تربوياً: تعليم الأبناء الأمانة.
عملياً: رد المال المسروق والتوبة.

الأمر الخامس: الشرط الثالث: لا يزنين ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾

1. ما هو الزنا؟

الزنا: إيلاج ذكر في فرج محرم شرعاً (بدون عقد نكاح صحيح).

2. لماذا حرم الزنا؟

لأنه يفكك الأسرة، ويختلط الأنساب، وينشر الأمراض، ويهدم الفضيلة.

3. أشكال الزنا في الجاهلية:

كانت منتشرة بكثرة، وتتفاخر بها بعض القبائل.

4. ماذا يعني هذا الشرط اليوم؟

· تجنب العلاقات المحرمة.
· غض البصر.
· حفظ الفرج.
· عدم الاختلاط المحرم.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: تربية العفة.
عقلياً: فهم أضرار الزنا.
تربوياً: تعليم الحشمة والستر.
عملياً: الابتعاد عن كل وسائل الإثارة.

الأمر السادس: الشرط الرابع: لا يقتلن أولادهن ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾

1. ما كان الوأد في الجاهلية؟

الوأد: دفن البنات أحياء، خوفاً من العار أو الفقر.

2. لماذا حرم الإسلام قتل الأولاد؟

لأنهم أمانة عند الله، ولأن الرزق بيد الله، ولأن الفقر ليس مبرراً للجريمة.

3. هل يدخل الإجهاض في قتل الأولاد؟

نعم، الإجهاض قتل للجنين، وهو حرام إلا لضرورة قصوى (خطر على حياة الأم، أو تشوهات لا تحتمل الحياة).

4. أشكال قتل الأولاد اليوم:

· الإجهاض لغير ضرورة.
· وأد البنات معنوياً (حرمانهن من التعليم والحقوق).
· قتل الأطفال بعد الولادة.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: تقدير الحياة.
عقلياً: إدراك أن الرزق بيد الله.
تربوياً: تعليم عدم الخوف من الفقر.
عملياً: منع الإجهاض غير الضروري.

الأمر السابع: الشرط الخامس: لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾

1. ما معنى "بهتان يفترينه"؟

البهتان: الكذب العظيم والافتراء. "يفترينه" أي يختلقنه ويكذبن فيه. "بين أيديهن وأرجلهن" أي موضع الفراش والزنا.

2. ما هو المقصود بهذا الشرط؟

أن لا تزني المرأة، ثم تحمل وتضع ولداً، وتنسبه إلى زوجها كذباً وبهتاناً.

3. لماذا حرم الإسلام هذا؟

لأنه يخلط الأنساب، ويدخل على الرجل من ليس منه، ويورث من ليس بمستحق.

4. ماذا يعني هذا الشرط اليوم؟

· عدم نفي النسب الصحيح.
· عدم إلصاق ولد بغير أبيه.
· عدم التهم الكاذبة للأبرياء بالزنا.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الصدق والأمانة.
عقلياً: فهم خطورة نفي النسب.
تربوياً: تعليم حفظ الأنساب.
عملياً: عدم الاتهام بالزنا دون بينة.

الأمر الثامن: الشرط السادس: لا يعصينك في معروف ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾

1. ما هو "المعروف"؟

المعروف: كل ما أمر به الشرع، وكل ما هو معروف في الدين حسنه. وضده "المنكر".

2. لماذا قيد الطاعة بـ "في معروف"؟

لأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فالنساء يطعن النبي ﷺ فقط فيما هو معروف عند الله.

3. هل هذا الشرط يخص النبي فقط أم يشمل غيره؟

الآية خطاب للنبي، لكنه عام: لا طاعة لأحد في معصية الله.

4. ماذا يعني هذا الشرط اليوم؟

· طاعة الزوج في المعروف، لا في المنكر.
· طاعة الوالدين في المعروف.
· طاعة الحاكم في المعروف.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الشعور بالحرية في حدود الشرع.
عقلياً: إدراك أن المعروف هو مقياس الطاعة.
تربوياً: تعليم التمييز بين المعروف والمنكر.
عملياً: عدم تنفيذ أوامر بمنكر.

الأمر التاسع: الأمر بمبايعتهن والاستغفار لهن ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾

1. ما معنى "بايعهن"؟

اقبل بيعتهن، وخذ عليهن العهد، وأشهد على إيمانهن والتزامهن.

2. لماذا الأمر بالاستغفار لهن؟

لأنهن قد يكن فعلن بعض هذه الكبائر في الجاهلية، أو قد يقعن في الذنوب بعد البيعة. فالاستغفار وسيلة لتطهيرهن وتنقية قلوبهن.

3. هل يجب على المسلمين الاستغفار للمؤمنات؟

نعم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

4. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الشعور بالرحمة والمغفرة.
عقلياً: إدراك أن الاستغفار يمحو الذنوب.
تربوياً: تعليم الاستغفار للنساء.

عملياً: الدعاء للمؤمنات والاستغفار لهن.

الأمر العاشر: ختم الآية باسمي الغفور الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

1. ما معنى "غفور"؟

كثير المغفرة، يغفر الذنوب مهما عظمت، إذا تاب العبد.

2. ما معنى "رحيم"؟

شديد الرحمة بعباده، يقبل توبتهم، ويرحم ضعفهم.

3. لماذا ختمت الآية بهذين الاسمين؟

للتشجيع على البيعة والتوبة، ولإزالة اليأس من قلوب النساء. فـالله غفور رحيم، فلن يخيب من تاب وأناب.

4. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الأمل والرجاء.
عقلياً: فهم سعة مغفرة الله.
تربوياً: تعليم ألا نيأس من رحمة الله.
عملياً: التوبة والاستغفار الدائم.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هذه الآية؟

تريد منا هذه الآية:

1. أن نعرف منهج البيعة الإسلامية للنساء : سبعة شروط جامعة مانعة.
2. أن نلتزم بالتوحيد الخالص ونبرأ من الشرك.
3. أن نحافظ على الأموال فلا نسرق ولا نأكل أموال الناس بالباطل.
4. أن نحافظ على الفروج فلا نقترب من الزنا.
5. أن نحافظ على الأولاد فلا نقتلهم (لا بالأد ولا بالإجهاض).
6. أن نلتزم بالصدق فلا نبهت ولا ننفي نسباً ولا نلصق ولداً بغير أبيه.
7. أن نطيع ولاة الأمر في المعروف ونعصيهم في المنكر.
8. أن نستغفر الله دائماً فهو غفور رحيم.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هذه الآية فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليها بوصفها "دستور البيعة النسائية" و "قائمة الكبائر التي يجب أن تتوب منها المرأة" و "منهج التوبة والاستغفار".

الفهم العميق الأول: بيعة النساء استكمال لدورهن في الأمة

لما كانت بيعة الرجال موجهة نحو القتال والجهاد المسلح، جاءت بيعة النساء موجهة نحو الجهاد الأخلاقي والتربوي. فالمرأة تجاهد في بيتها، وفي تربية أولادها، وفي حفظ مالها، وفي عفافها، وفي صدقها.

الفهم العميق الثاني: الآية جمعت مقاصد الشريعة الخمسة في سبعة شروط

· حفظ الدين: لا يشركن بالله.
· حفظ المال: لا يسرقن.
· حفظ العرض: لا يزنين.
· حفظ النفس: لا يقتلن أولادهن.
· حفظ النسل: لا يأتين ببهتان يفترينه.

الفهم العميق الثالث: الشرط السابع (ولا يعصينك في معروف) هو ضابط الاستجابة

ليس كل ما يأمر به النبي أو الحاكم أو الزوج هو واجب الطاعة. بل الطاعة في المعروف فقط. هذا يؤصل لمبدأ "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

الفهم العميق الرابع: الاستغفار للنساء بعد البيعة يعلمنا التجاوز والرحمة

النبي ﷺ لا يكتفي بأخذ العهد، بل يستغفر لهن، ليغفر الله ما مضى. هذا يعلمنا ألا نبقى عالقين في الماضي، بل نفتح صفحة جديدة.

الفهم العميق الخامس: الغفور الرحيم عنوان الآية يطرد اليأس

النساء اللواتي كن يرتكبن هذه الكبائر في الجاهلية، قد يظنن أن لا توبة لهن. فجاءت الخاتمة "إن الله غفور رحيم" لتقول لهن: باب التوبة مفتوح.

الفهم العميق السادس: هذه البيعة متجددة في كل لحظة

ليست البيعة مرة واحدة في العمر، بل هي تجديد للعهد مع الله في كل صلاة، وفي كل عمل صالح، وفي كل توبة.

خلاصة الفهم العميق:

الآية تؤسس لبيعة أخلاقية للنساء، تحفظ الدين والمال والعرض والنفس والنسل، وتفتح باب التوبة وا لاستغفار، وتؤكد أن الله غفور رحيم بمن يرجع إليه.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

1. درس "البيعة على التوحيد": أساس الدين، وأول واجب.
2. درس "تحريم السرقة": حرمة المال، والعدل في المعاملات.
3. درس "تحريم الزنا": حفظ الأعراض والأنساب.
4. درس "تحريم قتل الأولاد": حرمة النفس، ورفض وأد البنات والإجهاض.
5. درس "تحريم البهتان": الصدق ونفي النسب الكاذب.
6. درس "الطاعة في المعروف": الولاء لله أولا ً.
7. درس "الاستغفار والتوبة": باب الرحمة مفتوح.

التطبيقات العملية:

· تطبيق (1): جدد بيعة الله في قلبك كل صباح، وتعهد على هذه المبادئ.
· تطبيق (2): إذا كنت امرأة، انضمي إلى جماعة تذكر بهذه البيعة.
· تطبيق (3): إذا كنت رجلا ً، اذكر زوجتك وأختك وابنتك بهذه الشروط بلطف.
· تطبيق (4): استغفر للنساء المؤمنات في صلاتك ودعائك.
· تطبيق (5): إذا سبق لك ذنب من هذه الكبائر، فتب إلى الله وأقلع.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية

1. مهارة التوبة والاستغفار: كيف ترجع إلى الله بعد الذنب.

2. مهارة العفة وضبط الشهوة: كيف تحفظ فرجك.
3. مهارة حفظ المال: كيف تكون أميناً.
4. مهارة حماية الأولاد: كيف تربي ولا تقتل.
5. مهارة الصدق: كيف تتجنب البهتان.

ثانياً: المهارات المعرفية

1. مهارة فهم مقاصد البيعة: لماذا هذه الشروط بالذات.
2. مهارة التفريق بين المعروف والمنكر.
3. مهارة فهم دلالة الأسماء الحسنى (غفور رحيم).

ثالثاً: المهارات العملية

1. مهارة أخذ البيعة: كيف تنظم بيعة في جماعة نسائية.
2. مهارة الاستغفار للآخرين.
3. مهارة تطبيق الحدود في المجتمع.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من الشرك إلى التوحيد

النظرة القديمة: قد تعلق قلبها بقبور أو أصنام أو طقوس شركية.
النظرة الجديدة: توحيد خالص لله.

التغيير الثاني: من السرقة إلى الأمانة

النظرة القديمة: تأخذ حقوق الآخرين.
النظرة الجديدة: حرمة المال.

التغيير الثالث: من الفاحشة إلى العفة

النظرة القديمة: علاقات محرمة.
النظرة الجديدة: حفظ الفرج.

التغيير الرابع: من قتل الأولاد إلى حمايتهم

النظرة القديمة: وأد وإجهاض.
النظرة الجديدة: تقدير الحياة.

التغيير الخامس: من البهتان إلى الصدق

النظرة القديمة: كذب وافتراء.
النظرة الجديدة: حق ونسب صحيح.

التغيير السادس: من العصيان المطلق إلى الطاعة في المعروف

النظرة القديمة: إما طاعة عمياء أو عصيان كلي.
النظرة الجديدة: طاعة مقيدة بالمعروف.

التغيير السابع: من اليأس إلى الرجاء

النظرة القديمة: ظنت أن ذنوبها لا تغفر.
النظرة الجديدة: الله غفور رحيم.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "ورقة البيعة الشخصية"

اكتب هذه الشروط السبعة في ورقة، واقرأها كل صباح، وعاهد الله عليها.

الاستراتيجية الثانية: "برنامج توبة"

إذا كنت قد وقعت في شيء من هذه الكبائر، فضع خطة توبة: إقلاع، ندم، استغفار، عمل صالح.

الاستراتيجية الثالثة: "التوعية النسائية"

نظم جلسات نسائية لتعليم هذه الآية، ولتأخذ كل امرأة بيعة على نفسها.

الاستراتيجية الرابعة: "الاستغفار الجماعي"

اجتمع مع جماعة من النساء وادعُ الله أن يغفر لكن ويرحمكن.

الاستراتيجية الخامسة: "تحريم الإجهاض"

انشر الوعي بحرمة الإجهاض، وأقنع النساء بأن الحياة هبة من الله.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

البعد العقدي: توحيد الله ونبذ الشرك.
البعد الأخلاقي: الأمانة، العفة، الصدق، الرحمة.
البعد الاجتماعي: حماية الأسرة والمجتمع.
البعد النفسي: التوبة والاستغفار وإزالة اليأس.
البعد السياسي: بيعة النساء للنبي ﷺ.
البعد التربوي: تربية النساء على الفضائل.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفس المسلمة والمجتمع

في نفس المرأة:

- التوحيد الخالص.
- الأمانة.
- العفة.
- حماية الأولاد.
- الصدق.
- الطاعة في المعروف.
- التوبة والاستغفار.

في المجتمع:

- تكريم المرأة.
- حماية الأسرة.
- العدل والصدق.
- التكافل بالدعاء.

في الدولة:

- تنظيم بيعة النساء.
- حماية الأطفال من القتل والإجهاض.

· تطبيق الحدود لحماية الأعراض.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآية في حياتنا

1. مفهوم "بيعة النساء".
2. مفهوم "التوحيد العملي".
3. مفهوم "حرمة المال".
4. مفهوم "حرمة الزنا".
5. مفهوم "حرمة قتل الأولاد".
6. مفهوم "البهتان واختلاق النسب".
7. مفهوم "الطاعة في المعروف".
8. مفهوم "الاستغفار للمؤمنات".

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

النفسية: التوبة، الاستغفار، الأمل، العفة، الأمانة، الصدق.
الفكرية: فهم مقاصد الشريعة، التمييز بين المعروف والمنكر.
التربوية: تعليم البيعة، تربية النساء على الفضائل، تعليم الاستغفار.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

1. بناء المرأة الصالحة: بتنشئتها على هذه المبادئ.
2. تنمية الوعي العقدي والأخلاقي.
3. بناء الأسرة المتماسكة.
4. تنمية روح التوبة والاستغفار.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني: من الشرك إلى التوحيد، من السرقة إلى الأمانة.
إعادة التشكيل النفسي: من اليأس إلى الرجاء، من الذنب إلى التوبة.
إعادة التشكيل الفكري: فهم حدود الطاعة، فهم أهمية الصدق.

الصورة التي يريدها الله منك (المؤمنة الربانية):

أن تكون امرأة:

1. موحدة: لا تشرك بالله شيئاً.
2. أمينة: لا تسرق.
3. عفيفة: لا تزني.
4. حامية للأولاد: لا تقتلهم.
5. صادقة: لا تبهت.
6. مطيعة في المعروف: لا تعصي الله.
7. تائبة مستغفرة: تعلم أن الله غفور رحيم.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب

وأنت تتدبر هذه الآية، وتنظر إلى المرأة المسلمة...

انظر إلى هذه البيعة التي أخذها النبي ﷺ على النساء المؤمنات. إنها بيعة كرامة، وبيعة حماية، وبيعة بناء.

لم يطلب منهن أن يقاتلن، بل طلب منهن أن يخلصن، ويأتمن، ويعففن، ويحفظن أولادهن، ويصدقن، ويطعن في المعروف.

هذه هي المرأة المسلمة التي يريدها الإسلام.

وأنت، أختاه، إذا كنت قد وقعت في شيء من هذه الكبائر في ماضيك... فلا تيأسي من رحمة الله. باب التوبة مفتوح. الله غفور رحيم.

جدد بيعة الله في قلبك.

قل: اللهم إني أبايعك على ألا أشرك بك شيئاً، ولا أسرق، ولا أزني، ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتان، و لا أعصي رسولك في معروف.

وآمن بأن الله غفور رحيم.

وأنت يا أخي، يا رجل، احترم هذه البيعة في نسائك، وذكرهن بها، واستغفر لهن.

هكذا نبني مجتمعاً طاهراً، وأسرة مستقرة، وأمة متماسكة.

القسم الخامس .

تفسير الآية الثالثة عشرة من سورة الممتحنة (خاتمة السورة)

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

أولاً: مقدمة تمهيدية

يا أخي الحبيب، يا من سلكت معي دروب هذه السورة العظيمة آية آية، وتذوقت حلاوة "الولاء و البراء" في أعماق قلبك، وعرفت أصول العلاقة مع المؤمنين والكافرين، وتعرفت على أحكام المهاجرات والمبايعات...

ها نحن نصل إلى خاتمة هذه السورة المباركة، إلى الآية الثالثة عشرة، التي تأتي كـ "تاج" يكلل ما سبق، وكـ "خلاصة" تجمع المقاصد، وكـ "تذكير أخير" يغرس في القلب ألا تعود إلى الوراء أبداً.

تأمل معي... السورة بدأت بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، وتختم بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. بداية بالنهي عن موالاة أعداء الله، وخاتمة بالنهي عن موالاة المغضوب عليهم.

إنها سورة "الولاء والبراء" من أولها إلى آخرها.

هذه الآية الأخيرة تحذرنا من التولي (اتخاذ الأولياء) لقوم معينين: "قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ". ثم تصف حالهم: "قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ" ، أي قطعوا أملهم من الجنة ومن رحمة الله في الآخرة. ثم تؤكد: "كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ" ، أي كما يئس الكفار الأحياء من الموتى الذين في القبور أن يخرجوا أو ينفعوهم.

هؤلاء هم اليهود، الذين غضب الله عليهم، ويئسوا من الآخرة لسوء أعمالهم.

ولماذا هذا التحذير الشديد في ختام السورة؟

لأن من والى هؤلاء المغضوب عليهم، فقد يشبههم في اليأس والعصيان، وقد يخرج من رحمة الله. فا لآية تريد أن تغلق الباب الأخير للتردد، وتقطع الطريق على الشيطان، وتذكر المؤمن أن اليهود و النصارى الذين حادوا عن دين الله لا يرجون الجنة، فكيف تواليهم وتتمنى ودهم؟

إنها دعوة صارمة في ختام السورة: لا تولوا المغضوب عليهم، فقد يئسوا من الآخرة، فلا تجعلوا أنفسكم مثلهم باليأس أو بالمعصية، بل تمسكوا بحبل الله، ووالوا أولياءه، وتباعدوا عن أعدائه.

والسورة التي بدأت بتحذير من موالاة أعداء الله، تنتهي بتحذير من موالاة المغضوب عليهم، لتكتمل الصورة، وتترسخ القاعدة.

تعال... لنغوص في هذه الخاتمة المباركة، لنستخرج دررها، ونستشعر حكمتها، ونختم رحلتنا مع سورة

الممتحنة بقلب مليء بالإيمان والولاء لله.

ثانياً: القضايا التي تعالجها الآية

هذه الآية الختامية تأتي لتعالج قضايا مهمة وحاسمة في مسيرة المؤمن:

القضية الأولى: تحذير خاص من موالاة "المغضوب عليهم"

الآية لم تكتف بالنهي العام عن موالاة الكفار، بل حددت فئة خاصة: "قوماً غضب الله عليهم". وهم اليهود تحديداً (ومن شابههم). لأن غضب الله عليهم شديد، وموالاتهم خطيرة.

القضية الثانية: اليأس من الآخرة كصفة من صفات المغضوب عليهم

"قد يئسوا من الآخرة" أي أنهم فقدوا الأمل في الجنة والرحمة الإلهية بسبب كفرهم وعنادهم. من يئس من الآخرة، لا يبالي بما يفعل في الدنيا، فهو خطر على المجتمع.

القضية الثالثة: التشبيه بـ "يأس الكفار من أصحاب القبور"

تأكيد على شدة يأسهم، بأن شبه بيأس الكفار المشركين من أمواتهم، أن يخرجوا أو ينفعوا. هذا يصور أن يأسهم تام لا رجعة فيه.

القضية الرابعة: الحث على عدم التعلق بغير الله وأوليائه

من يتولى قوماً يئسوا من الآخرة، فإنه سيصاب باليأس والإحباط، وقد يخسر آخرته. فالآية تدعو إلى التعلق بالله وبأوليائه الذين يرجون الآخرة.

القضية الخامسة: الفرق بين المؤمن والكافر من حيث الرجاء

المؤمنون يرجون الآخرة ويعملون لها، وهؤلاء المغضوب عليهم قد يئسوا منها. فلا يجتمع المؤمن معهم في الولاء.

القضية السادسة: ختم السورة بالتذكير باليوم الآخر

لأن السورة كلها كانت في الولاء والبراء، وكان الخطر الأكبر أن يغفل المؤمن عن الآخرة فيوالى أعداء الله. فتذكر الآخرة يضبط السلوك.

القضية السابعة: التحذير من اليأس والقنوط

بما أن هؤلاء يئسوا من الآخرة، فلا تتشبه بهم باليأس من رحمة الله، بل ارجو الله وأحسن العمل.

ثالثاً: أهداف ومقاصد الآية

ما الذي يريده الله منك من خلال هذه الآية الختامية؟

الهدف الأول: إغلاق باب موالاة الكفار تماماً

بعد أن فتحت السورة باب البر والقسط مع المسالمين، هنا تغلق باب الموالاة مع كل من غضب الله عليهم نهائياً.

الهدف الثاني: تذكير المؤمنين بعاقبة المغضوب عليهم

أنهم يئسوا من الآخرة. هذا يردع المؤمن عن اتخاذهم أولياء، لأنه لا يريد أن يشاركهم يأسهم.

الهدف الثالث: تأكيد أن الآخرة هي دار الرجاء والجزاء

فالمؤمن يرجو الآخرة ويعمل لها. ومن لا يرجوها، فهو في خطر.

الهدف الرابع: تعزيز مبدأ "الولاء والبراء" بالبعد النفسي والوجداني

لا يكفي أن تعادي الكفار عملياً، بل يجب أن تستشعر أنهم يئسوا من الآخرة، فلا تعلق قلبك بهم.

الهدف الخامس: قطع أمل الكفار في المؤمنين

كما يئسوا من الآخرة، فيئسوا أيضاً من أن توالوهم أو تنصروهم.

الهدف السادس: ختم السورة بأسلوب يشبه بدايتها للتأكيد

البداية: "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" - النهاية: "لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم". تناظر بديع للتأكيد.

الهدف السابع: تربية المؤمن على رجاء الآخرة

بدلا ً من اليأس الذي يعيشه الكفار، ليعيش المؤمن في رجاء دائم للجنة والمغفرة.

رابعاً: تفسير الآية والمعنى العملي لها

التفسير

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

نداء متكرر في السورة، لتذكير المؤمنين بهويتهم ومسؤوليتهم قبل التوجيه.

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

"لا تتولوا": لا تتخذوا أولياء وأصدقاء وأنصاراً. "قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ": وهم اليهود (ومن شابههم)، الذين استحقوا غضب الله لمعصيتهم وتكبرهم وتحريفهم.

المعنى: لا تتخذوا أيها المؤمنون اليهود (وكل من غضب الله عليهم) أولياء وأحباء، لا تنصروهم ولا توالوهم.

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾

"قَدْ يَئِسُوا": انقطع أملهم ورجاؤهم. "مِنَ الْآخِرَةِ": من الجنة ومن رحمة الله ومن النجاة من النار.

المعنى: هؤلاء القوم قد فقدوا الأمل في أي خير في الآخرة، بسبب كفرهم وعنادهم وإصرارهم على الباطل.

**﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

"كَمَا يَئِسَ": تشبيه لتأكيد اليأس. "الْكُفَّارُ": المشركون الذين يعبدون الأصنام. "مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ": أي من موتاهم أن يخرجوا من قبورهم أو يشفعوا لهم أو ينفعوهم.

المعنى: إن يأس هؤلاء المغضوب عليهم من الآخرة، هو مثل يأس المشركين من أن يستفيدوا من موتاهم أو أن يبعثهم الله. إنه يأس تام لا رجعة فيه.

المعنى العملي للآية – كيف تعيشها في واقعك؟

تطبيق عملي (1): لا تتخذ اليهود والذين غضب الله عليهم أولياء

في عصرنا، هناك من يدعو إلى التطبيع مع اليهود وموالاتهم بحجة السلام أو المصلحة. هذه الآية تحرم موالاتهم، لأنهم قوم غضب الله عليهم، يئسوا من الآخرة. لا توالهم قلباً، ولا تنصرهم، ولا تؤيدهم.

تطبيق عملي (2): تجنب اليأس من رحمة الله

هؤلاء يئسوا من الآخرة، فلا تتشبه بهم. مهما عظمت ذنوبك، لا تيأس من رحمة الله، فهو غفور رحيم.

تطبيق عملي (3): عش برجاء الآخرة

اجعل الآخرة هي همك الأكبر، وأعمل لها، ولا تعلق قلبك بالدنيا الفانية.

تطبيق عملي (4): قاطع ولاة الكفار، ولا تتخذهم أصدقاء

لا تمدحهم، لا تتبع أهواءهم، لا تتزين بزينتهم، لا تسافر لبلادهم بقصد التعلق بهم.

تطبيق عملي (5): تذكر الآخرة عند كل مفترق طرق

عندما تريد أن توالى أحداً، اسأل نفسك: هل هذا الشخص يرجو الآخرة أم يئس منها؟ إن كان يئس، فلا توله.

مثال تقريبي:

شخص يدعو إلى التقارب مع إسرائيل، ويتخذ من قادتها أصدقاء، وينشر ثقافتهم. الآية تقول: هذا قوم غضب الله عليهم، يئسوا من الآخرة، فلا تتولهم.

خامساً: تحليل الآية وتفكيك دلالاتها (تفصيل كامل لكل أمر)

الأمر الأول: النداء الإيماني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(سبق تفصيله في الآيات السابقة. نضيف هنا)

1. لماذا تكرر هذا النداء في خاتمة السورة؟

للتأكيد على أن المخاطب بهذا الحكم هم المؤمنون خاصة. ولتذكيرهم بإيمانهم الذي يوجب عليهم الا متثال.

2. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الشعور بالمسؤولية.
عقلياً: إدراك أن الحكم خاص بالمؤمنين.
تربوياً: تعليم أن الإيمان يوجب الالتزام.
عملياً: تجديد الإيمان قبل امتثال أي أمر.

الأمر الثاني: النهي عن تولي المغضوب عليهم ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

1. من هم "قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ"؟

المراد بهم اليهود بشكل خاص، لقوله تعالى في الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. ويدخل فيهم كل من

اتصف بصفاتهم: الكبر، العناد، تحريف الكلم، قتل الأنبياء، إفساد الأرض.

2. ما معنى "غضب الله عليهم"؟

الغضب الإلهي: إرادة العقاب والإهانة والطرد من الرحمة. وهو ليس كغضب البشر، بل هو عدل وحكمة.

3. لماذا خصهم بالذكر في ختام السورة؟

لأن اليهود هم أعداء النبي ﷺ والمؤمنين في المدينة، وكانوا يتربصون بهم الدوائر. وكان هناك من المسلمين من يوادهم. فنزلت تحذر من موالاتهم.

4. ماذا يفعل هذا النهي بنفسية المؤمن؟

· يزرع البغض في الله لمن غضب الله عليهم.
· يقطع التعلق بهم نفسياً وقلبياً.
· يذكر بعاقبة الغضب الإلهي : الطرد من الرحمة.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

أولا ً: الرسائل النفسية:

1. رسالة الشعور بالكرامة: لن أتولى من غضب الله عليهم.
2. رسالة الخوف من غضب الله: لا أريد أن أكون مثلهم.

ثانياً: الرسائل العقلية:

1. إدراك أن غضب الله علامة على البعد عن الحق.
2. إدراك أن موالاة المغضوب عليهم توجب الغضب.

ثالثاً: الرسائل التربوية:

1. تعليم الأبناء تاريخ اليهود وغدرهم.
2. التربية على عدم موالاتهم.

رابعاً: الرسائل العملية:

1. مقاطعة بضائعهم وثقافتهم الخبيثة.
2. عدم التعاون معهم في إفساد الأرض.

الأمر الثالث: وصفهم باليأس من الآخرة ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾

1. ما معنى "يئسوا من الآخرة"؟

اليأس: انقطاع الأمل. أي أنهم لا يرجون جنة، ولا يخافون ناراً، ولا يؤمنون بالبعث حق الإيمان، أو أنهم أيقنوا بأنهم إلى النار.

2. لماذا هذا اليأس؟

لأنهم عرفوا الحق وتركوه عناداً، فاستحقوا غضب الله، وأيسوا من الخير في الآخرة.

3. ماذا تفعل هذه الصفة بنفسية المؤمن؟

· تجعله يحذر منهم: من لا يرجو الآخرة لا يبالي بما يفعل.

· تجعله لا يغتر بهم: لا تتمنى ود من لا يرجو رحمة الله.
· تجعله يتعظ: لا تكن مثليهم فتيأس من الآخرة.

4. الفرق بين المؤمن والكافر في الرجاء

المؤمن	الكافر المغضوب عليه
يرجو الآخرة ويعمل لها	يئس من الآخرة
يخاف النار	ويطمع في الجنة لا يبالي
يعمل صالحاً	يعمل سيئاً
يتوب ويستغفر	يصر على الكفر

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: الشعور بأن اليأس صفة مذمومة.
عقلياً: إدراك عاقبة الإعراض عن الله.
تربوياً: تعليم الرجاء وعدم اليأس.
عملياً: تجديد الرجاء في الله كل يوم.

الأمر الرابع: التشبيه المؤكد ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

1. ما معنى "الكفار من أصحاب القبور"؟

أي الكفار المشركون الذين يعبدون الأصنام والأموات. يئسوا من أن يستفيدوا من موتاهم، فلا يرجون عودتهم، ولا شفاعتهم، ولا نفعهم.

2. لماذا هذا التشبيه؟

ليؤكد شدة يأس اليهود من الآخرة. فهم كالمشركين في يأسهم من كل خير يأتي من جهة الأموات.

3. الفرق بين يأس اليهود ويأس المشركين:

· يأس اليهود من الآخرة (لا يرجون رحمة الله).
· يأس المشركين من موتاهم (لا يرجون عودتهم).
· لكن اليأسين متساويان في القطع وعدم الرجاء.

4. ماذا تفعل هذه الجملة بنفسية المؤمن؟

· تزيل أي وهم بأن اليهود يرجون خيراً: لا، هم كمن يئس من قبره.
· تذكر بشرك المشركين: كما كفر أولئك، كفر هؤلاء.
· تعظم جريمة موالاتهم: توالي من هو في صف المشركين اليائسين.

5. الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية

نفسياً: إدراك عمق ضلالهم.
عقلياً: فهم أن من يئس من الآخرة فهو كمن يئس من الموتى.
تربوياً: تعليم الفرق بين رجاء المؤمن ويأس الكافر.
عملياً: لا تولّ من يئس من الله.

الأمر الخامس: دلالة ختم السورة بهذه الآية (دراسة مقاصدية)

1. مناسبة الختم بالنهي عن موالاة المغضوب عليهم

السورة كلها كانت في "الولاء والبراء". بدأت بالنهي عن موالاة أعداء الله، وتوسعت في أحكام المهاجرات، وانتهت بالنهي عن موالاة اليهود المغضوب عليهم، لتكتمل دائرة التحذير.

2. الربط بين بداية السورة ونهايتها

· البداية: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾
· النهاية: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

تناظر بديع: "لا تتخذوا أولياء" و "لا تتولوا". كلاهما نهي عن الموالاة.

3. دلالة ختم السورة بالتذكير بالآخرة واليأس

لأن السورة بدأت بالحديث عن أعداء الله في الدنيا (قاتلوكم، أخرجوكم)، وختمت بالحديث عن عاقبتهم في الآخرة (غضب الله عليهم، يئسوا من الآخرة). ليكون المؤمن على بصيرة من أمرهم في الدنيا والآخرة.

4. رسالة الختام للمؤمنين في كل زمان

· لا تولوا اليهود والنصارى والمشركين الذين غضب الله عليهم.
· لا تيأسوا من رحمة الله كيأسهم.
· ارجوا الآخرة واعملوا لها.

5. الحكمة من ختم السورة بهذا التشبيه (يأس الكفار من أصحاب القبور)

لإفهام أن من يئس من الآخرة، وصل إلى درجة من لا يرجو شيئاً من الموتى. وهو أقرب إلى الكفر المطلق.

سادساً: الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات من الآية

الأمر الأول: ما الذي تريده منا هذه الآية الخاتمة؟

تريد منك هذه الآية:

1. ألا تتولى اليهود ومن غضب الله عليهم أبداً.
2. ألا تشبههم باليأس من رحمة الله، بل ارج الله.
3. أن تعيش برجاء الآخرة، وتعمل لها.
4. أن تتذكر أن اليأس من الآخرة صفة ذميمة.
5. أن تفرق بين المؤمن الراجي والكافر اليائس.
6. أن تختم سيرتك مع الله بالتجديد على الولاء له والبراءة من أعدائه.

الأمر الثاني: كيف نفهم الآية فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟

لفهم هذه الآية فهماً عميقاً، يجب أن ننظر إليها بوصفها "الختام المؤكد" لمبدأ "الولاء والبراء"، و "المانع النفسي" من موالاة المغضوب عليهم، و "البوصلة الأخروية" للعلاقات.

الفهم العميق الأول: الآية تحول "البراء" من شعور إلى سلوك دائم

لا يكفي أن تبرأ قلبياً، بل يجب أن تترجم البراء إلى سلوك عملي: لا تولهم، لا تتخذهم أصدقاء، لا تمدحهم، لا تساندهم.

الفهم العميق الثاني: "اليأس من الآخرة" هو سمة من لا خير فيه

من لا يرجو الله، لا يرجى منه خير. فهو يائس، فيائسه يدفعه إلى كل شر. فلا تأمنه على دينك ولا دنياك.

الفهم العميق الثالث: التشبيه بيأس الكفار من القبور يزيل أي وهم

قد يظن بعض الناس أن اليهود يرجون مغفرة أو يترجون رحمة. الآية تقول: هم كمن يئس من قبره، فلا يرجون خيراً أبداً.

الفهم العميق الرابع: الآية تؤصل لقاعدة "الرجاء أساس الإيمان"

المؤمن يرجو الله، والكافر ييأس. فبقدر رجائك تكون قربك من الله. ومن تواليه ممن يئس، فكأنك تيئس.

الفهم العميق الخامس: ختم السورة بهذا التحذير يمنع الرجوع إلى الوراء

بعد أن فتح الله باب البر والقسط مع المسالمين، قد يظن البعض أن الباب مفتوح للموالاة. فجاء هذا الختم ليغلق هذا الباب.

الفهم العميق السادس: السورة التي بدأت بـ "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" تختم بـ "لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم" لتؤكد أن الموضوع واحد

العداوة للكفار والبراءة منهم مستمرة، والولاء للمؤمنين ثابت.

خلاصة الفهم العميق:

هذه الآية الختامية هي تأكيد نهائي على أن "الولاء والبراء" ليس مجرد مرحلة، بل هو منهج حياة. وأن من يئس من الآخرة لا يصلح أن يكون ولياً، ولا أن ترجى منه خير.

الأمر الثالث: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدروس والعبر (المحور التأسيسي):

1. درس "خطر موالاة المغضوب عليهم": توجب غضب الله.
2. درس "اليأس من الآخرة صفة الكافرين": فلا تتشبه بهم.
3. درس "الرجاء أساس الإيمان": وبه تنجو.
4. درس "التشبيه القرآني": يصور عمق الضلال.
5. درس "ختم السورة على التوحيد والبراء": لتترسخ العقيدة.

التطبيقات العملية:

· تطبيق (1): لا توال اليهود أبداً، ولا تساندهم في عدوانهم على المسلمين.
· تطبيق (2): جدد رجاءك في الله كل صباح: "اللهم إني أرجوك فارحمني".
· تطبيق (3): اقرأ سورة الفاتحة بتدبر: "غير المغضوب عليهم".
· تطبيق (4): تبرأ من كل من يئس من الآخرة.
· تطبيق (5): اجعل خاتمة أعمالك على طاعة الله.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والمهارات العملية من الآية

أولاً: المهارات الحياتية

1. مهارة التمييز بين المغضوب عليهم وغيرهم.
2. مهارة تجديد الرجاء في الله.
3. مهارة عدم اليأس والقنوط.
4. مهارة التعامل مع من يئس من الآخرة (بالحذر).

ثانياً: المهارات المعرفية

1. مهارة فهم صفات المغضوب عليهم.

2. مهارة الفرق بين اليأس والرجاء.
3. مهارة تحليل التشبيه القرآني.
4. مهارة استنتاج مقاصد خواتم السور.

ثالثاً: المهارات العملية

1. مهارة تطبيق البراء في الواقع (عدم اتخاذهم أولياء).
2. مهارة الدعاء بالثبات على البراء.
3. مهارة تذكير النفس بالآخرة.

الأمر الخامس: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

التغيير الأول: من الاغترار باليهود إلى الحذر منهم

النظرة القديمة: قد يغتر بظاهرهم أو بثقافتهم.
النظرة الجديدة: هم مغضوب عليهم يائسون من الآخرة، فلا تولهم.

التغيير الثاني: من الركون للدنيا إلى الرجاء للآخرة

النظرة القديمة: الهم الدنيا فقط.
النظرة الجديدة: الآخرة هي هدفي.

التغيير الثالث: من اليأس من رحمة الله إلى الرجاء

النظرة القديمة: إذا أذنبت أيأست.
النظرة الجديدة: الله غفور رحيم، فأرجوه.

التغيير الرابع: من موالاة من يئس إلى موالاة من رجا

النظرة القديمة: تولى من شئت.
النظرة الجديدة: أتولى المؤمنين الراجين، وأتبرأ من اليائسين.

الأمر السادس: كيف نعمق أثر الآية في حياتنا العملية؟

الاستراتيجية الأولى: "بطاقة المغضوب عليهم"

اكتب صفات المغضوب عليهم (اليهود ومن شابههم)، وضعها في مكان بارز، وتذكرها عند التعامل معهم.

الاستراتيجية الثانية: "تأمل خاتمة السورة"

كلما أنهيت قراءة سورة الممتحنة، توقف عند هذه الآية، وتأمل أنها خاتمة منهاج الولاء والبراء.

الاستراتيجية الثالثة: "تجديد الرجاء"

اجعل لنفسك ورداً يومياً: "اللهم إني أرجوك فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

الاستراتيجية الرابعة: "عدم التطبيع"

لا تطبع مع اليهود ولا تواليهم، ولا تشترِ بضائعهم، ولا تشاهد إعلامهم.

الاستراتيجية الخامسة: "آخر الآية أول العمل"

اجعل هذه الآية آخر ما تقرأه في مجلسك قبل العمل، لتخرج بقلب متبرئ من المغضوب عليهم.

سابعاً: القيم والأبعاد والمفاهيم من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

البعد العقدي: تأكيد البراءة من اليهود والمغضوب عليهم.
البعد النفسي: علاج اليأس، وغرس الرجاء.
البعد الاجتماعي: عدم موالاة المخربين.
البعد السياسي: سياسة واضحة مع اليهود.
البعد الأخروي: تذكير بالآخرة.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفس المسلمة والمجتمع

في نفس المسلم:

· قيمة البراءة من المغضوب عليهم.
· قيمة الرجاء في الله.
· قيمة الحذر من اليأس.
· قيمة البصيرة بالآخرة.

في المجتمع:

· قيمة التمايز عن اليهود.
· قيمة عدم التطبيع مع أعداء الله.
· قيمة التمسك بالرجاء.

في الدولة:

· قيمة عدم موالاة الدول المغضوب عليها.
· قيمة سيادة المبادئ الإسلامية في العلاقات.

الأمر الثالث: المفاهيم العملية من الآية في حياتنا

1. مفهوم "المغضوب عليهم" وأحكام موالاتهم.
2. مفهوم "اليأس من الآخرة" كصفة ذميمة.
3. مفهوم "الرجاء" كصفة المؤمنين.
4. مفهوم "التشبيه القرآني" في التصوير.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

النفسية: الرجاء، اليأس، الحذر، العزة.
الفكرية: فهم الفرق بين المؤمن والكافر، فهم مقاصد الخواتيم.
التربوية: تعليم تاريخ اليهود، تعليم عدم موالاتهم.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

1. بناء الأمة على البراءة من اليهود.
2. تنمية الرجاء في الله.
3. بناء سياسة خارجية واضحة.

الأمر السادس: دور الآية ومفاهيمها في إعادة تشكيل الإنسان ذهنياً ونفسياً وفكرياً

إعادة التشكيل الذهني: من التسامح المطلق مع اليهود إلى الحذر والبراءة.
إعادة التشكيل النفسي: من اليأس إلى الرجاء.
إعادة التشكيل الفكري: فهم أن الآخرة هي ميزان العلاقات.

الصورة التي يريدها الله منك (المؤمن الخاتم):

أن تكون إنساناً:

1. متبرئاً من اليهود والمغضوب عليهم.
2. راجياً لله لا يائساً.
3. مؤمناً بالآخرة يعمل لها.
4. خاتماً حياته على طاعة الله وولائه.

ثامناً: خاتمة – رسالة إلى القلب (وداع سورة الممتحنة)

وأنت تختتم سورة الممتحنة بهذه الآية...

تذكر أن السورة بدأت بتحذير: لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. وتنتهي بتحذير: لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم.

إنها رحلة من "لا تتخذوا" إلى "لا تتولوا".

لقد تعلمت في هذه السورة:

· أن عداوة الكفار للمؤمنين حقيقية، وهم يتمنون كفرك.
· أن البراءة من الكفار وإعلان العداوة لهم منهج الأنبياء.
· أن البر والقسط مع المسالمين جائز.
· أن النساء المؤمنات المهاجرات يحمين ولا يردن إلى الكفار.
· وأنه لا تولوا اليهود المغضوب عليهم، الذين يئسوا من الآخرة.

فالآن، وقد فرغت من السورة، فلا تخرج منها إلا وقد تزودت بزاد "الولاء والبراء".

أحِبّ الله، أحِبّ رسوله، أحِبّ المؤمنين. وأبغض أعداء الله، واترك موالاتهم، وتباعد عنهم.

واختم حياتك كما ختم الله سورته: على البراءة من اليهود ومن كل مغضوب عليه، وعلى الرجاء في الله واليوم الآخر.

فالله غفور رحيم، وهو وحده المستحق للولاء والمحبة.

والحمد لله رب العالمين على تمام هذه السورة، وعلى هدايتنا لهذا الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.